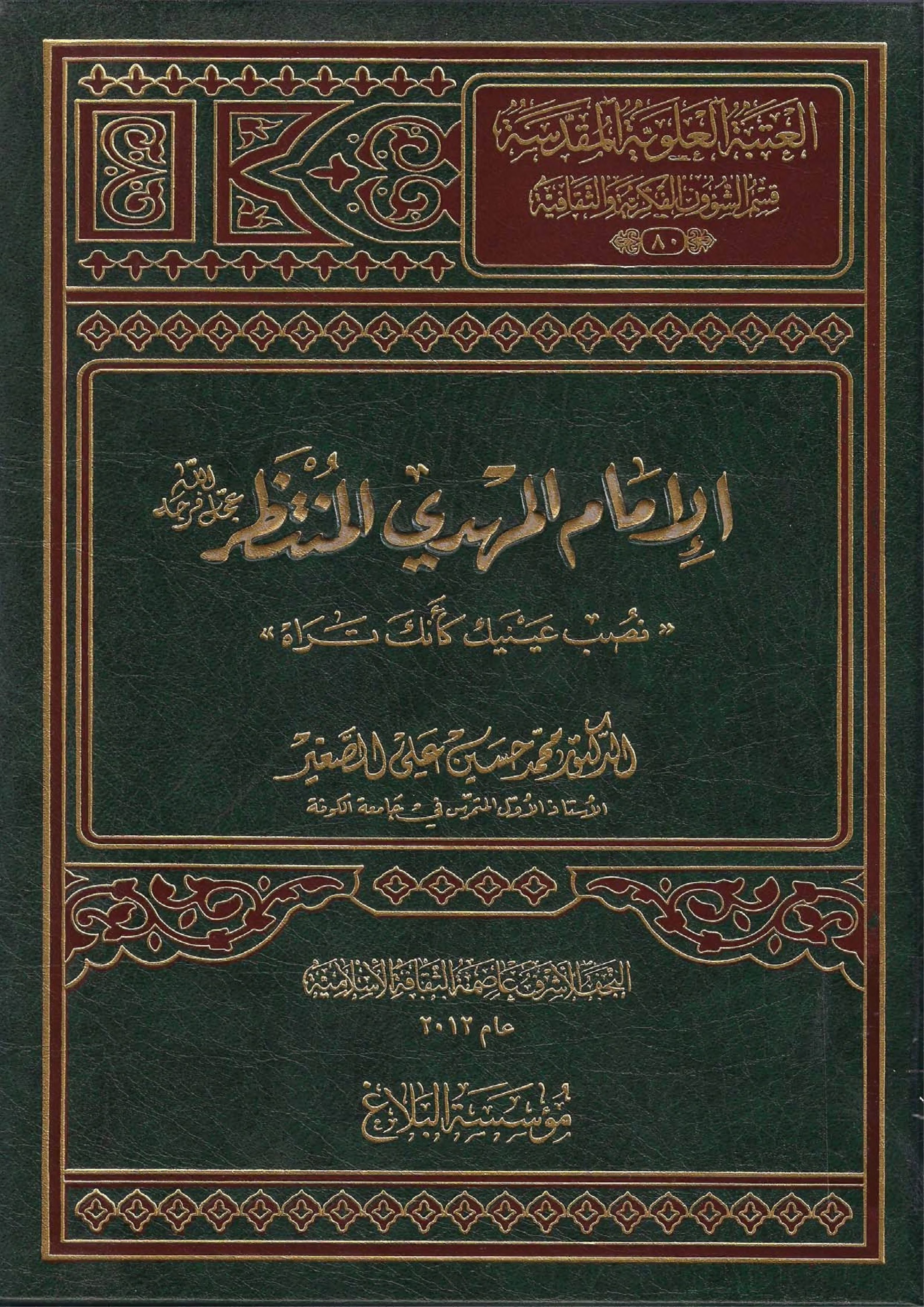
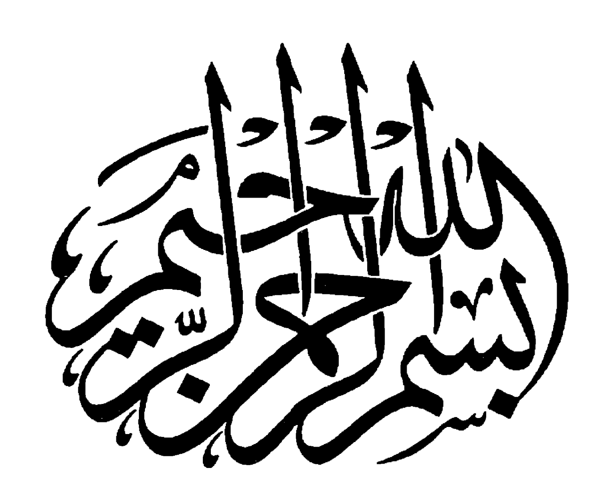

العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
(٨٠)
الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه
«نصب عينيك كأنك تراه»
الدكتور محمد حسين علي الصغير
الأستاذ الأول المتمرس في جامعة الكوفة
النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية
عام ٢٠١٢
مؤسسة البلاغ

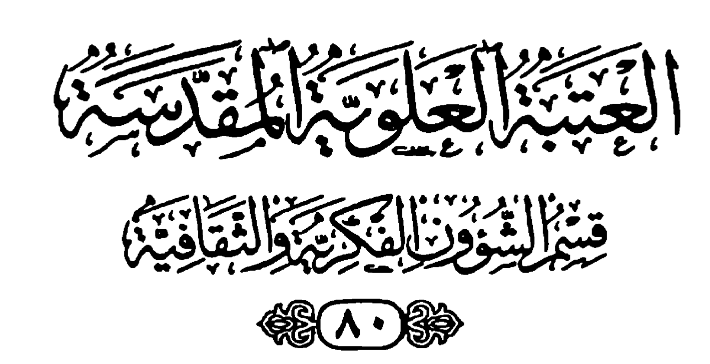


شبكة الفكر
alfeker.net

الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه

« نصب عينيك كأنك تراه »


بسم الله الرحمن الرحيم



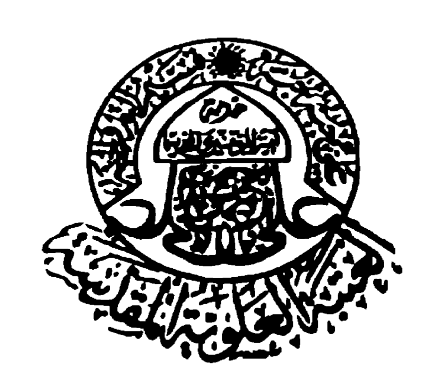
الإمام المهدي المنتظر عجّل الله فرجه

« نصب عينيك كأنك تراه »

الدكتور محمد حسين علي الصغير
الأستاذ الأول المتمرس في جامعة الكوفة

النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية
عام ٢٠١٢

مؤسسة البلاغ



www.imamali-a.net
info@imamali-a.net

الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه

"نصب عينيك كأنك تراه"

المؤلف: الدكتور محمد حسين علي الصغير

الناشر: العتبة العلوية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية

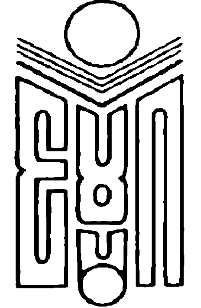
الإخراج الفني: محسن اليوسفي

الطبعة الأولى

تاريخ الطبع: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

التنفيذ الطباعي

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع



لبنان - بيروت - بئر العبد - قرب مركز التعاون الاسلامي - بناية حطيط
ص.ب: ١١-٧٩٥٢ بيروت ١١٠٧-٢٢٥٠ - هاتف: (٠٢/٥١٤٩٠٥) - تلفاكس: ٠١/٥٥٢١١٩ لبنان
الموقع الإلكتروني: www.albalagh-est.com
E-mail: Albalagh-est@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الأول قبل كل أول، والآخر بعد كل آخر، واشهد إن لا اله إلا الله شهادة يوافق فيها السر الإعلان، والقلب اللسان، وصلى الله على رسوله محمد الذي بعثه رحمة للعالمين وعلى آله الغر الميامين الذين من سبقهم ضلّ ومن تأخر عنهم هلك، لاسيما وصيه ووزيره أمير المؤمنين عليه السلام.

ما اعتادت الدنيا ان ترى الأفذاذ في كل أدوارها.. لذا كان ظهورهم فيها حدثا خطيرا وامرا جسيما، ومن أولئك الأفذاذ المصلحين: خاتم الانبياء محمد وعترته الطيبين الطاهرين.

وقد يصعب على الإنسان الخوض في هذه الشخصيات الإسلامية الفذة والفريدة التي تمثلت فيها جميع المثل الإنسانية العليا، لما لها من منزلة سامية ومكانة محفوفة برضوان خالقها وموجدها، فهم اختصوا بمعرفة الله تعالى التامة دون سواهم، ونالوا رتبا عالية رفعتهم عن سائر المخلوقين، حتى روي عن الرسول الأعظم صلى الله عليه واله انه قال: (يا علي لا يعرف الله إلا أنا وأنت، ولا يعرفني إلا الله وأنت ولا يعرفك إلا الله وانا) فكيف ترتقي لوصفهم الأقلام، وتصف أسرار تلك النفوس الزكية.

لقد كان في كل صفة من صفاتهم معجزة.. فأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين آية من آيات الله العظمى، فهم اصل الدين وفرعه

ومعدنه ومنتهاه ، بهم بدأ الله وبهم يختم.

وهذه الموسوعة الإسلامية الخاصة بآل البيت عليهم السلام لمؤلفها الاستاذ الأول المتمرس الدكتور محمد حسين بن الشيخ علي الصغير ما هي الا نفحة من النفحات العطرة عن هذا البيت النبوي الطاهر، وعرفانا من العتبة العلوية المقدسة لهذه الجهود الكبيرة في تأليف هذه الموسوعة، قامت الأمانة العامة للعتبة العلوية المقدسة باعادة طباعة هذه الموسوعة ونشرها للقراء الكرام اثراء للمكتبة الإسلامية في نشر فكر وتراث اهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين.. والله من وراء القصد.

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
النجف الأشرف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا موضوع جديد يعتمد منهجاً جديداً في البحث، فهو يستمد من العنصر الغيبي أصالته، ويستند إلى اللمح الإعجازي في بعض مفرداته، نكتبها للذين يؤمنون بالغيب، وهو أصل من أصول، بني عليه القرآن الكريم، وقامت عليه الشريعة الغرّاء، حتى تقدم ما سواه من الأركان بدليل قوله تعالى:

﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.[1]

وانطلاقاً من الإيمان بالغيب وهدى الله عزّوجلّ جاء كتابنا هذا «الإمام المهدي المنتظر/ نصب عينيك.. وكأنك تراه.» ليكون الكتاب الثاني عشر في موسوعة أهل البيت الحضارية، وليسد فراغاً كبيراً في هيكلية الدراسات المتخصصة عن الإمام المهدي عجّل الله فرجه.

قام منهج البحث على محوري الغيب والشهادة، فملامح الغيب

(١) سورة البقرة/ ١ـ٥.

كشفت عن أصالة هذه القضية، وأظهرت من أسرارها وخفاياها ما يبرهن على صدقها بالأدلة القاطعة، فليست هي نسيجاً من الخيال، ولا ترفاً في الإدّعاء، ولا خرافة من الأساطير، كما أثبت العيان المنظور والمشاهدة الميدانية أن لا فرضية فلسفية تقبل الجدل أو الردّ.

وكان الوازع الديني هدفاً استراتيجياً لخوض غمار هذا الموضوع الشائك في مختلف أبعاده المترامية الأطراف وشتى أطواره المتجددة، عسى أن يطمئن الجيل المعاصر بأن الله تعالى لم يترك الإنسان سدى، ولا أنزل الشرائع عبثاً، ولا بعث الأنبياء شططاً، ولا اصطفى الأوصياء اعتباطاً، فهناك غاية كبرى في متابعة الإنسان في حركاته وسكناته ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّي عن بيّنة، وتكون كلمة الله هي العليا في الأرض، وذلك بإظهار دينه على الدين كلّه، وهو ما ستحققه في مستقبل الأيام ـ بإذن الله ـ رسالة الإمام المهدي عليه السلام في قيام دولة الإسلام العالمية.

وقد توخيت في هذا الكتاب أن يواكب الهدف الفني الهدف الديني في العرض والأسلوب والمعالجة، وسعيت أن يكون مشرق العبارة، رقيق الأداء واضح الدلالة، بعيداً عن العقم الجدلي والطرح المبهم.

وقد انتظم في بابين وتسعة فصول على النحو الآتي:

فكان الباب الأول بعنوان (الإمام المهدي من الميلاد حتى الظهور العظيم) وقد اشتمل على خمسة فصول معمّقة في البحث والنتائج.

الفصل الأول، وهو بعنوان: (الإمام المهدي المنتظر/ حقيقة تاريخية... لا فرضية فلسفية) بخمسة مباحث هي:

١. الحقيقة التاريخية في ضوء النقد التحليلي.
٢. التكتم على ميلاد الإمام المهدي المنتظر.

٣. الملامح المميزة لصفات الإمام المنتظر.
٤. إعلان النظام العباسي لحالة الطوارئ.
٥. الغيبة حذر الطواغيت: أسبابها وأسرارها.

وكان الفصل الثاني بعنوان: (قيادة الإمام المهدي في الغيبة الصغرى).

وقد انتظم في ثلاثة مباحث مكثّفة على النحو الآتي:

١. سفارة النوّاب الأربعة ظاهرة إيجابية.
٢. إدارة شؤون الأمة ومتابعة الأحداث.
٣. رعاية مصالح الأفراد بلمح غيبي.

وكان الفصل الثالث بعنوان: (الغيبة الكبرى.. ثبوتها وعوائدها التجريبية).

وقد انتظم في أربعة مباحث مركزّة على النحو الآتي:

١. ثبوت الغيبة الكبرى.
٢. استقبال الفتن بالثبات على المبدأ.
٣. إيجابية انتظار الفرج المنفّذ.
٤. الترقّب الواعي خطوة حضارية.

وكان الفصل الرابع بعنوان: (علامات الظهور المبارك).

وقد انتظم في ستة مباحث متتابعة هي:

١. العنصر الغيبي في علامات الظهور.
٢. استطراد منهجي في نوعية علائم الظهور.
٣. الظواهر الكونية.
٤. الظواهر الاجتماعية.
٥. الظواهر العسكرية.
٦. ظواهر أخرى في علائم الظهور.

وكان الفصل الخامس بعنوان: (أعلام بارزة تستبق الظهور الشريف).

وقد انتظم في ثمانية مباحث طريفة هي:

توطئة في الأسماء اللاحقة.

١. السفياني.
٢. اليماني.
٣. النفس الزكية.
٤. الخراساني.
٥. الشيصباني.
٦. الحسني.
٧. عوف السلمي.
٨. عبد الله.. ملكاً أو حاكماً.

وبهذا ينتهي الباب الأول من الكتاب.

وكان الباب الثاني بعنوان (الظهور المبارك وقيام الدولة العالمية).

وقد انتظم في أربعة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول، وهو بعنوان: (الإمام المهدي في الحجاز).

وقد اشتمل على خمسة مباحث أصيلة، هي:

١. الإمام المهدي في المدينة المنورة.
٢. تجمّع القادة من أصحاب الإمام في مكة المكرمة.
٣. إعلان الظهور المبارك من المسجد الحرام.
٤. تحرير المدينة المنوّرة والسيطرة الكاملة على الحجاز.
٥. طبيعة النصر الإلهي للإمام المهدي.

وكان الفصل الثاني بعنوان: (الإمام المهدي في العراق).

وقد اشتمل على خمسة مباحث رائعة، هي:

١. دخول الإمام النجف الأشرف والكوفة.
٢. الإمام المهدي في الكوفة الغرّاء.
٣. الإمام يتخذ الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية.
٤. الإمام في مجابهة الخوارج وأعداء الإسلام.
٥. ازدهار الحياة في الكوفة والعراق.

وكان الفصل الثالث بعنوان: (الإمام المهدي في الشام الكبرى).

وقد اشتمل على خمسة مباحث مركّزة، هي:

١. الذعر يمتلك السفياني وحلفاءه.
٢. عناصر التأييد الغيبي للإمام المهدي.
٣. تحرير القدس الشريف على يد الإمام.
٤. نزول المسيح عيسى بن مريم من السماء.
٥. الهدنة والحرب بين الإمام والأوربيين.

وكان الفصل الرابع بعنوان: (دولة الإسلام العالمية).

وقد اشتمل على ستة مباحث قيّمة، هي:

١. تطبيع الاسباب في السيطرة على العالم.
٢. حكومة الإمام المهدي وأحكامه.
٣. سيادة الإسلام في دولة الإمام.
٤. الدولة الجديدة والتكامل الإنساني.
٥. تطوّر الحياة الاقتصادية والعلمية في دولة الاسلام العالمية.
٦. كم هي مدة حكم الإمام للعالم.

وكانت مصادر هذا البحث وموارده في مجموعات ثلاث:

١. كتب التفسير والحديث روايةً ودرايةً.
٢. كتب التاريخ والسيرة والتراجم.

٣. شذرات من كتب الفلسفة وعلم الكلام.

كما رجعت إلى من سبق إلى الموضوع بخاصة قديماً وحديثاً.

وقد أفدت مما كتبه في مؤلفاته الممتازة سماحة الأخ العلامة الشيخ علي الكوراني خريج جامعة النجف الأشرف في التفاتات بارعة ولقطات ثمينة، فان كان الأمر كذلك، فبيني وبينه قول ابن مالك:

وهـوَ بـسَـبـقٍ حـائـزٌ تفضيلاَ
مـسـتـوجـبٌ ثـنـائـي الجميلا
والله يـقـضـي بـهـبـاتٍ وافـرة
لـي ولـه فـي درجـات الآخـرة

ولقد حاولت في هذه الرسالة الهيمنة على شتات هذا الموضوع المتناثرة هنا وهناك، فقرّبت البعيد، وأوضحت الغموض، ودفعت الإشكالية، فإن وفقت إلى ذلك فبفضل من الله تعالى وبركة الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف، وإن كانت الأخرى فلي من سلامة القصد خير عذير، عسى أن ينتفع به المؤمنون وأنتفع ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

النجف الأشرف/ جامعة الكوفة
محمد حسين علي الصغير

الباب الأول

الإمام المهدي من الميلاد حتى الظهور العظيم

١. الفصل الأول: الإمام المهدي المنتظر حقيقة تاريخية.. لا فرضية فلسفية

٢. الفصل الثاني: قيادة الإمام المهدي في الغيبة الصغرى

٣. الفصل الثالث: الغيبة الكبرى.. ثبوتها وعوائدها التجريبية

٤. الفصل الرابع: علامات الظهور المبارك

٥. الفصل الخامس: أعلام بارزة تستبق الظهور الشريف

الفصل الأول

الإمام المهدي المنتظر حقيقة تاريخية.. لا فرضية فلسفية

١. الحقيقة التاريخية في ضوء النقد التحليلي

٢. التكتم على ميلاد الإمام المهدي المنتظر

٣. الملامح المميزة لصفات الإمام المنتظر

٤. إعلان النظام العباسي لحالة الطوارئ

٥. الغيبة حذر الطواغيت أسبابها وأسرارها

الحقيقة التاريخية في ضوء النقد التحليلي

الحقيقة التاريخية تنطلق في ضوء النقد التاريخي للأحداث من وقائع شواهدها، وتنعقد بتضافر أخبارها، وتتأكد بتواتر رواياتها، وإن موضوعاً واحداً حفل بأربعين فصلاً اشتملت على آلاف الأحاديث الشريفة في كتاب واحـد، جديرٌ بثبوته متواتراً، إذ بلغت تلك الأحاديث من الشهرة والاستفاضة والتعددية ولمختلف طوائف الأمّة الإسلامية حداً يقطع معه بصحة ذلك الموضوع.(١)

وإن موضوعاً واحداً احتضنه علماء الإمامية في إثني عشر قرناً بالدرس والتمحيص والتعقيب والتنظير والمحاججة لحريٌّ بأن يكشف عن أسرار ثبوته ووسائل إثباته.

يضاف إلى ذلك كله أن أكثر من مائة عالم من علماء الجمهور قد عرضوا له بالبحث والإقرار في كتب الحديث والسيرة والتراجم والتواريخ والعقائد، مما يبرهن على أهميته، ويدعو إلى التدبّر الواعي في آثاره البارزة.

وقد حدب علماؤنا الأعلام سلفاً وخلفاً على تخصيص مصنفات

(١) ظ: علي الكوراني/ المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي في أربعين فصلاً.

سائرة عن الإمام المنتظر تجاوزت حد الإحصاء كثرةً وتفصيلاً، وهم يطرحون قضيته في ضوء الحديث المتواتر، ويبحثون مفرداته المتعددة في ضوء البراهين والحجج القاطعة، مما يوحي بداهةً بأنه حقيقة تاريخية محضة، لا فرضية فلسفية طارئة، وذلك ما يجعل البحث عنه متداولاً، والحديث عنه مطّرداً، والاعتقاد به أمراً ضرورياً لازماً، لأنه في نظر الإمامية من أصول الدين، ويلي النبوة مباشرة.

أمّا مصنفات المسلمين الأخرى التي عرضت للموضوع في طياتها، أو أفردته بكتاب خاص به، فتتعدى حدود الإحصاء، فلا أعلم كتاباً حديثياً واحداً لدى الجمهور إلاّ وفيه أحاديث عديدة، أوردت جزءاً يعتدّ به مما نتحدث عنه، إما بالتصريح أو الصفة، أو الكناية نظراً للظروف السياسية التي تحيط بهم وبالموضوع.

أمّا كتب الفكر والعقيدة وعلم الكلام فقد أوردت إقرارها بالموضوع حيناً، أو استفسارها عن حقيقة الأمر حيناً آخر، أو تشكيكها لا في أصل الموضوع بل بشيء من آثاره، أو لمحة من أخباره.

ومبدأ المصلح المنتظر والقائد المنقذ تستوي الديانات السماوية في إيراده، وإثبات أصالته في صلب العقائد والأديان، وكان التشخيص مختلفاً بذواته، متّحداً بمبدئه.

وليس هناك من المسلمين من ينكر هذه الحقيقة إطلاقاً، فقد أجمعوا أن علوياً من ذرية علي والزهراء عليهما السلام، سوف يتسلم قيادة الأمة الإسلامية آخر الزمان، إلاّ أنهم افترقوا في ذلك تاريخياً، فطائفة تقول بولادته وغيبته من الفريقين، وأخرى تقول بأنه سيولد فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وعلى هذا فأصل الموضوع ثابت كمبدأ أولي، وإنما الاختلاف في

تاريخه، تاريخ الولادة والإيجاد، لا تاريخ الحقيقة والأصل.

وفي هذا الضوء يكون الإقرار بالمبدأ متوافراً، والاعلان بالإيذان في تحقيقه مختلفاً زمانياً، وبهذا القدر الجامع يكون المنقذ الأعظم المبشر به من قبل الرسول الأعظم حقيقة تاريخية.. لا أطروحة جدلية، تحقيقاً للوعد الإلهي الحق في سياق قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾(١)

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾(٢)

وفي الآيتين الكريمتين دلالة مؤكدة على تنفيذ وعد الله وإحلاله بإظهار الدين الإسلامي على بقية الأديان في الأرض، وقد جعل ذاته القدسية شهيداً على هذا الوعد في الآية الأولى، وقد صرح في الآية الثانية بكراهية المشركين لذلك وهو مع هذا سيظهر دينه آجلاً أو عاجلاً.

والواقع على الأرض أمس واليوم يشهد بأن المسيحية هي الظاهرة بكثرتها وأعدادها وقواها، ولابد للوعد الإلهي أن يتحقق، والدلالة الإيحائية في النص القرآني تشهد بأن الوعد سيتحقق، ويكون ذلك ملتصقاً بصاحب الرسالة محمد ﷺ وصاحب الأمر عجل الله فرجه، يمثل الأطروحة نفسها في السعي لإظهار دين الله تعالى، وهو من رسول الله نسباً وعملاً، وسيكون ظهور الدين على يديه حينما يعيد الإسلام غضاً طرياً نابضاً بالحركة والحياة بعد اندراس معالمه، وذلك لدى قيام الدولة العالمية للإسلام بظهوره الشريف المرتقب.

ولا غرابة أن يكون الإمام المهدي المنتظر المصداق البارز لقوله

---

(١) سورة الفتح/ ٢٨.

(٢) سورة التوبة/ ٣٣.

تعالى:

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾(١)

وفي الوراثة في الآية دلالة مركزية تعني صيرورة مصير الأرض لمن يرثها ـ بتقدير وتقرير من الله تعالى ـ من المستضعفين الذين سيجعلهم أئمة يرثون الأرض وما عليها، وبهذا وذاك وسواهما تتجلى مصداقية الوعد الإلهي الحق.

وقد أجمع الإمامية على ذلك، فهم إمامية إثنا عشرية، وقد سبق لأحد عشر إماماً القيام بمنصب الولاية الإلهية، فلا بد لصاحب الأمر عليه السلام من القيام بذلك لأنه الإمام الثاني عشر لدى الإمامية إجماعاً، وذلك لأن العقل السليم ـ فضلاً عن الأحاديث الشريفة ـ يقضي بوجوب الرئاسة الدينية وقيادتها في الأرض في كل زمان، وإلاّ لما بلغت رسالة الإسلام، إذ لابد لله في الأرض من حجة، ولابد لهذا القائد من العصمة لأداء الرسالة دون سهوٍ أو نسيان ولا زيادة أو نقصان، ليكون التبليغ متكاملاً، والقيام بالأمر صادعاً، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«إن الأرض لو بقيت بغير إمامٍ ساعةً لساخت.»(٢)

ولمّا ثبتت إمامة آبائه عليهم السلام بالنص والمؤهلات العليا، فقد ثبتت إمامة صاحب الأمر عليه السلام بالنص عليه أيضاً، ولما كانت الحاجة إلى إمام مفترض الطاعة في كل العصور، كان الإيمان بوجوده ضرورياً إذ لم يدّعِ عند الإمامية إمام موجود غيره، ولا ادّعى أحد الوجود سواه، فكان القول بوجوده بناءً على المقدمات العقلية نتيجة عقلية لا مناص عنها.

---

(١) سورة القصص/ ٥.

(٢) الطوسي/ تلخيص الشافي/ ٢١١.

قال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ):

«إن الإمام اليوم هو: الخلف الحجة القائم المنتظر المهدي محمد بن الحسن صاحب الزمان... وإن المهدي حيٌّ موجود من زمن أبيه الحسن العسكري إلى زماننا هذا بدليل: أن كل زمان لابد فيه من إمام معصوم، مع أن الإمامة لطفٌ، واللطف واجب على الله تعالى في كل وقت.»(١)

وليس أمراً جديداً بحكم العقل أن على كل من قال بإمامة الأحد عشر إماماً من آباء صاحب الأمر ـ أو ظهر له القول بذلك وإن لم يتخذه معتقداً ـ لزمه القول بإمامته عليه السلام باعتباره الثاني عشر منهم، ولنصوص آبائه عليه باسمه ونسبه، ولإجماع شيعتهم على القول بإمامته، وأنه القائم الذي يظهر بعد غيبة طويلة، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً.(٢)

وهكذا الأمر عند الإمامية، وهو الصواب من معتقدهم، وهو مما لا يختلف به إثنان منهم.

والأحاديث التي يرويها علماء الجمهور تؤكد على حقائق ذات أهمية خاصة لأنها تغني عن التمحل وضبابية الرؤية، ففيها وضوح في الأمر، ومأثور من السنة، وتواتر في الأخبار، مما يدحض الشك باليقين، ويدفع بالشبهات وراء الأكمات، فقد روى البخاري بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «قال رسول الله: كيف أنتم إذ نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم.»(٣)

ومثله في صحيح مسلم، وقد رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«كيف بكم إذا نزل فيكم ابن مريم حكماً، فأمّكم، أو قال: وإمامكم

---

(١) الطوسي/ الغيبة/ ١٣٢.

(٢) ظ: الصدوق/ كمال الدين/ ٤٤ و٩٣.

(٣) البخاري/ الجامع الصحيح/ ٤/ ٢٠٥.

منكم.»[١]

وعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «... فيلتفت المهدي، وقد نزل عيسى عليه السلام كأنما يقطر من شعره الماء، فيقول المهدي: تقدّم بالناس!!

فيقول عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك، فيصلي عيسى خلف رجل من ولدي، فإذا صليت قام عيسى حتى يجلس في المقام فيبايعه.»[٢]

وهنا تأكيد أن المهدي يصلي بعد الظهور جماعة، ويصلي خلفه عيسى، وإذا ثبت هذا متواتراً، فالمقدمات من الولادة والإمامة والغيبة والظهور للامام لا خلاف فيها، والنتائج الصحيحة تبنى على مقدمات صحيحة.

وهناك روايات بالعشرات تؤكد أن المهدي من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ولد فاطمة عليها السلام.[٣]

وأن المهدي يقاتل على سنة الرسول الأعظم كما قاتل النبي على الوحي.[٤]

وأن المهدي وجهه كالكوب الدريّ من ولد رسول الله.[٥]

وهذه الأحاديث التي أشرنا إلى مصادرها وأعطينا مضامينها تؤكد صراحة: أن صاحب الأمر من العترة النبوية الطاهرة، وأنه سيقاتل على السنة كما قاتل جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الوحي، وأن المهدي سيصلي خلفه عيسى بن مريم، وأنه من ذرية فاطمة الزهراء، وأن وجهه كالكوب

---

(١) أحمد بن حنبل/ المسند ٢٧٢/٢ و٣٣٦.

(٢) الكنجي الشافعي/ البيان/ ٤٩٧ + ابن حجر/ الصواعق المحرقة/ ١٦٤.

(٣) السلمي الشافعي/ عقد الدرر/ ٧٣.

(٤) المناوي/ فيض القدير ٢٧٩/٦.

(٥) ابن حجر/ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٣٦٢/٥.

الدريّ.

ويستظهر من هذا أن الإمام في ظهوره وقيامه بالأمر امتداداً للرسالة ـ دون أدنى شك ـ في الأداء والتنفيذ، وأن نبياً له منزلته العظمى عند الله تعالى، ومن أولي العزم، وهو عيسى عليه السلام يأتم به، ويصلي خلفه.

وهذه مفردات لها أهميتها أعربت عنها مئات الأحاديث المسندة، مما يقطع دابر المشككين والمرجفين والمنكرين والحاقدين باعتبار الأمر حقيقة تاريخية ثابتة بالدليل والحس والوجدان.

وهذا ما يوحي بحتمية وجود الحجة حيّاً في الأرض، منذ ولادته حتى اليوم الموعود بظهوره المبارك، وإقامة دولة الحق والعدل الإلهي في آخر الزمان.

التكتم على ميلاد الإمام المهدي المنتظر

هنالك شبه إجماع وثائقي على أن ولادة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام: فجر يوم الجمعة، الخامس عشر من شعبان المعظّم، سنة خمس وخمسين ومائتين من الهجرة المباركة.(١)

وهو الإمام أبو القاسم، محمد المهدي بن الإمام الحسن العسكري ابن الإمام علي الهادي بن الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن سيد الشهداء الإمام الحسين بن الإمام أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين علي بن أبي طالب، عليهم السلام.

وكان زواج أبيه الإمام الحسن العسكري قد جرى بسريّة تامة إلا عند القلائل، ثم خفاء أمر أمه به، ثم التكتم على اسم الأم بالذات حذر قبض السلطة عليها، أو ممارسة الضغط عليها للإخبار عن ولدها، فهي «نرجس» في أشهر الروايات، وهي «صقيل» في سواها، وهي «سوسن»

(١) ظ: الكليني/ الكافي ١/١٥٤ + الصدوق/ كمال الدين/ ٢٤٠ + المفيد/ الارشاد /٣٧٢ + المسعودي/ إثبات الوصية/ ٢١٩ + ابن خلكان/ وفيات الأعيان ٢/٣٣٦ + ابن طولون/ الأئمة الإثنا عشر/ ١١٧ + الأربلي/ كشف الغمة ٣/٢٤٣ + الصفدي/ الوافي بالوفيات ٢/٣٣٦ + المجلسي/ بحار الأنوار ٥١/ ٤ و٢٨ + القهبائي/ مجمع الرجال ٧/١٨٩ + الجواهري/ جواهر الكلام ٢٠/١٠٠.

في غيرها، وهي «ريحانة» عند آخرين، وهي «خمط» عند بعض المحدثين[١].

وجاء الاختلاف في الاسم مقصوداً إليه فيما يبدو، لئلا يكتشف أمر والدته على التعيين من بين إماء الحسن العسكري عليه السلام.

يضاف إلى هذا التكتم على ولادة الإمام داخلياً، إذ لم تحضرها إلاّ عمة الإمام الحسن العسكري السيدة حكيمة بنت الإمام محمد الجواد التي طلب منها الإمام العسكري عليه السلام أن تكون في الصورة حضوراً في دار الإمام لقرب موعد ميلاد وليّ الله، لتتولى من شؤون والدته ما تتولاه النساء من النساء حين الولادة، فحدثت الولادة عند الفجر، فأخذت السيدة حكيمة الوليد الجديد بعد أن لفته في ثوب، وحملته إلى أبي محمد العسكري عليه السلام.[٢]

فتناوله الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وأخرج لسانه فمسح على عينيه ففتحهما، ثم أدخله في فيه، فحنّكه.[٣] وأذّن الإمام العسكري في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى.[٤] وعقّ عنه بكبشين.[٥]

ثم أمر الإمام العسكري بتوزيع الخبز الكثير الوافي على الفقراء والطعام على المساكين والأولياء بما تداولته المصادر كثرة ووفرة.[٦]

وكان التكتم على نبأ الميلاد الميمون جارياً إلاّ عن الصفوة وعليّة

---

(١) ظ: المفيد/ الارشاد/ ٣٧٢ + ابن طلحة/ مطالب السؤول ٢/٨٠ + سبط ابن الجوزي/ تذكرة الخواص/ ٣٧٧ + الاربلي/ كشف الغمة ٣/٢٣٤ + ابن الصباغ/ الفصول المهمة/ ٢٧٤ + ابن عنبة/ عمدة الطالب/ ١٨٨ + المجلسي/ بحار الأنوار ٥١/١٢ + الشبلنجي/ نور الأبصار/ ١٥٤.

(٢) ظ: المسعودي/ إثبات الوصية/ ٢١٨.

(٣) ظ: الطبرسي/ إعلام الورى ٢/٢١٦ + المجلسي/البحار ٥١/١٨.

(٤) ظ: القندوزي/ ينابيع المودّة/ ٣٨٧.

(٥) ظ: المسعودي/ إثبات الوصية/ ٢١٩.

(٦) ظ: الصدوق/ كمال الدين/ ٢٤٠ + المجلسي/ البحار ٥١/٥، ٢٢، ٢٨.

الأصحاب والأقارب حفاظاً عليه من السلطان، وحرصاً على سلامته من الظالمين، وذلك لصعوبة ذلك الزمان، وشدّة طلب السلطان، واجتهاد طواغيث العصر في البحث عنه.(١)

وذلك لعلم السلطة اليقيني أن هذا الوليد هو المنتظر لإقامة دولة العدل الإلهي، وذلك ما يقلقهم ويفزعهم، وقد تلقوا ذلك عن مصادرهم من آبائهم، وأنه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.(٢)

لذلك كان تعقّب أجهزة الدولة العباسية لجواري الإمام الحسن العسكري جارياً على أشدّه عند وفاته، وقبضها على بعضهن، وإيداعها المعتقل لشبهة الحمل، تغطيةً منها على ولادة الإمام المهدي عليه السلام.

وكان لخفاء تواجد الإمام المهدي العلني، ولاختفائه عن الأنظار، والتعمية على مكانه وحلّه وترحاله، إلاّ من قبل الصفوة المختارة من النواب والوكلاء والأمناء على دين الله، مثار اضطراب وارتباك للسلطة والنظام العباسي.

يقول الأستاذ الشيخ محمد حسن آل ياسين طاب ثراه:

«وطبيعي أن تثير هذه السريّة المتعددة الجوانب كثيراً من الشكوك في نفوس الأبعدين عن دائرة الارتباط الوثيق والعلاقة المباشرة بشؤون الإمامة والأئمة، وهم الذين لم يعلموا بنبأ ولادته كي يقرّوا بوجوده، وكانت للسلطة يدٌ طولى في تلك الحرب النفسية المستغلة لكتمان أمر هذا الوليد لنفي ميلاده وتكذيب خبره، وإن بقيت تبحث عنه هنا وهناك

---

(١) ظ: المفيد/ الإرشاد/ ٣٧١ + الطبرسي/ إعلام الورى ١٥١/٢ + ابن شهراشوب/ المناقب ٤٥٧/٣ + الاربلي/ كشف الغمة ١١/٣ + ابن الصبّاغ/ الفصول/ ٢٧٢.

(٢) ظ: أبو داوود/ السنن ٤٢٢/٢ + سبط ابن الجوزي/ تذكرة الخواص/ ٣٧٧ + الكنجي الشافعي/ البيان في أخبار صاحب الزمان/ ٥٦ـ٥٩ + ابن حجر/ الصواعق المحرقة/ ٩٧ ـ ٩٩.

حقبة من الزمن حتى أيست من استطاعتها العثور عليه والإمساك به.»[١]

وكانت السلطة متناقضة في تحركها الإعلامي ضد الإمام المهدي عليه السلام، فبينا هي تكذّب خبر ميلاده وتنكر وجوده، وإذا بها تكبس دار أبيه للتفتيش عنه، وبينا هي تتبنى حملة التشكيك به، وإذا بها تبحث عنه بشتى المسالك، وبينا هي تدعم كل الأصوات المعلنة تكذيب أمره جملة وتفصيلاً، وإذا بها تعتقد اعتقاداً جازماً بوجوده وميلاده وحياته، وتتعقبه تحت كل حجر ومدر إطفاءً لنار حقدها، وإرضاءً لعوامل سخطها، ومداراةً لهواجس تخوّفها، وإشباعاً لرغبة القضاء على ذكر أهل البيت.

ومما عمدت إليه السلطة أن أيّدت ـ إلى حين ـ دعوى جعفر الكذّاب خلافة أخيه الحسن العسكري في الإمامة، وافتراءه بادّعاء الولاية الإلهية، إلا أن الإمامية رفضوا هذه الدعوى وسخروا منها، لمعرفتهم الحقيقة بمداخلات جعفر هذا في اللهو والعبث ومجانبة خطّ الأئمة عليهم السلام ولم يحظ من العلم بطائل، وليس له ما يؤهله للقيادة إطلاقاً، ومع إدراك هذه الحقيقة المرّة لدى مركز الخلافة العباسية إلاّ أن السلطان أيّده عسى أن يسبب ذلك شيئاً من الحيرة والارتباك لدى أولياء الأئمة، ولكن أتباع الأئمة من الثقات والأمناء على دين الله قد أماطوا اللثام عن جهل جعفر الكذّاب، وعدم إحاطته بشيء من العلم اللدني الذي يتمتع به الأئمة المعصومون عليهم السلام، وقد كشف جعفر عن عدم اضطلاعه بأي شيء مما ينبغي أن يعلمه الإمام، وردّ على أسئلة أولياء أهل البيت بأن ذلك من علم الغيب الذي لا يهتدي إليه، وكان ذلك منه مغالطة صريحة، إذ أن

---

(١) محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن الحسن المهدي/ ٢٣.

الأخبار بجزء من المغيبات ليس علماً للغيب بالمعنى الأخصّ، ولكنه علم من ذي علم، مما علمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأمير المؤمنين عليه السلام، فأفاض به أمير المؤمنين على أبنائه المعصومين بالرواية أو بالأثر المحفوظ خلفاً عن سلف.

وقد صحّ في كتب الحديث إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما سيجري، واضطلاعه بعلم ذلك حتى قيام الساعة.[١]

ومع ظهور الدلائل لجعفر الكذاب على صدق ابن أخيه الحجة المنتظر، ومع علمه بأنه صاحب الأمر بين أهل البيت بعد وفاة أبيه، إلاّ أنه ظل سادراً في غيّه، مصرّاً على عناده، رغبة في الدنيا والجاه وحب الرئاسة، وابتعاداً عن الدين ودساتيره.

والطريف في الأمر أن يرى جعفر نفسه الإمام المهدي في ثلاث وقائع:

الأولى: حينما أراد الصلاة على أخيه العسكري، فجبذ (جذب) الإمام المهدي برداء جعفر، وقال:

«تأخر ياعم، فأنا أحق بالصلاة على أبي» فتأخر جعفر وقد اربد وجهه، وصلى الإمام المنتظر على أبيه.[٢]

الثانية: حينما نازع في ميراث أخيه الإمام العسكري، فظهر له الإمام المهدي من موضع لم يعلم به، وقال لجعفر:

«يا جعفر مالك تتعرض في حقوقي؟» ثم غاب عنه.[٣]

---

(١) ظ: البخاري/ الصحيح ١٢٩/٤ + ابن حنبل/ المسند ٢٥٤/٤ و٣٨٥/٥ + أبو داوود/ السنن ٤١٠/٢ + الترمذي/ السنن ٤٨٣/٤ـ٤٨٤.

(٢) ظ: الصدوق/ إكمال الدين/ ٤٧٥/٢/ طبع طهران/ ١٣٩٥ هـ.

(٣) ظ المصدر نفسه ٤٤٢/٣.

الثالثة: لدى وفاة والدة الإمام الحسن العسكري، وقد أوصت أن تدفن في الدار، فنازعهم جعفر في ذلك، وقال: هي داري!! لا تدفن فيها، فظهر له المهدي: يا جعفر.. أدارك هي؟ ثم غاب عنه.[1]

---

(١) ظ المصدر نفسه ٣/٤٤٢.

الملامح المميزة لصفات الإمام المنتظر

هنالك في الاثار ملامح جليلة مميزة لصفة الإمام المهدي البدنية، وهي بمجموعها تحكي كريم صفاته، وجميل خلقه، وتكامل حواسه، وإشراق طلعته الغرّاء، وباستعراض تلك الملامح وهي متكررة الورود في عشرات الأحاديث الشريفة، نخلص إلى الرائع من أبعادها، وكل أبعادها رائعة، ونبدؤها بما أورده ابن حجر بسنده:

«المهدي وجهه كالكوب الدريّ»[١]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام «والكوكب الدريّ القائم المهدي»[٢]

وفي الحديث الأول إيحاء مركزي بجمال وجه الإمام واستنارته واستدارته وبهائه الأسمى، إلاّ أن الحديث الثاني اعتبر المهدي نفسه كوكباً دريّاً، وهو تعبير بالاستعارة عن إشراق الكون بضيائه، وإنقاذ البشرية من الظلمات بنوره.

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) ابن حجر/ فتح الباري ٣٦٢/٥.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٣/٩٣.

«المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف...»[1]

وأجلى الجبهة الذي انحسر الشعر عن جبهته وخفّ عن جانبيها.

وأقنى الأنف: طويله مع دقة عرنينه.[2]

وعن أبي سعد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي: أجلّى أقنى»[3]

وعن أبي سعيد الخدري أيضاً، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يقوم في آخر الزمان رجل من عترتي: شابٌّ، حَسَنُ الوجه، أجلى الجبين، أقنى الأنف.»[4]

وهذه الأحاديث متضافرة في بيان صفة وجهه الكريم، فهو كوكبٌ دريٌّ يضيء، وهو أجلى الجبهة والجبين، قد انحسر الشعر عن جانبي جبهته، وهو طويل الأنف دقيق العرنين.

وهناك أحاديث أخرى تحدثت عن الشكل العام الذي عليه الإمام المنتظر، أبرزها ما رواه حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«المهدي رجل من ولدي، وجهه كالقمر الدريّ، اللون لون عربي، والجسم جسم إسرائيلي.»[5]

وقد ورد في صفة المهدي عليه السلام: أن لونه لون النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أبيض مشرّب بحمرة، وجسمه كأجسام أبناء يعقوب عليه السلام، وقد كان بنو ابراهيم معروفين بكمال الأجسام وجمال الوجوه، ومعناه أن صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وصفات ابراهيم عليه السلام: ظاهرة في المهدي عجل الله فرجه[6]

---

(١) أبو داوود/ السنن ١٠٧/٤ + السيوطي/ الدرّ المنثور ٥٧/٦.

(٢) ظ: علي الكوراني/ المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي/ ٢٤٣.

(٣) ابن حنبل/ المسند ١٧/٣.

(٤) الداني/ السنن/ ٩٤.

(٥) انظر: علي الكوراني/ المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي/ ٢٤٤ وانظر مصادره.

(٦) انظر: علي الكوراني/ المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي/ ٢٤٤ وانظر مصادره.

وكان الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قد تحدث عن نموذج آخر حول منظر الإمام وهيئته في السن والشكل بما رواه أبو الصلت الهروي، قال: قلتُ للرضا عليه السلام: «ما علامات القائم منكم إذا خرج؟.

قال: علامته أن يكون شيخ السنّ، شاب المنظر، حتى أن الناظر إليه ليحسبه ابن أربعين سنة أو دونها، وإن من علاماته أن لا يهرم بمرور الأيام والليالي حتى يأتي أجله.»(١)

وكان الإمام جعفر الصادق عليه السلام قد أوضح صفة الإمام في عمره، فقال:

«لو قد قام القائم لأنكره الناس، لأنه يرجع إليهم شاباً موفقاً»(٢)

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام يتحدث فيها عن محنة الناس، وهم يفجأون بشبابية الإمام، قال: «وإن أعظم البلية أن يخرج إليهم صاحبهم شاباً، وهم يحسبونه شيخاً كبيراً.»(٣)

ومن الأحاديث ما يفصل في الشكل والصفة، فمما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام عن أبيه عن جده، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو على المنبر:

«يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان: أبيض اللون، مشرّب بحمرة، مبدح البطن، عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكبين، بظهره شامتان، شامة على لون جلده، وشامة على شبه شامة النبي صلى الله عليه وآله»(٤)

وفي رواية حمران بن أعين في صفة القائم، أن الإمام الباقر عليه السلام

---

(١) الطبرسي/ إعلام الورى/ ٤٣٥ + القطب الراوندي/ الخرائج والجرائح ٣/١١٧٠ + الحر العاملي/ إثبات الهداة ٣/٧٢٢ + المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٣٨٥.

(٢) النعماني/ الغيبة/ ١٨٨.

(٣) السلمي الشافعي/ عقد الدرر/٤١ + الطوسي/ الغيبة/ ٢٥٩.

(٤) الصدوق/ كمال الدين ٢/٦٥٣.

قال: «ذاك المشرّب حمرة، الغائر العينين، المشرف الحاجبين، العريض ما بين المنكبين، برأسه حزاز، وبوجهه أثر، رحم الله موسى.»(١)

ولعل ترحم الإمام الرضا عليه السلام على موسى أنه: شبيه موسى بن عمران عليه السلام، أو أنه شبيه أومن أبناء موسى بن جعفر عليه السلام.

هذه هي ملامح الإمام المنتظر في الروايات والأحاديث قبل أن يولد، وهي تتحدث عن صفته عند الظهور المبارك، أما ملامحه بعد ولادته مشاهدةً من قبل أولياء الله المؤتمنين ممن عاصر أباه الإمام الحسن العسكري، وممن شاهده عياناً، وعمن واكب أحداث الغيبة الصغرى، فتتحدث عن ذلك روايات أخرى، فيها غناء عن التكهن في ملامحه، فلدى صلاة الإمام المنتظر على جثمان أبيه، جاءت الصفة عنه كالآتي:

«فخرج صبيٌ بوجهه سمرة، بشعره قطط، بأسنانه تفليج.»(٢)

والشعر القطط هو الشعر المجعّد، وتفليج الأسنان تباعد بعضها عن بعض نسبياً، وهي صفة لأسنان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما ذكر ذلك المؤرخون.

هذا وقد اجتمع إلى أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام من أصحابه الثقات طائفة، وفي مجلسه أربعون رجلاً جاؤوا ليسألوه عن الإمام المهدي عليه السلام، فأخرجه إليهم، قالوا:

«فإذا غلامٌ كأنه قطعة قمر، أشبه الناس بأبي محمد.»(٣)

يعنون بذلك أباه الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

وسأل أحمد بن اسحق، وأمره بالوثاقة معروف، الإمام الحسن العسكري عليه السلام قائلاً:

---

(١) النعماني/ الغيبة/ ٢١٥.

(٢) الصدوق/ إكمال الدين ٤٧٥/٢.

(٣) الطوسي/ الغيبة/ ٢١٧/ طبعة طهران/ ١٣٩٨ هـ.

«...فمن الإمام والخليفة بعدك؟

فنهض (الإمام الحسن العسكري) مسرعاً فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام، كأن وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء ثلاث سنين...»(١)

وفي سؤال يعقوب بن منقوش للإمام الحسن العسكري عليه السلام:

«يا سيدي: من صاحب هذا الأمر؟

فقال: ارفع الستر!!

فرفعته، فخرج إلينا غلامٌ خماسي له عشر أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين، أبيض الوجه، دريّ المقلتين، شثن الكفين، معطوف الركبتين، في خده الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة...»(٢)

والمراد ـ والله العالم ـ بدريّ المقلتين: أنهما يتلألآن.

وشثن الكفين: أنهما قويان شديدان مفتولان.

ومعطوف الركبتين: كناية عن عظم الركبتين وتقدمهما.

والذؤابة: ما ضفر من شعر الرأس، فكأن المراد أن شعره عليه السلام كان مضفوراً آنذاك.

وهو خماسي: أي أن طوله خمسة أشبار.

وقد تحدث أبو عمرو عثمان بن سعيد الوكيل الأول لصاحب الأمر، عن صفة الإمام في الخلق حينما سأله عبد الله بن جعفر بحضور أحمد بن اسحق: هل رأيت ابن أبي محمد الذي هو صاحب الزمان؟ قال: قد رأيته عليه السلام، وعنقه هكذا؟ (وأشار بيده) يريد أنها أغلظ الرقاب حسناً وتماماً.»(٣)

وهو يعني بذلك ـ والله العالم ـ أنه بالغُ مبالغَ الرجال في الخلقة.

---

(١) الصدوق/ إكمال الدين ٢/٣٨٤.

(٢) الطوسي/ الغيبة/ ٣٥٣.

(٣) الطوسي/ الغيبة/ ٣٥٣.

وسئل الوكيل الثاني لصاحب الأمر: محمد بن عثمان بن سعيد عن رؤية صاحب الأمر، قال: نعم، وآخر عهدي به عند بيت الله الحرام، وهو عليه السلام يقول: «اللهم أنجزْ لي ما وعدتني»

وقال محمد بن عثمان بن سعيد: ورأيته متعلقاً بأستار الكعبة في المستجار وهو يقول: «اللهم انتقم لي من أعدائك.»[1]

ولعل خير ما نختتم به القول عن صفته: ما تحدث به أمير المؤمنين عليه السلام عن ملامحه حينما سأله عمر بن الخطاب عن ذلك، فقال:

«هو شاب مربوع، حسن الوجه، حسن الشعر، يسيل شعره على منكبيه، ويعلو نورُ وجهه سوادَ لحيته ورأسه، بأبي ابن خيرة الاماء.»[2]

(١) ظ: علي الكوراني/ المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي/ ٩ ١٠٠/وأنظر مصادره.
(٢) المفيد/ الأرشاد/ ٤١٠.

إعلان النظام العباسي حالة الطوارئ

لدى وفاة الإمام الحسن العسكري شهيداً عام ٢٥٥ هـ كان الأفق ملتهباً في طلب ولده الإمام المهدي المنتظر، فقد جدّ النظام العباسي بكل قواه وأساليبه من أجل القبض على الإمام المهدي عليه السلام، والتعرف على أمره في الأقل، وقد باءت كل جهودهم المضنية بالفشل، ولم يفلحوا إطلاقاً بمسعاهم الحثيث هذا، وعادوا بخفيّ حنين.

أما الأساليب التي اتخذوها ظلماً وعدواناً، فلا تختلف عن أساليب قوم فرعون في البحث عن موسى عليه السلام، فقد وكلّ السلطان على الفور بدار الإمام الحسن العسكري عند موته، ووكل بجواريه من يتفقد حملهن لكي يظفروا بولده وبقيته على حد تعبير الوزير الأربلي.[1]

وقد هجم أعوان الخلافة العباسية بكل ثقلهم على دار الإمام، وروّعوا من فيها من النساء، وفيهن عقائل بيت الوحي كوالدة الإمام الهادي، والسيدة حكيمة بنت الإمام محمد الجواد عليه السلام، وهي عمة الإمام الحسن العسكري، وبقية جواري الإمام وإمائه، وفتشوا عن الحوامل بزعمهم، بما أوجزه الشيخ الكليني (ت ٣٢٩ هـ) المعاصر للغيبة

---

(١) ظ: الأربلي/ كشف الغمة ٣/٣٤٥.

الصغرى بقوله: «وبعث السلطان إلى داره (الإمام العسكري) من فتشها وفتش حجرها، وختم على جميع من فيها، وطلبوا أثر ولده، وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن، فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل، فجعلت في حجرة، ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم..»[١]

بهذا الأسلوب المتخلف كان الهجوم اللاإنساني على دار الإمام الحسن العسكري عليه السلام من قبل أجهزة النظام العباسي، مّما أثار حالة من السخط والاستنكار في نفوس المسلمين عامة، ونفوس أولياء أهل البيت بخاصة.

ولعل المرأة التي ادّعت أن هناك جاريةً بها حمل، كانت من أتباع الإمام عليه السلام، وأرادت التغطية على موضوع ولده، حتى ينشغلوا بالحمل المتوهم عن طلب حجة الله.

«ولم يزل الذين وكّلوا بحفظ الجارية التي توهم بها الحمل لازمين حتى تبيّن بطلان الحمل، فقسّم ميراثه (الضمير للإمام العسكري) بين أمه وأخيه جعفر، وادّعت أمّه وصيته (تغطيةً على الأمر) وثبت ذلك عند القاضي، والسلطان يطلب ولده.»[٢]

وثبوت ادّعاء أمه للوصية يكشف عن أمر مقصود إليه بالذات، إمّا من الإمام الحسن العسكري فيما خطط له من الإيهام بشأن ولده الإمام المهدي لئلا يتعقبونه، وإمّا من قبل والده إخفاءً لشأن الحجة عليه السلام، وهو إجراء جيد جداً بمثل الحالة التي يمرّ بها بشأن الإمام العسكري في ولده.

ومما يدل عليه تلك الإجراءات الصارمة تجاه بيت الإمام الحسن

(١) الكليني/ الكافي ١/٥٠٥.

(٢) الكليني/ الكافي ١/٥٠٥.

العسكري عليه السلام عند وفاته، بما توسع في ذكر مفرداته الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) وهو قريب من عصر الغيبة الصغرى ،مما يدل على علم الخلافة العباسية إجمالاً مع شدة التكتم بولادة صاحب الأمر يقول الشيخ المفيد:

«وخلّف (يعني الإمام العسكري) ابنه المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت، وشدة طلب السلطان له، واجتهاده في البحث عن أمره، ولما شاع من مذهب الشيعة الإمامية فيه، وعرف من انتظارهم له، فلم يظهر ولده عليه السلام في حياته، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته، وتولى جعفر بن علي أخو أبي محمد عليه السلام أخذ تركته، وسعى في حبس جواري أبي محمد عليه السلام، واعتقال حلائله، وشنّع على أصحابه بانتظار ولده وقطعهم بوجوده، والقول بإمامته، وأغرى بالقوم حتى أخافهم وشرّدهم، وجرى على مخلفي أبي محمد عليه السلام بسبب ذلك كل عظيمة من اعتقال، وحبس، وتهديد، وتصغير، واستخفاف وذل.

ولم يظفر السلطان منهم بطائل، وحاز جعفر ظاهراً تركة أبي محمد عليه السلام، واجتهد في القيام عند الشيعة مقامه، ولم يقبل أحد منهم ذلك، ولا اعتقده فيه، فصار إلى سلطان الوقت يلتمس منه مرتبة أخيه، وبذل مالاً جليلاً، وتقرّب بكل ما ظن أنه يتقرب به، فلم ينتفع بشيء من ذلك.»(١)

وكان ادّعاء جعفر الكذّاب للإمامة مثاراً للإشمئزاز، ومدعاة للسخرية بين صفوف الإمامية، فهو ليس هناك لا في قليل ولا كثير، إلا أن الأدهى من ذلك أن يدخل على المعتمد العباسي فيما أبداه من حركة طائشة

---

(١) المفيد/ الأرشاد/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

«وكشف له وجود خلف للعسكري، فوجه المعتمد بخدمه فقبضوا على صقيل الجارية، وطالبوها بالصبي.. فأنكرته، وادّعت حبلاً لتغطي حال الصبي، فسلّمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، وبلغهم موت عبيد الله بن خاقان فجأة، وخروج صاحب الزنج بالبصرة، فشغلوا بذلك عن الجارية، وخرجت من أيديهم.»(١)

واستمرت إجراءات النظام العباسي في محاولته القبض على الإمام لاسيما وقد أخبرهم جعفر بوجوده وصلاته على أبيه.(٢)

وكما سبق بيانه فإن النظام العباسي كان على علم إجمالي بميلاد الإمام المهدي عليه السلام، ولكنه يجهل مقرّه ومحل إقامته، فعمل جاهداً على قتله، فما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وترجح لديه أن يكون الإمام بدار أبيه وجده في سامراء، فعمد المعتمد العباسي بعد انتقاله إلى بغداد إلى تجربة ملاحقته في سامراء، وأرسل ثلاثة من أشداء رجاله، وأمرهم بالخروج إلى سامراء، ووصف لهم دار الإمام، وأمرهم بقتله، وحاولوا ذلك جاهدين فما أفلحوا في حديث طويل فيه لمح من الإعجاز الخارق.(٣)

وبعد أن باءت هذه المحاولة الجادّة بالفشل الذريع، وقد ظهرت لأجهزة السلطة دلائل الإمام فيها، عاود المعتضد محاولة اغتيال الإمام ثانية، إذ أرسل جيشاً مدرّباً لدار الإمام في سامراء، فهجموا عليه الدار، وكان الإمام متواجداً فيها، فخرج منها بلحظة خاطفة، شلّت بها الأيدي عن التحرّك والعمل، والجيش ينظر، وقائدهم في ذهول من ذلك، فقال لهم انزلوا عليه، قالوا: أليس هو مرّ عليك؟ قال: ما رأيت، ولِمَ

---

(١) الراوندي/ الخرائج والجرائح ٣/١١٠٣/ طبعة بيروت/ ١٤١١ هـ.

(٢) ظ: الصدوق/ إكمال الدين ٢/٧٤٦ طبع طهران/ ١٣٩٥ هـ.

(٣) ظ: الطوسي/ الغيبة/ ١٤٩.

تركتموه؟ قالوا حسبنا أنك تراه!!.[١]

وأمسك العباسيون حينما وصل إليهم من خبر هذا عن التعرض للإمام، لمعرفتهم القطعية التي لا تقبل الشك: أنه محاطٌ بالعناية الربانية التي لا تغلب ولا تقهر.

(١) ظ: المجلسي/ بحار النوار ٢٥/٥٢ ـ ٥٣.

الغَيبَة حذر الطواغيت أسبابُها وأسرارُها

واختفى الإمـام المهدي عن الأنظار، وأحاط تحركه في قيادة الأمة بصمت وسريّة تامين، وذلك خلال غيبته الصغرى كما سيأتي، وبمرجعية الفقهاء في غيبته الكبرى.

والذي عليه الإمامية أن الغيبة بعامة تخطيط استراتيجي لتنفيذ قيام دولة العدل الإلهي المستقبلية، وتمهيد لتحقيق مشروع خلافة المستضعفين في الأرض، بجعل الله تعالى لهم أئمة وجعلهم الوارثين.

وهي عقيدة تنطلق من أصل ديني سبقت الإشارة إليه بإنجاز الوعد الحق، بظهور الإسلام على الدين كله، وهي أيضاً نتيجة لواقع تاريخي صادق نطق به رسول الله ﷺ، وكرر البشارة فيه، وأعلنه من بعده الأئمة المعصومون، وتناوله بالبحث والتمحيص قادة الفكر الديني، ورواة السنة المحمدية، وأهل العلم من المسلمين، حتى عاد ذلك من الثوابت التي لا مجال لإنكارها، وباعتبارها حقيقة واقعة بالفعل.

ولا تعني هذه الغيبة في الفكر الإمامي موت صاحب الزمان واحياءه فيما بعد كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها... بل تنظر على أنه موجود غائب حذر السلطان تارة، وعدم تكامل العدة له في الظهور تارة اخرى، وبضمن ذلك استحالة إعلان الأمر إلاّ بعد تواجد مقدماته

وتهيأة أسبابه في الاعداد والاستعداد والقوة والعدد والقيادة والكفاية، وما يستلزم ذلك من الإمكانات الهائلة التي تستطيع مجابهة دول الطغيان وجبابرة العالم وشياطين السياسة.

والغيبة عندنا تعني احتجاب الإمام عن الناس وعدم المشاهدة له، ولا تمنع من رؤيته دون معرفته، وقد يعرف عند الاختفاء بعد المشاهدة بإمارات وبراهين.

ومبدأ الغيبة حينما نتعامل معه فباعتبارنا مسلمين نؤمن بما صدر عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من أحاديث في الموضوع، وقد بحث هذا الأمر بما لا مزيد عليه طيلة عهد المسلمين بالتأليف والتصنيف وخطط البحث العلمي بآلاف الصفحات، وقد أشبع تحليلاً واستدلالاً عند الإمامية، حتى عاد الاعتراف بحقيقته من أسس الإمامية التي لاشك معها، وإن آلاف الأحاديث في هذا السياق تغني عن الاطناب.

إلا أننا نشير أن الغيبة ليست أمراً اعتيادياً، ولكنها مظنّة للامتحان والاختبار والتجريب في هذا الأصل، ففي الحديث عن غيبته جاء في الرواية المسندة: «يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان»[1]

وفي ما رفعه ابن عباس:

«يبعث المهدي بعد أياس حتى يقول الناس: لا مهدي»[2]

ولا كبير أمر في حيرة الناس ممن لا تمرس لهم في تفصيلات الشريعة، وسنن الأنبياء، وما جرى على المرسلين من الغيبة والاختفاء والاحتجاب، كما هي الحال في اختفاء ابراهيم عليه السلام، وتغيب يوسف الصديق عليه السلام، وغيبة موسى بن عمران عن قومه، وسواهم مما نطق به

---

(١) القندوزي/ ينابيع المودة/ ٤٩٥.

(٢) السيوطي/ الحاوي ١٥٢/٢.

القرآن الكريم، وفصلته الروايات والسنن لهذا وذاك، مما يشير إلى أن في المهدي من سنن الأنبياء الغيبة، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التصريح بالغيبة فقال: «والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن الثابتين على إمامته (يعني الإمام المنتظر) في زمن غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر.

فقام إليه جابر بن عبد الله، فقال:

يا رسول الله، وللقائم من ولدك غيبة؟

قال: أي وربي، ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين.

ثم قال: يا جابر، إن هذا أمرٌ من أمر الله، وسرٌ من سر الله، فإياك والشك، فإن الشك في أمر الله عزّ وجلّ كفر.»[(١)]

وإثبات الغيبة يتجلى في ثبوت ولادة الإمام المهدي عليه السلام بما لا يقبل الشك، وعدم ذكر وفاته في المصادر، ولم يجر على ألسنة الرواة والمحدثين وأهل التاريخ، ولم يتم إعلان ذلك من قبل سلاطين الجور، كل ذلك دليل وجوده، وعدم تواجده فيما بيننا دليل غيبته، وبهذا يكون قبول غيبته من الضرورات العقلية فضلاً عن الإثبات الروائي، فإذا أضفنا لذلك أن الأرض لا تخلو من حجة ناطق أو صامت، عرفنا ثبوت الغيبة ووجود الإمام حيّاً يرزق في أمر مزدوج يكمّل بعضه بعضاً، وهذا كله يدلنا أن الإمام المهدي على قيد الحياة، وأنه اختفى إبقاءً على نفسه من كيد الظالمين، وحفاظاً على حياته من القتل.

والحقيقة التاريخية التي دلّ عليها الاستقراء في ضوء النقد التحليلي للتاريخ أن للإمام المهدي عليه السلام غيبتين صغرى وكبرى، وقد استمرت الصغرى أربعة وسبعين عاماً، وهي مدة سفارة الوكلاء الأربعة قدّس الله أسرارهم، وبعد هذا التاريخ بدأت الغيبة الكبرى حتى اليوم، وهذا رأي

---

(١) القندوزي/ ينابيع المودّة/ ٤٤٨.

الإمامية، كما هو رأي شرائح أخرى من المسلمين.

وأما حكمتها، فليس كل تشريع تدرك حكمته!! ولا كل حالة نحيط بأسرارها، على أن الحفاظ على النفس من الهلاك، والتمهيد لتنفيذ المشروع الإلهي المرتقب سببان مقبولان في الأمر، وربما كان الامتحان والتمحيص وراء ذلك من آثار تلك الحكمة، ففي الرواية عن أحد الصادقين عليهم السلام:

«أنه لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة يغيبها حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به.. إنما هي محنة من الله امتحن بها خلقه، وإن عقولكم تصغر عن هذا الأمر، وأحلامكم أضيق عن حمله، ولكن إن تعيشوا تدركوه.»[١]

وهذا هو عين الصواب لموافقته شواهد التنزيل كما في قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[٢]

وكما امتحن البشر من ذي قبل، وعلى مرّ العصور والأجيال، وفتنوا اختباراً وغربلةً، فلا مانع أن يمتحن المسلمون ليعلمن الله الصادقين من الكاذبين في الصبر والإيمان والمعاناة.

علماً بأن الشيخ المعظّم كاشف الغطاء قدس سره يقول:

«إن السؤال عن الحكمة ساقط إذا قامت البراهين على وجوب وجود الإمام في كل عصر، وأن الأرض لا تخلو من حجة، وأن وجوده لطف، وتصرفه لطف آخر.»[٣]

وهناك أسرار في حكمة غيبته قد لا تدركها أفهامنا، ولا تصل إليها

---

(١) الصدوق/ كمال الدين /٣٦٠.

(٢) سورة العنكبوت/ ١ـ٣.

(٣) محمد الحسين آل كاشف الغطاء/ أصل الشيعة وأصولها/ ٧١.

مداركنا، الله ورسوله أعلم بها.

ولعل من أسباب الغيبة كما يتبادر إلى الذهن - والأسباب شيء والحكمة شيء آخر - الحفاظ على الذات من الظالمين، والخوف من طواغيت الزمان، وحذر القتل وانقطاع الحجة.(١)

والى هذا يذهب السيد المرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦ هـ) بقوله:

«إن سبب غيبته إخافة الظالمين له، ومنعهم يده عن التصرف فيما جعل إليه التدبير والتصرف فيه... وإذا خاف على نفسه وجبت غيبته، ولزم استتاره.»(٢)

وأيّده في ذلك شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) بقوله: «لا علّة تمنع من ظهوره عليه السلام إلاّ خوفه على نفسه من القتل، لأنه لو كان غير هذا لما ساغ له الاستتار، وكان يتحمل المشاقّ والأذى، فإن منازل الأئمة وكذلك الأنبياء، إنما تعظم منزلتهم لتحملهم المشاقّ العظيمة في ذات الله.»(٣)

وهذا الاستتار له ما يبرره شرعاً وعرفاً كما في سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد استتر بعبادته عن قريش في غار حراء، واحتجب بالشعب تارةً أخرى، واضطر إلى مغادرة مكة المكرمة إلى المدينة المنورة في الهجرة المباركة، وقد أظهر أمره في مكة بحدود، وأظهره متكاملاً في المدينة حينما استطاع التغلب على مشكلات عصره، فكان مؤيداً وموفقاً في الأولى، ومؤيداً فاتحاً في الأخرى.

وحينما صرح الطوسي بأن لا علة تمنع من ظهوره إلاّ خوفه على نفسه من القتل، فإنه قدس سره قد أورد إشكالية قد تطرح جدلاً، وأجاب عنها

(١) ظ: المؤلف/ الفكر الإمامي من النص حتى المرجعية/ ١٧٢.

(٢) المرتضى/ الشافي ١٤٩/٣.

(٣) الطوسي/ الغيبة/ ٢٠٣.

قائلاً:

وإن قيل: أليس آباؤه ـ عليهم السلام ـ كانوا ظاهرين ولم يخافوا، ولا صاروا بحيث لا يصل إليهم أحد؟

قلنا: آباؤه حالهم بخلاف حاله، لأنه كان من المعلوم من حال آبائه لسلاطين الوقت وغيرهم أنهم: لا يرون الخروج عليهم، ولا يعتقدون أنهم يقومون بالسيف ويزيلون الدول.. وليس يضرّ السلطان اعتقاد من يعتقد إمامتهم إذا أمنوهم على مملكتهم، ولم يخافوا جانبهم.. وليس كذلك صاحب الزمان عليه السلام، لأن المعلوم منه أنه يقوم بالسيف، ويزيل الممالك ويقهر كل سلطان ويبسط العدل ويميت الجور، فمن هذه صفته يُخاف جانبه وتتقى فورته، فيتتبع ويُرصد وتُوضع العيون عليه.. فيُخاف حينئذٍ ويُحوَج إلى التحرز والاستظهار بأن يخفي شخصه عن كل من لا يأمنه من وليّ وعدو.

«وأيضاً فآباؤه ـ عليهم السلام ـ إنما ظهروا لأنه كان من المعلوم أنه لو حدث بهم حادث لكان هناك من يقوم مقامه ويسدّ مسدّه من أولادهم، وليس كذلك صاحب الزمان ـ عليه السلام ـ لأن المعلوم أنه ليس بعده من يقوم مقامه قبل حضور وقت قيامه بالسيف، فلذلك وجب استتاره وغيبته، وفارق حاله حال آبائه عليهم السلام.»[1]

وإذا ثبت هذا، فلا إشكالية في غيبة وليّ الله قصرت تلك الغيبة أم طالت، فكما جاز الاحتجاب عن الأعداء وضعاف الأولياء بأمد قصير، جاز أن يمتد ذلك إلى أمد بعيد، وهذا الأمد البعيد هو الذي يعبر عنه بالغيبة الكبرى، وما يليها من الظهور والتمكن في الأرض سوف يكون تنفيذاً للوعد الإلهي بوراثة الأرض من قبل عباده الصالحين، والوراثة

---

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٣٢٩ ـ ٣٣١.

حينما تكون لأولياء الله تعالى، فإنها تحصل عند انقطاع مدة الغيبة وانقضاء أجلها، لتنعم الأرض بالاعمار بعد الإنهيار، وبالعدل بعد الظلم، وبحكم الله بعد حكم الطواغيت، وهو تحقيق لقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(١)

وإذ وصل بنا الحديث إلى هذا الموقع من البحث، فقد يخطر على بال كثير من المتسائلين، ومن ورائهم رعيل من المشككين وفريق من المتعصبين، أنه: ما هو وجه الانتفاع بغيبة الإمام؟ وهو لايقيم حداً، ولا يمارس سلطةً، ولا يقود أمة!! وهذا التساؤل يُجاب عنه على نحوين:

الأول: أن آباءه عليهم السلام، كانوا أئمة وقادة وأعلم أهل الأرض وأتقاهم وأورعهم وأكرمهم وأفضلهم عند الله تعالى، وهم لم يمارسوا حكماً، ولا تسلموا إمرة، ـ باستثناء خلافة أمير المؤمنين والحسن أياماً معدودات ـ فشأنه شأنهم، إذ لا تخلو الأرض من حجة ظاهرة أو باطنة، قائمة بالأمر أو قاعدة عنه.

الثاني: أن وجه الانتفاع بغيبة الإمام عليه السلام مع القطع بوجوده، تجيب عنه الروايات المستفيضة عن النبي، والأئمة، وصاحب الأمر نفسه، صلوات الله عليهم أجمعين.

فعن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: هل ينتفع الشيعة بالقائم في غيبته؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اي والذي بعثني بالنبوة، إنهم لينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته، كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب.»(٢)

وقد أكد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حقيقة هذه الرؤية

(١) سورة الأنبياء/ ١٠٥.

(٢) الصدوق/ إكمال الدين ١/٢٥٣.

في الحضور والغياب لحجة الله في الأرض، ووجه الانتفاع بذلك، فعن سليمان الأعشى عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «لم تخلُ الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها: ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله.»

قال سليمان: فقلت للصادق عليه السلام:

فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور؟

قال: «كما ينتفعون بالشمس إذ سترها السحاب»(١)

والطريف في الأمر أن يتحدث الإمام المهدي عجل الله فرجه عن هذا الملحظ في التوقيع الرفيع الذي صدر منه الى اسحق بن يعقوب:

«وأمّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب.»(٢)

والدلالة الإيحائية في هذه الأحاديث: أن الشمس باقية وإن حجبها السحاب، وأن السحاب لا يدوم طويلاً حتى يتساقط مطراً، فهو زائل والشمس باقية، وهذا يعني أن الغيبة ستنتهي بانتهاء أجلها، وأن الإمام عليه السلام سيظهر ليقيم دولة الحق بإذن الله تعالى.

إن ما قدمناه يصحّ دون أدنى ريب مصداقاً تطبيقياً لقوله تعالى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾(٣)

---

(١) الحمويني/ فرائد السمطين ٤٦/١.

(٢) الصدوق/ كمال الدين ٤٨٥/٢ + الطوسي/ الغيبة/ ١٧٧.

(٣) سورة النور/ ٥٥.



قيادة الإمام المهدي في الغيبة الصغرى

سفارة النواب الأربعة ظاهرة إيجابية.

إدارة شؤون الأمة ومتابعة الأحداث.

رعاية مصالح الأفراد بلمحٍ غيبي.

سفارة النواب الأربعة ظاهرة إيجابية

ليس أمـراً اعتباطياً أن ينيب الإمـام المفترض الطاعة أحد أوليائه لأداء الرسالة وتبليغها نيابةً عنه، فتلك ظاهرة إيجابية في أبعادها التخطيطية، وليس قراراً ارتجالياً ذلك الاختيار والتعيين، فهو يخضع لمواصفات خاصة تكون غاية في الدقة، ومن لوازمها بالضرورة توافر المؤهلات القيادية في النائب المختار، علماً وتقوى وورعـاً وأمانةً وحسن تأتٍ للأمور، معروفاً بالعدالة والوثاقة المطلقة، مستودعاً للأسرار الكبرى بحدود تحمّله، متقيّداً بتلقي أوامر الإمام وتنفيذها دون إضافة أو نقصان، بعيداً عن زخارف الدنيا وزبارجها، قريباً من الله في الأنابة والإخبات.

هذه الخصائص الخطيرة في أبعادها، النادرة في انطباقها، كانت من بين الشرائط العامة في نيابة الإمام الخاصة.

وينبغي الاعتداد بما أجمع عليه العلماء والسلف الصالح أن نواب الإمام الأربعة ـ وسنأتي على ترجمة كل منهم ـ ما كان ليقوم أحد منهم بمهمة السفارة ونيابة الإمام إلاّ بالنص عليه من صاحب الزمان عليه السلام، وذلك بتصريح صاحبه الذي تقدم عليه، وأنه المنصوص عليه.

وأن هؤلاء الأربعة كانوا أهل عقل وأمانة وثقة ظاهرة، وأنهم من ذوي الخبرة والدراية والنباهة، وهم يتمتعون بسمعة ممتازة لدى قواعد أهل البيت الشعبية تتسم بالصلاح والإصلاح والدين.

ومن الملفت للنظر أنهم كانوا معظمين عند سلاطين العصر، وذلك لعظم أقدارهم لديهم، وجلالة محلهم، ومكرمين لظاهر أمانتهم وإشهار عدالتهم.(١)

وكان أول المرشحين للسفارة النائب الأول للإمام المنتظر عليه السلام، وهو عثمان بن سعيد العمري الملقب بالسّمان تارة، وبالزيات تارة أخرى، وكنيته أبو عمرو، وكان سبب هذين اللقبين أنه كان يتجرّ بالزيت والسمن تقيةً من السلطان.

وهذا مبدأ سار عليه جملة من أولياء الأئمة عليهم السلام، وهم يتظاهرون بالتجارة والأعمال الحرّة، أداءً لمهماتهم في الدعوة والتبليغ، بحيث لا يثير ذلك انتباه السلطة وحساسية الحاكمين، وقد سبق لنا بحث هذا الموضوع(٢)

وكان عثمان بن سعيد من هذا الصنف الذي يتجرّ بالسمن تغطيةً على الأمر، والإمامية يبعثون إليه بحقوقهم الشرعية، فيجعلها في أجربة السمن وزقاقه، ويوصلها إلى الإمام بدقة متناهية، أو يتصرف فيها بأمر الإمام في المصالح التي تحدد له من قبل الإمام أو يخوّله بوضع الحقوق بموقعها المناسب.

---

(١) ظ: الصدوق/ كمال الدين/ ٢٤١ + الطوسي/ الغيبة/ ٣٩٣_٣٩٤ + الطبرسي/ الاحتجاج ٥٥٤/٢ + الطبرسي/ إعلام الورى ٢٥٩/٢ + القطب الراوندي/ الخرائج والجرائح/ ١١٠٨/٣ + الأربلي/ كشف الغمة ٣٣٧/٣ + العلامة الحلي/ خلاصة الأقوال/ ١٣٤ + المجلسي/ بحار الأنوار/ ١٥/٥١، ١٠٧، ١٠٨، ٢٠٣، ٢٤٧، ٣٤٨، ٣٦٠.

(٢) ظ: المؤلف/ الإمام جعفر الصادق زعيم مدرسة أهل البيت/ ٢٨٠ _ ٢٨١.

وهذه البادرة مما صرحت به الآثار، ففيها «وكان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمد عليه السلام (الإمام العسكري) ما يجب حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو ذلك (عثمان بن سعيد) فيجعله في جرب السمن وزقاقه، ويحمله إلى أبي محمد عليه السلام تقيةً وخوفاً.»[١]

وكان عثمان بن سعيد العمري من أصحاب الإمام علي الهادي عليه السلام، وكان له شرف خدمة الامام وصحبته وعمره إحدى عشرة سنة، وله إليه عهد معروف، ولدى وفاة الإمام الهادي عليه السلام أصبح وكيلاً لولده الإمام الحسن العسكري، ثم أصبح أول سفراء المهدي الممدوحين زمن الغيبة الصغرى، وهناك عدة روايات معتبرة عن أحمد بن إسحق الأشعري يرويها عن الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، تدلّ على عظم وثاقة العمري لديهما.

قال أحمد بن اسحق: سألت الإمام علي الهادي عليه السلام وقلت: مَنْ أعامل؟ وعمّن آخذ؟ وقول مَنْ أقبل؟

فقال الإمام: «العمري ثقتي، فما أدى إليك عني فعني يؤدي، وما قال لك عني فعني يقول، فاسمع له وأطعْ، فانه الثقة المأمون.»[٢]

وبعد وفاة الإمام علي الهادي عليه السلام كان عثمان بن سعيد أحد وكلاء الإمام العسكري المقربين، فعن أحمد بن اسحق نفسه أن الإمام الحسن العسكري قال:

«العمري وابنه ثقتان، فما أديّا إليك عني فعني يؤديان، وما قالا لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطعهما، فإنهما الثقتان المأمونان.»[٣]

وقد كتب الإمام العسكري عليه السلام إلى اسحق بن إسماعيل وأوصاه:

---

(١) الكليني/ الكافي ٣٣٠/١ + الطوسي/ الغيبة/ ٢٤٢، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٦٠.

(٢) الكليني/ الكافي ٣٣٠/١ الطوسي/ الغيبة ٢١٩.

(٣) الكليني/ الكافي/ ٣٣٠/١ + الطوسي/ الغيبة/ ٢١٩.

«فلا تخرجن من البلدة حتى تلقي العمري ـ رضي الله عنه برضاي عنه ـ وتسلّم عليه، وتعرفه ويعرفك، فإنه: الطاهر، الأمين، العفيف، القريب منا وإلينا.»[١]

وحينما دخل وفد يماني كبير من شيعة الإمام العسكري عليه السلام، قال الإمام لبدر الخادم:

«فامضِ فأتنا بعثمان بن سعيد العمري...

فلما دخل قال له سيدنا أبو محمد:

«إمضِ يا عثمان فإنك الوكيل، والثقة المأمون على مال الله، واقبض من هؤلاء اليمنيين ما حملوه من المال!!

قال المجتمعون بالإمام للإمام عليه السلام:

«يا سيدنا.. والله إن عثمان بن سعيد لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك، وإنه وكيلك على مال الله.

قال الإمام عليه السلام: نعم... واشهدوا أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي، وأن ابنه محمداً وكيل ابني: مهديّكم.»[٢]

وفي حديث طويل أورده الشيخ الطوسي قول الإمام العسكري لأوليائه:

«فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره، واقبلوا قوله.»[٣]

وكان العمري ممن حضر تغسيل الإمام الحسن العسكري وتحنيطه وتكفينه، ودفنه في داره، كما عن ابن أبي نصر أحمد عن شيوخه.[٤]

وكان العمري يسكن في بغداد، وله مكانة بين الأصحاب، ويسافر

---

(١) الكشي/ الرجال ٦/٥٨٠/ طبع مشهد/ ١٣٩٠ هـ.

(٢) الطوسي/ الغيبة/ ٢١٦ + المجلسي/ البحار ٣٤٥/٥١.

(٣) الطوسي/ الغيبة/ ٢١٧.

(٤) ظ: الطوسي/ الغيبة/ ٢١٦.

بين حين وآخر ليلتقي الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام، وقد بقي العمري على وكالته استمرارياً لدى الأئمة الثلاثة عليهم السلام إذ أسند إليه صاحب الأمر عجل الله فرجه: منصب السفارة الاولى، فكان نائبه عند شيعته، وواسطة العقد في انتظام أوامر الإمام وتعليماته بينه وبين أوليائه، والوسيط بينهما في تلقي أجوبة المسائل ودفع حق الله ورسوله وذي القربى، والاشراف على الشأن العام.

ويبدو أن حياة العمري لم تطل بعد وفاة الإمام العسكري كثيراً، ولدى إمامة صاحب الزمان، حيث توفي، ودفن في بغداد، وقبره معروف لدى الناس قرب ساحة الميدان.

وكان النائب الثاني للإمام بعد عثمان ابنه الثقة الأمين محمد بن عثمان بن سعيد بنصٍ من الإمام المهدي عليه، وقد أبلغ عثمان بن سعيد ذلك بأمانةٍ لأولياء الإمام.

ويبدو تاريخياً أن الإمام المنتظر عليه السلام قد بعث برسائل عديدة إلى زعماء الإمامية بنيابة محمد بن سعيد عنه.[1]

وقد تلقى محمد بن عثمان المكنى بأبي جعفر رسالة خاصة من الإمام المنتظر عليه السلام يعزيه فيها بوفاة أبيه، وينصّ على قيامه بمقامه، وهي رسالة فريدة في دلالتها، بليغة في عباراتها، ذات أهمية عالية في ثقة الإمام بالأب والابن، قال الإمام:

«إنا لله وإنا إليه راجعون، تسليماً لأمره ورضاءً بقضائه، عاش أبوك سعيداً، ومات حميداً، فرحمه الله، وألحقه بأوليائه ومواليه عليهم السلام، فلم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً فيما يقرّبه إلى الله عزّ وجلّ وإليهم، أجزل الله لك الثواب، وأحسن لك العزاء، رزئت ورزئنا، وأوحشك فراقه

---

(١) ظ: الطوسي/ الغيبة/ ٢٢٠.

وأوحشنا، فسرّه الله في منقلبه.

وكان من كمال سعادته أن رزقه الله تعالى ولداً مثلك، يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحّم عليه.

وأقول: الحمد لله، فإن الأنفس طيبة بمكانك، وما جعله الله تعالى فيك وعندك، أعانك الله وقواك، وعضدك ووفقك، وكان لك ولياً، وحافظاً، وراعياً، وكافياً ومعيناً.»[١]

وتعدّ هذه الرسالة في ذروة التعبير الصريح عن وثاقة محمد بن عثمان، وعن قمة المؤهلات العليا التي تمتع بها هو وأبوه.

وفي توقيع رفيع بعث به الإمام المنتظر عليه السلام إلى محمد بن ابراهيم بن مهزيار الأهوازي بعد وفاة عثمان بن سعيد جاء فيه:

«والابن ـ وقاه الله ـ لم يزل ثقتنا في حياة الأب ـ رضي الله عنه وأرضاه ونضّر وجهه ـ يجري عندنا مجراه، ويسدّ مسدّه، وعن أمرنا يأمر الابن، وبه يعمل، تولاّه الله، فانتهِ إلى قوله.»[٢]

وفي توقيع آخر للإمام المنتظر عليه السلام بخطّه، جاء فيه:

«محمد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل فإنه ثقتي، وكتابه كتابي»[٣]

وإنه لشرفٌ عظيم أن ينال محمد بن عثمان هذه الثقة المطلقة من الإمام، وإنه لشرف آخر أن يكون سفيراً بين الإمام وأوليائه في شتى البقاع، يؤدي عنه، ويوصل إليه الحقوق الشرعية بطرقه السريّة المجهولة لدينا، وينقل فتاوى الإمام في كبريات المسائل، ويتلقى الرسائل

(١) الصدوق/ إكمال الدين ٢/٥١٠ + الطوسي/ الغيبة/ ٢١٩ـ٢٢٠.
(٢) الطوسي/ الغيبة/ ٣٦٢/ طبعة قم.
(٣) ظ: الصدوق/ كمال الدين/ ٢٦٧ + الطوسي/ الغيبة/ ٢٩١.

والأجوبة ويصرفها إلى أصحابها.(١)

ويبدو أن مما أورده الشيخ الطوسي في ترجمته وسيدنا الأستاذ الخوئي في معجمه أن لأبي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد عدة كتب مصنفة في الفقه والتشريع، سمع بعضها من أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام، وسمع بعضها الآخر من صاحب الأمر عجل الله فرجه، وروى نماذج منها عن أبيه عن أبي محمد الحسن العسكري عن أبيه علي الهادي عليهما السلام...

وقد وصلت هذه الكتب بمصادرها الموثوقة جدّاً إلى السفير الثالث أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه، عند الوصية إليه، فكانت في يده.(٢)

وتوفي محمد بن عثمان بن سعيد في آخر شهر جمادى الأولى، أوآخر جمادى الآخرة سنة أربع أو خمس بعد الثلاثمائة، بعد أن تولى شرف الوكالة الكبرى عن الأئمة الثلاثة الهادي والعسكري والمهدي نحواً من خمسين عاماً.(٣)

ودفن ببغداد قرب الباب الشرقي حيث ضريحة اليوم المعروف بضريح الخلاّني أو مقبرة الخلاّني، والى جنبه مسجد عظيم، ومكتبة عامرة نفيسة أسسها المغفور له السيد محمد السيد صالح الحيدري الشهير بالسيد محمد الخلاّني رحمه الله.

وكان النائب الثالث لصاحب الأمر: أبو القاسم، الحسين بن روح

---

(١) للإطلاع على تفصيل ترجمة محمد بن عثمان انظر المصادر الاتية:
الصدوق/ كمال الدين/ ٢٦٦ + الطوسي/ الغيبة/ ٢١٨ + الطبرسي/ الاحتجاج ٥٦٢/٢ + الطبرسي/ إعلام الورى ٢٥٩/٢ + أغابزرك/ الذريعة ١٠٦/٢ + الخوئي/ معجم رجال الحديث ٣٠٩/١٦-٣١٢ + الكوراني/ المعجم الموضوعي/ ١٠١٩.

(٢) ظ: الطوسي/ الغيبة /٢٨١ + الخوئي/ معجم رجال الحديث ٣١٠/١٦.

(٣) ظ: القطب الراوندي/ الخرائج والجرائح ١١١٢/٣ + الطبرسي/ الاحتجاج ٥٦٢/٢ + العلامة الحلي/ خلاصة الأقوال/ ٧٣ + المجلسي/ البحار ٣٥٠/٥١.

النوبختي، وهو شخصية فذّة معروفة في بغداد، رضيه العامة والخاصة، وأثنى عليه القريب والبعيد، عرف بسداد الرأي وسلامة الفكر وصلابة الارادة، وحدب على توحيد كلمة المسلمين حتى أن الجمهور من أهل السنّة كانوا يعظمونه ويبجلونه، وهو شخصية قيادية في أبعاد متعددة، كسب العدو والصديق، وذو نظر صائب دقيق يتميز بالحكمة والوقار والاتزان، وكان وكيلاً للنائب الثاني محمد بن عثمان في حياته «يشرف على أملاكه، ويقوم بدور الوساطة بينه وبين زعماء الشيعة في نقل الأوامر والتعليمات والأخبار السريّة إليهم.»[١]

وقبيل وفاة النائب الثاني، وهو مسجّى، صدر التوقيع من الإمام عليه السلام إلى محمد بن عثمان أن يقيم الحسين بن روح مقامه في نيابته الخاصة، ونفّذ النائب الثاني الأمر، وأعلنه قائلاً:

«إن حدث عليّ حدث الموت، فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، فقد أمرتُ أن أجعله في موضعي بعدي، فارجعوا إليه، وعوّلوا في أموركم عليه.»[٢]

وروى الصدوق بسنده عن جعفر بن أحمد بن مثيل، قال:

«لما حضرت أبا جعفر محمد بن عثمان العمري الوفاة، كنت جالساً عند رأسه أسائله وأحدثه، وأبو القاسم الحسين بن روح عند رجليه، فألتفت إليّ ثم قال:

قد أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح!!

قال: فقمت من عند رأسه، وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني، وتحولت عند رجليه.»[٣]

---

(١) محمد كاظم القزويني/ الإمام المهدي من المهد إلى الظهور/ ٢٠٥.
(٢) الطوسي/ الغيبة/ ٢٢٧.
(٣) الصدوق/ كمال الدين/ ٢٧٦.

وكان عند النائب الثاني عند وفاته جمع غفير من وجوه الشيعة، فقال لهم: «هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي، القائم مقامي، والسفير بينكم وبين صاحب الأمرعليه السلام، والوكيل، والثقة والأمين، فارجعوا إليه في أموركم، وعولوا عليه في مهماتكم، بذلك أُمِرْتُ، وقد بلّغت.»[١]

وكان محمد بن عثمان يثق بالحسين بن روح ثقة تامة، ويمهد له بين خلّص أصحابه، فعن أبي عبد الله جعفر بن محمد المدائني، قال: «كان من رسمي إذا حملت المال الذي في يدي إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري أن أقول له:

هذا المال ومبلغه كذا وكذا للإمامعليه السلام.

فيقول: نعم للإمام، فيقبضه.

فصرت إليه آخر عهدي به، ومعي أربعمائة دينار فقلت له على رسمي.

فقال لي: إمضِ بها إلى الحسين بن روح، فتوقفت فقلت: تقبضها مني على الرسم، فردّ عليّ كالمنكر لقولي وقال:

قم عافاك الله فادفعها إلى الحسين بن روح، فلما رأيت في وجهه غضباً خرجت وركبت دابتي فلما بلغت بعض الطريق رجعت كالشاك، فدققت الباب، فخرج إلي الخادم فقال: من هذا؟ فقلت: أنا فلان... أدخل، فاستأذن لي فانه لابد من لقائه!! فدخل، فعرّفه خبر رجوعي، فخرج.. فقال لي: ما الذي جرأك على الرجوع؟ ولِمَ لم تمتثل ما قلته؟

فقلت: لم أجسر على ما رسمته لي.

فقال لي وهو مغضب: قم عافاك الله، فقد أقمت الحسين بن روح

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٢٢٧.

مقامي، ونصبته منصبي.

فقلت: بأمر الإمام؟

فقال: قم عافاك الله كما أقول لك، فلم يكن عندي غير المبادرة، فصرتُ إلى أبي القاسم ابن روح ـ وهو في دار ضيّقة ـ فعرفته ما جرى، فسرّ به، وشكر الله عَزَّوَجَلَّ، ودفعت إليه الدنانير، ومازلتُ أحمل إليه ما يحصل في يدي بعد ذلك.»[١]

وكان لمحمد بن عثمان بن سعيد ممن يتصرّف له ببغداد نحو من عشرة أنفس، يؤدون الواجبات الرسالية، ويتسلمون حق الإمام، ويتصرفون بالوجه الشرعي الذي يأمرهم به، والطريف بالذكر أنهم كانوا أخصّ به من الحسين بن روح، فلما حانت وفاته كانت الوصية إليه، ووقع الاختيار عليه ،مما يدلنا ان الأمر منوط بصاحب الأمر وحده.[٢]

وروى الطوسي بسنده عن ابنة محمد بن عثمان مدى ثقة أبيها بالحسين بن روح، قالت: «كان أبو القاسم الحسين بن روح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكيلاً لأبي سنين كثيرة، ينظر في أملاكه، ويلقى بأسراره الرؤساء من الشيعة، وكان خصيصاً به... فحصّل في أنفس الشيعة محصلاً جليلاً لمعرفتهم باختصاص أبي إياه، وتوثيقه عندهم، ونشر فضله ودينه وما كان يتحصل من هذا الأمر.. إلى أن انتهت الوصية إليه بالنصّ عليه، فلم يُختلف في أمره، ولم يشك فيه أحد.»[٣]

وكان أبو سهل النوبختي شيخ المتكلمين الإمامية ببغداد، وزعيم النوبختيين في زمانه، وقد سئل فقيل له:

كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟

---

(١) المصدر نفسه/ ٣٠٣.

(٢) ظ : الطوسي/ الغيبة/ ٣٠٧.

(٣) الطوسي/ الغيبة/ ٣٦٧.

فقال: هم أعلم وما اختاروه (يعني الأئمة المعصومين عليهم السلام) ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه ـ يعني الإمام المهدي عليه السلام ـ كما علم أبو القاسم، وضغطتني الحجة لعلي كنت أدلّ على مكانه، وأبو القاسم فلو كان الحجة تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه.»(١)

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على إيمان أبي سهل النوبختي من جهة، وعلى صلابة الحسين بن روح في المبدأ من جهة أخرى، ويحكي عن مدى شجاعته وتضحيته في تحمل هذه الأمانة المشرفة.

وقد اعتبر الأستاذ الشيخ علي الكوراني دام علاه الحسين بن روح قدس سرّه شخصية معدّة لمرحلة التحولات الكبرى في تاريخ التشيّع في القرن الرابع الهجري، إذ قويت الدولة الفاطمية في المغرب، ونجحت ثورة العلويين في شمال إيران، وأسسوا دولتهم في طبرستان، كما تفاقم خطر القرامطة الذين ادّعوا التشيّع زوراً وبهتاناً...

وفي هذا الخضمّ كان قائد سفينة التشيّع شخصية يمتلئ يقيناً وعمقاً وقوة أعصاب، وهو أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي قدس سره، ومثّل فكر أهل البيت عليهم السلام بجدارة، فحفظ استقلالهم عن الزيدية في طبرستان، والفاطميين في المغرب ومصر، والقرامطة في الجزيرة وأطرافها، وميّز الإمامية عن مفتريات المغالين وأكاذيبهم، فكان رحمه الله رجل المرحلة بحق.»(٢)

وكان عصر الحسين بن روح حافلاً بالأحداث الجسيمة والإفرازات السياسية الضخمة في خلافة المقتدر العباسي، فانجلى عنها ألق الجبين

---

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٣٩١ + عباس القمي/ الكنى والألقاب ٩١/١.

(٢) علي الكوراني/ المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي/ ١٠٢٢ ـ ١٠٢٣.

صلد الجنان ثابت الخطى، وله «وقائع في ذلك مع الوزراء وكان كثير الجلالة في بغداد.»[١]

وتحدث الصفدي عن جلالته، وسرد بعض الحقائق عن سجنه واعتقاله، وتردد الخلافة في إعادته للسجن، بعد أن قضى فيه خمس سنوات بكيد من الوزير حامد بن العباس، وقد جرت بينهما خطوب أغمض التاريخ عن ذكرها بدقة، فأشار إليها الصفدي إجمالاً لدى ترجمته له فقال:

«أبو القاسم الشيعي: الحسين بن روح.. أحد الأبواب لصاحب الأمر، نص عليه بالسفارة محمد بن عثمان.. وكثرت غاشيته حتى كان الأمراء يركبون إليه، والوزراء والمعزولون عن الوزارة والأعيان... ولم يزل أبو القاسم على مثل هذه الحال حتى ولي حامد بن العباس الوزارة، فجرى له معه أمور وخطوب يطول شرحها، وقبض عليه وسجن خمسة أعوام، وأطلق من الحبس لمّا خلع المقتدر، فلمّا أعيد إلى الخلافة شاوروه منه، فقال: دعوه فبخطيئته جرى علينا ما جرى» وبقيت حرمته على ما كانت عليه... وكان يفتي الشيعة ويفيدهم، وكاد أمره يتم ويستفحل إلى أن توفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة.»[٢]

ويبدو للبحث أن سجن الحسين بن روح في عهد المقتدر كان بأمر من رئيس الوزراء حامد بن العباس والأمر كله بيده، وذلك لما كان يتمتع به الحسين بن روح من الشهرة العظيمة ببغداد، والتفاف قاعدته الشعبية من الإمامية حوله، وكان حامد بن العباس فارسياً ناصبياً، بينما كان المقتدر ووالدته ممن يثقون بابن روح، وربما كان قد أثر عليهم بحسن تأتيه للأمور، واعتقادهم بصحة سفارته لصاحب الأمر، فهو رجل صالح

---

(١) ابن حجر/ لسان الميزان ٢/٢٨٣.

(٢) الصفدي/ الوافي بالوفيات ١٢/٢٢٦.

ربانيّ في مسلكه عندهم، لذلك لم يوافق المقتدر على إرجاعه للسجن، واعتبر أن ما أصابه من الثورة عليه كان نتيجة منطقية لما أصاب ابن روح من الظلم، وأن سبب ما جرى عليه بسبب الخطيئة في حقه كما أفاد هو نفسه.

ويبدو أن الحسين بن روح في سجنه ولدى إطلاقه قد استتر عن الناس إلاّ لماماً، ولذلك نصب أبا جعفر محمد بن علي بن أبي عزاقر المعروف بالشلمغاني نائباً عنه، وذلك عند استقامته وقبل انحرافه، فكان الناس يقصدونه في حوائجهم، ويلقونه بمسائلهم فهو وكيل ابن روح عندهم.

وحينما انحرف الشلمغاني وألحد وكفر وكذب على الإمام، وادّعى أنه الباب إليه، وجاء بالمخاريق والمزاعم الباطلة، وجانب العقيدة والإيمان، أظهر أمره وفضحه أبو القاسم الحسين بن روح[١]

«ولم يبق أحد إلاّ وتقدّم إليه الشيخ أبو القاسم وكاتبه بلعن أبي جعفر الشلمغاني والبراءة منه وممن تولاه ورضي بقوله.»[٢]

ويظهر للبحث أن انحراف الشلمغاني كان عند سجن الحسين بن روح، فقد أنفذ الحسين بن روح من محبسه في دار المقتدر إلى أبي علي بن همام في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة بالبراءة من الشلمغاني ولعنه بحسب التوقيع الصادر عن صاحب الأمر عجّل الله فرجه الشريف، والذي يأمر فيه بلعن أبي جعفر الشلمغاني، ويعلن البراءة منه، وممن تابعه وشايعه ورضي بقوله.[٣]

وكان تاريخ التوقيع في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة.

---

(١) ظ: الذهبي/ سير أعلام النبلاء ١٤/٥٦٧ + ١٥/٢٢٢.
(٢) الطوسي/ الغيبة/ ٣٨٧.
(٣) ظ: المصدر السابق والصفحة.

وانتقل الحسين بن روح - بعد حياة حافلة بالجهاد المستميت إلى الرفيق الأعلى سنة ست وعشرين وثلاثمائة في بغداد، وقبره فيها مشهور ومعروف في سوق الشورجة قرب شارع الرشيد وبني حوله مسجد عامر بالصلوات.

وكان النائب الرابع: علي بن محمد السمري المكنّى بأبي الحسن، وبأمر من الإمام المهدي المنتظر عليه السلام نصبه الحسين بن روح وكيلاً وأقامه مقامه، فكان السفير الرابع للإمام عليه السلام.

روى الشيخ الطوسي بسنده عن محمد بن أحمد الصفواني، قال: «أوصى الشيخ أبو القاسم - رضي الله عنه - إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري رضي الله عنه، فقام بما كان لأبي القاسم، فلمّا حضرته الوفاة حضرت الشيعة عنده، وسألته عن الموكّل بعده، ومن يقوم مقامه، فلم يظهر شيئاً من ذلك، وذكر أنه لم يؤمر بأن يوصي إلى أحدٍ بعده في هذا الشأن.»[1]

وكان السمري مثالاً بارزاً في الورع والزهد والتقوى، وقد عظّمه الشيعة وأكبروا منزلته فيهم، ورجعوا إليه في فتاواهم ورسائلهم إلى الإمام وتلقي الأجوبة منه، وتسليم الحق الشرعي إليه، ولم يزل سائراً في الخط المستقيم، صادعاً بالقول السديد، ناهضاً بمهمات السفارة بين الإمام وأوليائه، ولم تطل سنوات سفارته إذ توفي في النصف من شعبان المعظّم سنة ثمانٍ وعشرين أو تسع وعشرين وثلاثمائة، وقبره ببغداد في سوق السراي، وقد يسمى بسوق الهرج والسرّاجين، قرب جسر الشهداء، والى جنبه مسجد كبير، وهو مزار شريف اليوم.

ولم يوصِ لأحدٍ من بعده بحسب التوقيع الرفيع لصاحب الأمر، وقامت من بعد ذلك مرجعية الفقهاء بما خطط له أئمة أهل البيت عليهم السلام،

---

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٣٩٦.

فكان ذلك حتى اليوم.

روى الشيخ الصدوق بسنده عن أبي محمد الحسن بن أحمد المكيت، قال:

«كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمري، فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميّت ما بينك وبين ستة أيام، فأجمع أمرك، ولا توصِ إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله عزّوجلّ، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً...»

قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه، وهو يجود بنفسه!! فقيل له: مَنْ وصيّك من بعدك؟

فقال: لله أمر هو بالغه. ومضى رضي الله عنه.»[1]

وينبغي الإشارة هنا على وجه الإجمال أن لهؤلاء السفراء الأربعة وكلاء محمودين في الأقاليم والقصبات، ممن عرف بحسن السيرة ونقاء السريرة، عرفوا بالتقوى واشتهروا بالورع، وكان السفراء يستعينون بهم في مهامهم القيادية، ويثقون بهم في تبليغ ما يصدر عن الإمام إلى السفراء، ليبلغوه إلى من أشير عليهم به، ينيبونهم عنهم في إدارة الشؤون العامة والخاصة بإعطاء الفقراء حقهم المفروض، وإنعاش اليتامى والمساكين، فكانوا عند حسن الظن، والبحث يورد أسماء طائفة من أولئك الأفذاذ:

- حاجز بن يزيد الوشّاء.

---

(١) الصدوق/ إكمال الدين ٢/٥١٦ + الطوسي/ الغيبة/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

- ابراهيم بن مهزيار الأهوازي.
- محمد بن ابراهيم بن مهزيار.
- أحمد بن اسحق الأشعري القمي.
- محمد بن جعفر الأسدي.
- القاسم بن العلاء.
- الحسن بن القاسم بن العلاء.
- محمد بن شاذان.

وكانوا رحمهم الله نموذجاً فريداً في الأمانة وصدق الأداء.

وفي ضوء ما تقدم في هذا المبحث، فإننا نشاهد صاحب الأمر يصدر تعليماته فتنفذ، ويرسل أجوبة مسائلة فتصل إلى أصحابها.

ويأمر بالمهمات القيادية فيطاع أمره، فهو في هذه الحالة يتولّى قيادة الأمة بصورة غير مباشرة، وينيب السفراء الأربعة في إدارة شؤون العباد والبلاد، ويوجه عن قرب مباشرة تلك الصفوة المختارة، فهي تحظى بشرف لقاء الإمام المهدي عليه السلام، وهي تتلقى التوجيه المباشر منه، فتسعى في حلّ المشكلات وتتصدى لكشف الإيهام والإبهام عن جوهر العقيدة، وهي تتسلم مسائل الأولياء وهي توصل أجوبتها إلى أصحابها، وسوى هذا من التفعيل لقضايا الأمة، بما نعتبره عظيماً لصاحب الأمر.

«فكان عليه السلام: يأمر وينهى، ويعزل وينصب، ويقرّب ويبعد، وكأنه حاضر في المجتمع.. لا يغيب عنه شيء.»[1]

وقد كان الأمر كذلك، فهو حاضر في غيابه بصورة وأخرى، وذلك ما سنورده على وجه الإجمال في لمسات موحية ولقطات نادرة بإذن الله تعالى.

---

(١) محمد كاظم القزويني/ الإمام المهدي من المهد إلى الظهور/ ٢٤٢.

إدارة شؤون الأمة ومتابعة الأحداث

لم يكن الإمام المهدي عليه السلام بمنأى عن سفرائه الأربعة، ولا بمعزل عما يجري في الحياة من الأحداث، فهو قريب من سفرائه وعلى اتصال متكامل معهم، يوجههم في مصالح العباد، ويرشدهم سواء السبيل، ويزودهم بالتعليمات العليا، يلحظ نشاطهم عن كثب، ويسدد خطاهم عن قرب، فهو إمام الواقع في الكون، ورائد الإصلاح في الدنيا، رحيب الصدر، منفتح المشاعر، يرقب اهتزازات الظرف العصيب الذي تمرّ به الأمة، فيخفف من غلوائه قدر المستطاع، ويشحذ العزائم لمجابهته بالصبر حيناً كما أمر المؤمنون، وبالالتزام الواعي حيناً آخر كما أخذ الله على المجاهدين بأموالهم وأنفسهم.

وكان نوّابه الأفذاذ على بصيرة من الأمر، قائمين بتحمّل أعباء المسؤولية، ناهضين بثقل الأمانة أداءً وتبليغاً.

وكان أولياء أهل البيت على صلة وثيقة بأولئك السفراء، يستمعون إليهم ويسمعون منهم، ويتلقون تعليماتهم بفكر نابض إلاّ قليلاً من الهمج الرعاع.

وكانت هنالك مشكلتان تعترض عصر الغيبة الصغرى، هما المشكلة الاقتصادية والمشكلة العقائدية، وكلاهما من كبريات القضايا المهمّة التي تفتقر إلى المتابعة والحلول، فقد جوبه أتباع أهل البيت بحرب اقتصادية شاملة، إذ حرموا من العطاء إلا نادراً في ظل أحكام الطواغيت وحكمهم، وأبعدوا عن إدارة الدولة، ومنعوا من الوظائف حتى الصغيرة منها، وحوربوا بأرزاقهم وحقوقهم المفروضة بنصوص القرآن الكريم ومأثور الحديث الشريف، فالأنظمة التي حكمت باسم الإسلام لا تمثل الاسلام في عدله وفروضه ومبرّاته لا من قريب ولا من بعيد، فالجبابرة من السلاطين خلفاء الله في أرضه، وإن ظلموا عباد الله، واستحلوا مال الله، واعتدوا على حرمات الله، وبيت مال المسلمين يسيطر عليه الاستئثار العام بكل شيء، وملايين الدنانير الذهبية تصرف في بناء القصور الفارهة والمنتجعات الجملية، ليتمتع بها خلفاء الجور، والأعطيات الضخمة للقوّاد والوزراء والكتاب ووعاظ السلاطين من فقهاء البلاط العباسي، والهبات الجزيلة للقيان والمغنيّن والجواري والندمان وحريم الخلافة، والمسلمون بين نظام جائر وحكم متسافل، فكانوا ضحية بلا قضية، وأضحية تسلخ منها الجلود لإرضاء نهم الحاكمين ومن لفّ لفهم من الولاة والقادة وأرباب المناصب العليا والخدم والحشم وسيدات البلاط العباسي، وتعقدت الحياة الاقتصادية فيما يجبى من ضرائب وما يفرض من رسوم.

وكان لابد لهؤلاء السفراء ـ بتوجيه من الإمام المهدي ـ من الإنفاق على العوائل المحرومة والفقراء والمساكين وذوي الاحتياج الفعلي من المرضى والمشردين واليتامى وأبناء السبيل، وكان لابد لهذا الإنفاق من مصدر معين وموردٍ جارٍ، وقد انحصر ذلك فيما يعود للإمام من

الحق الشرعي، وما يستخرجه الملتزمون من الزكاة الواجبة والكفارات والصدقات المستحبة، ولم يكن إيصال الحق الشرعي إلى وكلاء الإمام نيابةً بالأمر الهيّن اليسير، وإنما كان يجري بسريّة تامة حذر معرفة من أعطى ومن يُعطى إليه، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا، ويستأثر بالزكاة والخمس والخراج وعوائد الدولة الأخرى، والافلات من هذا الكابوس الثقيل في غاية الصعوبة، وبمنتهى الإحراج.

ونضيف لهذا كله أن إيصال المبالغ الخاصة بالإمام عليه السلام لمستحقيها ليس أمراً اعتيادياً، وإنما كان يجري وفق احتياطات مشدّدة، وبكثير من الكتمان، حفاظاً على هؤلاء وأولئك من الأذى والمصادرة والمسائلة والاستجواب.

وكان دور النواب الأربعة بإشراف الإمام المهدي دوراً مشرفاً في أبعاده دينياً واجتماعياً واقتصادياً، فإبراء ذمة ذلك المؤمن ـ وهو يجاهد بأمواله مما عليه من الحقوق الشرعية إقامةً لموازين الرضا والقبول مع القبض والإقباض وبنحو من التستر والإخفاء، وإيصاله إلى الأفراد الذين حرموا من المعونة والعطاء ـ تفعيل اجتماعي كبير في سبيل إلغاء نظام الطبقات القائم على قدم وساق، وتمتعٌ بالمعروف لهؤلاء المحرومين بهذا القدر من المال قلّ أو كثر، إنما هو تحريك للمناخ الاقتصادي من الركود والجمود في البيع والشراء والتبضّع، ومكافحة عملية للبطالة السائدة في المجتمع البائس المضطهد.

إن لجميع ما تقدم ذكره أوليات تحتاج إلى كثير من الدعوة والتبليغ والتشجيع على استخراج هذه الأموال العائدة إلى الإمام، أو التي تصرف بإشرافه وتوجيهه الرشيد، فإذا أخرجت تلك الحقوق وتخلصت من إفرازات العصر في الاغتصاب والمصادرة سلّمت إلى نائب الإمام عليه السلام،

ثم يأمره الإمام أو يخوّله بوضعها في موقعها المناسب الذي يصيب محله من البر والإحسان، وكل هذا قد يقتضي السجلات الخاصة به إيراداً وإصداراً، وهو يجري في ظل الحذر اليقظ والكتمان الأمثل.

والأهم من هذا قيادة الأمة وإدارة شؤونها الملحّة تشريعياً وعقائدياً، وهنا تبرز المشكلة العقائدية، ويتحتم علاجها في ضوء توجيه صاحب الأمر بصورة مباشرة أو غير مباشرة إبقاءً على الدين، واحترازاً من الإنحراف، وحفاظاً عليه من التيارات الوافدة، ودرءاً للأضاليل والأباطيل والمتاهات، فقد كان عصر الغيبة الصغرى عصر فتنٍ ومحنٍ ومداخلات لا أول لها ولا آخر، وعهد مناخٍ كلامي متطاول، تكثر فيه الشكوك وتتوالى التساؤلات وتثار القضايا المعقدّة، وعلى النواب الأربعة بإشراف مباشر من الإمامعليه السلام القضاء على ظواهر الانحراف في العقيدة والرأي والسلوك، فهناك من شك في خلافة الإمام المهدي لأبيه العسكريعليه السلام، ولما كان وجوب الإمام لطفاً من الله تعالى، ووجوده في الأرض لطفٌ آخر، فقد نصب الإمام نفسه شاخصاً يرجع إليه في مثل هذه المضاعفات الطارئة، وهذا باب متلئب في تفريعاته، أعرض لظاهرتين منه على سبيل المثال.

الظاهرة الأولى: حدث خلاف مرير بين الشيعة حول الإمام بعد الإمام العسكري، فمن قائل: إن الإمام مضى ولا خلف له!!

وقال آخرون: كلا، إنه لم يمضِ إلا بعد أن عيّن الخلف من بعده ونصبه قائماً بالأمر.

وقد أقنع هؤلاء الطرف الأول ـ حسماً للنزاع ـ أن يكتبوا في هذا الشأن كتاباً ينفذونه إلى الناحية المقدسة، فإن كان الإمام قائماً أجاب وإلاّ فلا، ليكون بذلك فصل الخطاب، فكتبوا بذلك، فورد الجواب بخط

الإمام المهدي عليه السلام.

بسم الله الرحمن الرحيم

عافانا الله وإياكم من الضلالة والفتن، ووهب لنا ولكم روح اليقين، وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب.

إنه أُنهي إليّ ارتياب جماعة منكم في الدين، وما دخلهم من الشك والحيرة في ولاة أمورهم، فغمّنا ذلك لكم.. لا لنا، وساءنا فيكم.. لا فينا، لأن الله معنا، ولا فاقة بنا إلى غيره، والحق معنا، فلن يوحشنا من قعد عنا..

يا هؤلاء، ما لكم في الريب تترددون؟ وفي الحيرة تنعكسون؟

أوَ ما سمعتم الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١)

أو ما علمتم ما جاءت به الآثار مما يكون ويحدث في أئمتكم عن الماضين والباقين منهم؟ أوَ ما رأيتم كيف جعل الله معاقل تأوون إليها وأعلاماً تهتدون بها؟ من لدن آدم إلى أن ظهر الماضي، كلما غاب عَلَم بدا علم، وإذا أفل نجم طلع نجم؟

فلما قبضه الله إليه (يعني أباه الحسن العسكري)ظننتم أن الله تعالى أبطل دينه، وقطع السبب بينه وبين خلقه؟

كلاّ.. ما كان ذلك ولا يكون حتى تقوم الساعة، ويظهر أمر الله سبحانه وهم كارهون، وإن الماضي عليه السلام مضى سعيداً مقيداً على منهاج آبائه عليهم السلام وفينا وصيته وعِلمه، ومنْ هو خَلَفُه، ومن هو يسدّ مسدّه، لا ينازعنا موضعه إلاّ ظالم آثم، ولا يدعيه دوننا إلاّ جاحدٌ كافر، ولو أن أمر الله لا يغلبُ، وسرّه لا يظهر ولا يعلن، لظهر لكم من حقنا

---

(١) سورة النساء/ ٥٩.

ما تبين منه عقولكم، ويزيل شكوككم، لكنّه ما شاء الله كان، ولكل أجل كتاب، فاتقّوا الله وسلّموا لنا، وردّوا الأمر إلينا، فعلينا الإصدار، كما كان منّا الإيراد، ولا تحاولوا كشف ما غطّي عنكم، ولا تميلوا عن اليمين وتعدلوا إلى الشمال، واجعلوا قصدكم إلينا بالمودّة على السنة الواضحة، فقد نصحت لكم، والله شاهد عليّ وعليكم، ولولا ما عندنا من محبة صلاحكم ورحمتكم والإشفاق عليكم، لكنّا عن مخاطبتكم في شغل فيما قد امتحنّا به من منازعة الظالم العتل الضّال المتتابع في غيّه المضادّ لربّه، الداعي ما ليس له، الجاحد حق من افترض الله طاعته، الظالم الغاصب، وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لي أسوة حسنة، وسيردي الجاهل رداءة عمله، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار.

عصمنا الله وإياكم من المهالك والأسواء والآفات والعاهات كلها برحمته، فإنه وليّ ذلك القادر على ما يشاء، وكان لنا ولكم وليّاً وحافظاً، والسلام على جميع الأوصياء والأولياء والمؤمنين ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً.»(١)

إن هذا الخطاب الجزل الجامع المانع ذو أهمية عقائدية خاصة، فأنت ترى الإمام فيه رفيقاً بشيعته إذ دعا لهم بالمعافاة عن الضلال، والثبات على اليقين، والإجارة من سوء المنقلب.

وهذا تفضّل عظيم من الإمام، وتواضع جمّ من حضرته المباركة، فهو يدعو لهم بما فيه سعادتهم من غير حاجة إليهم، ويتحدث عن ما انتهى إليه من ارتياب جماعة وحيرتهم في شأن ولاة الأمر، فداخله الغمّ لهم وساءه فيهم، فالله معه ولا حاجة به لسواه.

ثم انّبهم بلطف، وانتهرهم بجدّ، ووبخهم برفق عن ترددهم بالريب

---

(١) الطوسي/ الغيبة/ ١٧٢/ طبع مهران/ ١٣٩٨ هـ.

وارتكاسهم بالحيرة، وأشار لهم بما ورد في القرآن والآثار عن الأئمة، بما يخلصهم من الشك، إذ جعل الله أنبياءه وأوصياءه معقلاً ومجنّاً من الضلال، فما إن يأفل نجم حتى يطلع نجم، وهكذا شأنه وهو الكوكب الهادي، إذ لا يبطل دين الله بقطع الأسباب بينه وبين خلقه حتى قيام الساعة، وأشار إلى أبيه الحسن العسكري عليه السلام كونه مضى سعيداً على نهج آبائه الطاهرين، وبقي علمه يحمله خلفه ووصيه، وهوهو عليه السلام، ولا ينازعه ذلك إلاّ ظالم آثم.

وأمرهم ـ عليه السلام ـ بالتسليم إليهم، فهم أهل الورد والصدر، ووجههم بالاستقامة وعدم الانحراف، وأمرهم بالقصد إلى أهل البيت عليهم السلام بالمودّة على السنة الواضحة، وأظهر لهم أنه نصح لهم بشهادة الله عليه، وأن ذلك حبّاً لصلاحهم، وإشفاقاً عليهم، ولولا تلك المحبة وذلك الإخلاص، لكان في شغل مما امتحن به من الظالمين الغاصبين، ثم دعا لهم بالرحمة والحفظ، وسلّم في ختام رسالته على الأوصياء والأولياء والمؤمنين وصلى على النبي وعلى آله الطيبين.

الظاهرة الثانية: وكان يعزّ على الإمام اختلاف شيعته، وانغماسهم فيما لا ينفعهم، واصطدامهم بمزالق هم في غنى عن التورط في مهالكها، وكشف لهم ما هم فيه مختلفون، وأن الله ليس كمثله شيء!!

فقد اختلف جماعة من الشيعة في أن الله عزّ وجلّ: هل فوض إلى الأئمة عليهم السلام أن يخلقوا ويرزقوا؟

فقال قوم: هذا محال، ولا يجوز على الله تعالى لأن الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عزّ وجلّ.

وقال آخرون: بل الله تعالى أقدرهم أن يخلقوا ويرزقوا بإذن الله تعالى، كما منح ذلك لعيسى فأبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن

الله.

فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري (النائب الثاني للإمام) فتسألونه عن ذلك، فيوضح لكم الحق فيه؟ فإنه الطريق إلى صاحب الأمر عليه السلام.

فرضوا بذلك، وكتبوا بالمسألة وأرسلوها إليه، فخرج إليهم من ناحية الإمام عليه السلام التوقيع الرفيع الآتي:

«إن الله تعالى هو الذي خلق الأجسام وقسم الأرزاق، لأنه ليس بجسم، ولا حالٌ في جسم، ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم. وأما الأئمة عليهم السلام فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق، إيجاباً لمسألتهم، وإعظاماً لحقهم.»[1]

وكان من إدارته لشؤون الأمة الإجابة على الفروع الفقهية في مسائل الحلال والحرام وأحكام الشريعة الغرّاء، وهذا باب واسع تكفّلت بإثباته كتب الحديث والفقه الاستدلالي والاحتجاج، وحفلت به حياة النواب الأربعة فيما أرسلوا من مسائل، وما أجيبوا عليه في رسائل، وما اتبعوه من طرق وأساليب في تلقي التوقيع الشريف من الناحية المقدسة.

فهناك مئات الإجابات للإمام عن طريق السفراء، اشتملت على الإفتاء بالحكم الشرعي من قبل الإمام، وهي متوافرة في مظانها من المصادر.

وفي هذا الملحظ نشير إلى ناحية لها أهميتها في صيانة التشريع، والإبقاء على علم أهل البيت عليهم السلام، وفي طليعتهم الرسول الأعظم ثم الأئمة المعصومون، فيما تم في التخطيط له في عصر الغيبة الصغرى ممتداً إلى الغيبة الكبرى.

وكان في قمة ذلك ـ ولعله كان بإشراف مباشر أو بإيحاء ذكي من

---

(١) الطوسي/ الغيبة/ ١٣٩.

بعض نواب الإمام كالحسين بن روح مثلاً ـ ما قام به أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩ هـ) من تأليف كتابه الشهير «الكافي» فروعاً وأصولاً وروضة في عشرين سنة، جمع فيه أحاديث النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، في السنن والأحكام وأصول المذهب وفروع المسائل وما يتعلق بهذا الجانب مما يعتبر جهداً فريداً في عصره، وبما يُعدّ بحق مبتكراً ومتميزاً في موضوعه، وقد نهج المتأخرون عنه منهجه نفسه في تدوين الحديث، وتركوا لعلماء الجرح والتعديل والدراية والرواية القبول أو الرفض، والتوثيق أو الردّ، والأخذ أو التوقف، فهم في مهمة أكبر، وعلى المتأخرين عنهم غربلة ذلك، فقد ألف الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) ـ في ضوء ما فعل الشيخ الكليني ـ كتابه العظيم «من لا يحضره الفقيه» فكان فتحاً جديداً أثبت فيه ما صح لديه من ذلك.

ثم أقدم شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ) على تأليف كتابيه الجليلين «الاستبصار» و«تهذيب الأحكام»، وكلاهما في رواية الحديث الشريف عن الأئمة الطاهرين، وبذلك تكاملت موسوعة الكتب الأربعة عند الإمامية، وكان البادئ بذلك الشيخ الكليني قدس سره، فقد قال المولى محمد أمين الأسترابادي في محكي فوائده عن الكافي:

«سمعنا من مشايخنا وعلمائنا أنه لم يصنف في الإسلام كتاب يوازيه أو يدانيه»[1]

وقد اشتمل كتابه الكافي على ثلاثين كتاباً عدّها الشيخ الطوسي، وقال في آخر تعدادها: «أخبرنا بجميع كتبه ورواياته الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولوية عنه.»[2]

---

(١) ظ: عباس محمد رضا القمي/ الكنى والألقاب ١٠٣/٣.

(٢) الطوسي/ الرجال/ ٦٠٣ + الخوئي/ معجم رجال الحديث ٥٩/١٨.

وطريق الشيخ الطوسي إليه صحيح لا غبار عليه، وقد وقع الكليني في إسناد كثير من الروايات تبلغ (١٥٣٣٩) مورداً، خمسة عشر ألفاً وثلاثمائة وتسعة وثلاثين مورداً.(١)

واستظهر السيد محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢ هـ) أن الكليني رضوان الله عليه أدرك تمام الغيبة الصغرى، بل بعض أيام الحسن العسكري عليه السلام أيضاً، وأنه توفي بعد وفاة العسكري عليه السلام بتسع وستين سنة.(٢)

وهذا الاستظهار ـ وإن كان مناقشاً فيه تاريخياً ـ فهو يوحي لنا أن هذا الكتاب ربما حضي بإشراف مباشر أو بتوجيه معيّن من قبل بعض النوّاب الأربعة، أو بمراجعتهم في الأقل.

وقد استوعب الكافي ثلاثين كتاباً في الأصول والفروع فيها مسح شامل لأغلب أحاديث النبي وآله الطاهرين، وهو عدّة الفقيه فيما يستنبط منه، ويحتاج إليه الكلامي والرجالي والمحدث كما يحتاج إليه الفقيه.

وقد ذكر الشيخ الطوسي قدس سره هذه الكتب على النحو الآتي، كتاب العقل/ كتاب فضل العلم/ كتاب التوحيد/ كتاب الحجة/ كتاب الإيمان والكفر/ كتاب الدعاء/ كتاب فضل القرآن/ كتاب الطهارة والحيض/ كتاب الصلاة/ كتاب الزكاة/ كتاب الصوم/ كتاب الحج/ كتاب النكاح/ كتاب الطلاق/ كتاب العتق والتدبير والمكاتبة/ كتاب الإيمان والنذور والكفارات/ كتاب المعيشة/ كتاب الشهادات/ كتاب القضايا والأحكام/ كتاب الجنائز/ كتاب الوقوف والصدقات/ كتاب الصيد والذبائح/ كتاب الأطعمة والأشربة/ كتاب الدواجن والرواجن/ كتاب الزيّ والتجمل/ كتاب الجهاد/ كتاب الوصايا/ كتاب الفرائض/ كتاب الحدود/ كتاب الديّات/

(١) الخوئي/ معجم الرجال الحديث ٦٢/١٨.
(٢) محمد مهدي بحر العلوم/ الفوائد الرجالية ٣٣٦/٣.

وكتاب الروضة آخر كتاب الكافي.[١]

وهذه الكتب ثروة شرعية لا تضاهى، فيها سبق الى تبويب فروع الكتب الفقهية كافة، وفيها استيعاب شامل لمسائل الحلال والحرام من خلال ايراد الأحاديث في كل باب من أبوابها، وهذا جهد علمي متميز، هو ثمار عصر الغيبة الصغرى لتدريب علماء الأجيال وفقهاء الأمة على الاستنباط، وهو بداية الاعداد لعملية الاجتهاد وعند الامامية.

(١) ظ : الكليني/ الكافي/ فهارس الكتاب + الطوسي/ الرجال/ ٦٠٣ + الخوئي/ معجم رجال الحديث ٥٩/١٨.

رعاية مصالح الأفراد بلمح غيبي

وكان الإمام المهدي عليه السلام في غيبته الصغرى متابعاً لقضايا أوليائه، ملبيّاً لطلباتهم، ساهراً على مصالحهم، راعياً لمنافعهم، مسعفاً لهم في احتياجاتهم، وكان ذلك يجري بصورة منتظمة في وقته المناسب بوساطة النواب الأربعة أعلى الله درجاتهم.

وليس غريباً على الإمام عليه السلام رعاية مصالح أفراد الأمة، فشأنه بذلك شأن آبائه المعصومين، وكان الملفت للذهن أن الإمام يلبي تلك الاحتياجات بلمح غيبي، ويكون عنصر الغيب عتيداً حضورياً في مناسبات شتى تدعو لذلك، وهو ليس من باب الفراسة التي تخطئ وتصيب، ولكنها من الأمر الواقع الذي يتجلى ظهوره ببركة الإمام عليه السلام.

هذا المَعْلَم الشاخص في العناية والرعاية، له ما يبرره في تلبية الطلبات المشروعة والقضايا الملحّة، وقد يصطحبه التذكير بما يوهمه النسيان ويحدثه السهو، وهناك أمثلة كثيرة صادرة عن الإمام في هذا المنحى نقف عند بعضها على سبيل النموذج:

١. كتب الشيخ علي بن الحسين بن بابويه القمّي إلى الشيخ الحسين بن روح رضي الله عنهما: **أن يسأل الإمام المهدي عليه السلام بدعاء الله تعالى ليرزقه أولاداً فقهاء!!**

فجاء الجواب: إنك لا ترزق من هذه (زوجته الأولى)وستملك جارية ديلمية ترزق منها ولدين فقيهين.

وجرى الأمر كذلك فرزق ولدين هما الشيخ الصدوق وأخوه الحسين، وكانا فقيهين يحفظان من الأحاديث ما لا يحفظ غيرهما من أهل قم.(١)

وهكذا وجدنا للشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) مولوداً بدعاء حجّة الله في أرضه، وأصبح عالماً موسوعيّاً يشار إليه بالبنان، وقد ألف أكثر ثلاثمائة كتاب في فنون شتى، إلا أنه برز في علم الحديث بروزاً شامخاً فكان من حفّاظ الحديث، ومدوني آثار أهل البيت، بصيراً بأحوال الرجال، خبيراً بأسانيد الروايات، ولم يرَ في القميين مثله ومثل أخيه الحسين في الحفظ وكثرة العلم.

٢. وهنالك في هذا الإطار ما هو أعجب مما سبق، مقترناً بالإنباء عن الغيب المجهول، فقد رزق رجل من أوليائه مولوداً، ومات الوليد في اليوم الثامن، فكتب الرجل رسالته للإمام يخبره بموت إبنه، فجاء الجواب من الإمام عليه السلام.

«سيخلف الله عليك غيره وغيره، فسمهِ أحمد، ومن بعد أحمد جعفراً.»

فكان كما أخبر الإمام عليه السلام، وامتثل الرجل أمر الإمام في اختيار الاسم لكل من ولديه.(٢)

٣. وقد يحدث الأمر الخارق للعادة ببركة دعاء الإمام وأمره، وامتثال ما يشير به، فقد كان صبي أخرس في صباه لا يستطيع التكلّم، حتى بلغ من العمر ثلاث عشرة أو أربع عشرة سنة، فجاء به أبوه إلى النائب

---

(١) ظ: الطوسي/ الغيبة/ ١٨٨.

(٢) ظ: الطوسي/ الغيبة/ ١٧١.

الثالث لصاحب الزمان الشيخ الحسين بن روح، وطلب إليه أن يسأل من الإمام المهدي عليه السلام أن يفتح الله لسانه.

فقال لهم الشيخ الكبير: إنكم أمرتم بالخروج إلى الحائر.

فجاء به عمه وأبوه إلى كربلاء المشرفّة، وبعد زيارة مرقد سيد الشهداء الحسين عليه السلام والاستجارة به، صاح أبوه وعمّه: يا سرور!!

فأجابهم بلسان فصيح: لبيك!! فقال أبوه: ويحك.. تكلمّت؟ قال سرور: نعم.(١)

وكان بإمكان صاحب الزمان عليه السلام أن يدعو للصبي فينطق، ودعاء الإمام لا يردّ، إلا أن الإمام أراد إظهار كرامة سيد الشهداء عند الله، فللإمام الحسين خصائص عند ضريحه المبارك منها، أن الله جعل الشفاء في تربته، واستجابة الدعاء تحت قبته وضريحه من البقاع التي يحبّ الله أن يُدعى فيها كما في الحديث الصحيح.

٤. وقدم رجل إلى بغداد، ومعه أموال وهدايا من أهالي قم إلى الإمام المهدي عليه السلام عن طريق نائبه محمد بن عثمان بن سعيد، ولمّا سلم الأموال، قال له محمد بن عثمان:

قد بقي شيء مما استودعته، فأين هو؟

فقال الرجل: لم يبقَ شيء يا سيّدي إلاّ وقد سلمته!!

قال محمد بن عثمان: بلى، قد بقي شيء، فارجع إلى ما معك وفتشه!!

فمضى الرجل وفتش أمتعته، وتفكر قليلاً، فلم يصل فكره إلى شيء.

فرجع إلى محمد بن عثمان وقال له: لم يبقَ شيء في يدي!!

---

(١) المصدر نفسه/ ١٨٨.

فقال له محمد بن عثمان: يُقال لك: الثوبان السودانيان اللذان دفعهما إليك فلان ابن فلان، ما فعلا؟

فتذكر الرجل الثوبين، وقال: لقد نسيتهما ولستُ أدري أين وضعتهما!! وذهب الرجل يبحث عن الثوبين، فلم يجدهما، فرجع إلى محمد بن عثمان وأخبره بفقد الثوبين!!

فقال له محمد: يُقال لك: إمضِ إلى فلان ابن فلان القطّان الذي حملت إليه العدلين، فأفتق أحد العدلين تجد الثوب في جانبه!! فتحيّر الرجل وذهب، وفتق العدلين، وجاء بالثوبين إلى محمد بن عثمان العمرى النائب الثاني للإمام.(١)

وفي هذا الحدث عدة دلالات:

الأولى: أن الإمام كان عالماً بما استودع الرجل إليه.

الثانية: أن الرجل مع صدق أمانته قد نسي الثوبين وأمرهما.

الثالثة: أن النائب الثاني للإمام ذكّره بشأن الثوبين، وبالشخص الذي دفعهما.

الرابعة: أنه بحث عن ذلك فلم يجده.

الخامسة: أن الإمام ـ بوساطة نائبه ـ أعلمه بالموضع الذي فيه الثوبان تفصيلاً.

٥. وهناك جزئيات خاصة لها دلالتها الاجتماعية والأخلاقية في حياة الأفراد، وهي كثيرة الاتجاهات في عصر الغيبة الصغرى، وأبرزها إصلاح ذات البين في نماذج عديدة منها:

أن رجلاً من أولياء الإمامعليه السلام، اختلف مع زوجته اختلافاً كبيراً انتهى إلى النزاع الشديد والحياة المريرة، فطلب الرجل إلى الناحية

---

(١) ظ: الطوسي/ الغيبة/ ١٧٩.

المقدسة التدخل لحل مشكلته هذه!!

فجاء الجواب من الإمام ضمن إجابات أخرى للسائلين، فكان منها:

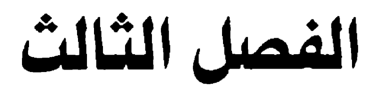
«والزوج والزوجة فأصلح الله ذات بينهما.»

وعادت زوجته إليه واعتذرت منه.[1]

هذه اللفتة من الإمام كسواها وأمثالها، مما يوحي برعايته للأفراد في مشكلاتهم الخاصة، فضلاً عن المشكلات العامة.

---

(١) ظ: الطوسي/ الغيبة/ ١٨٤.



الفصل الثالث

الغيبةُ الكبرى ثبوتها وعوائدها التجريبية

ثبوت الغَيْبَةِ الكبرى.

استقبال الفتن بالثبات على المبدأ.

إيجابية انتظار الفرج المنقذ.

الترقب الواعي خطوة حضارية.

ثبوت الغيبة الكبرى

بوفاة النائب الرابع محمد بن علي السمري سنة (٣٢٩ هـ) أعلنت الغيبة الكبرى للإمام المهدي المنتظر عليه السلام كما في التوقيع الصادر من الناحية المقدسة، والذي ذكرناه آنفاً.

وقد أثيرت حول غيبة الإمام المنتظر عدة تمحّلات وتساؤلات وإشكاليات أجاب عنها علماؤنا الأعلام ـ قديماً وحديثاً ـ فيما قدموه من تفصيلات وإيضاحات وبيانات، وليس بعد قيام الدليل العقلي وتضافر الدليل النقلي حجة لمشكك، ولا فرضية لمعترض، وذلك أن العقل هو الحجة في مرتكزات الشريعة الغراء في أصول الاعتقاد فكما كان دليلاً على التوحيد، كان بالضرورة دليلاً على وجوب النبوة والإمامة والمعاد في يوم القيامة، والقائم المنتظر إمام بالنصّ عليه كما نُصَّ على آبائه عليهم السلام، فإذا وجبت الإمامة بحكم العقل، وجبت للقائم المنتظر فهو أحد مصاديقها.

فالعقل إذن هو القائد الموجّه لحركة الإيمان في أصولها الضرورية الخمسة كما سبق.

وقضية الإيمان يتفرع عنها الإيمان بالغيب وما وراء الطبيعة، وهو أحد مفردات المشروع الإلهي الذي أكّد عليه القرآن في أبعاد تكاملية

الرسالة الإسلامية، وهو يشكل المحور الأساسي في الاعتقاد القاضي بالتسليم المطلق لأنباء الغيب في تلقّيها بالرضا والإيمان، لأنه يستمدّ أصالته ودلائله من قاعدته الصلبة، وهي العقل.

فإذا أضفنا إلى ذلك دعم هذا الأصل في مرتكزات أخرى تتفرع عن الأصل الأولي الثابت وهو الإيمان بالله تعالى، والإقرار بقدرته في خرق نواميس الكون أو إجرائها على سننها الطبيعية، كان لزاماً علينا الإذعان بما تفرزه هذه المقدمات الصحيحة من نتائج صحيحة غير قابلة للرفض أو التشكيك والارتياب.

ولمّا كانت هذه الصحائف إنما تكتب لمن آمن بالله ورسوله وعالم الغيب بكل جزئياته التي لا تحصى، فالمفروض التصديق بما قام على صحته البرهان، والرجوع إلى ما شرّعه الإسلام في نصوص القرآن الكريم من التحدث عن أنباء الغيب في ضرس قاطع، والإفادة بما أبقته الأحاديث الشريفة من آثار تدعم هذا الاعتقاد وتتناول هذا الموضوع بالتصريح الجازم.

فقد آمن المسلمون بقيام الكائن الملائكي في مهماته المتعددة، وآمنوا بنطق المسيح في المهد، وآمنوا ببعث يحيى صبياً، وآمنوا بثعبان موسى ويده البيضاء، وآمنوا بأصحاب الكهف، وآمنوا بغيبة موسى عن قومه، وغيبة يوسف عن أبيه، وغيبة يونس عن أهالي نينوى، وعروج عيسى إلى السماء، ورفع إدريس مكاناً علياً، وحياة الخضر وحياة الملائكة، وبقاء الشيطان إلى يوم يبعثون، وسوى ذلك من المغيبات التي صرّح بها القرآن الكريم وأثبتتها السنة.

والكتاب والسنة هما مصدر التشريع لدى المسلمين، وليس لمسلم إنكار ذلك، ولا ردّ ما وَرَدَ بهما.

والبحث هذا إنما يقال ويساق للذين آمنوا بالله ورسوله وعالم الغيب الذي نتحدث عنه في ثبوت الغيبة الكبرى.

وقد ورد ذكر الغيبة في الأحاديث والنصوص النبوية مئات المرات بما يقطع الشك في أمرها، وقد نصّ على ذلك المحدثون من المسلمين في كتبهم التي أربت على أكثر من مائة مصنف، حتى عاد الأمر لديهم من الثوابت والمسلمات.

والبحث في غنى عن تكرارها وإعادتها، وقد يذكر بعضها في موقعه، وقد يكتفي بالشهرة المستفيضة الناطقة بذلك، وقد يعوّل على روايات الظهور الكثيرة التي تفضي باللازم ثبوت الغيبة، وقد ورد في بعضها أن الإمام المهدي المنتظر عليه السلام:

«يغيب عن أوليائه غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلاّ من امتحن الله قلبه للإيمان.»[١]

وفي بعضها عنه: «تكون له غيبة وحيرة تضّل بها الأمم.»[٢]

وفي حديث ابن عباس:

«يبعث المهدي بعد إياس، وحتى يقول الناس لا مهدي.»[٣]

هذه النماذج تتحدث عن غيبة الإمام.

والغيبة تعني استتاره واحتجابه عن الناس، ولا تعني وفاته وبعثه حياً، وقد ثبتت ولادته ولم يذكر أحدٌ موته.

فكانت غيبته حتى يأذن له الله بالقيام بالسيف، وهو تعبير عن القوة بشتى أسلحتها، ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً.

ولا تعني الغيبة الانسحاب من ميدان العمل، ولا الإنهزام عن واقع

---

(١) القندوزي/ ينابيع المودة/ ٤٩٥.

(٢) المصدر نفسه/ ٤٨٨.

(٣) السيوطي/ الحاوي ٢/١٥٢.

الحياة، بل هي خطة تدريجية لأحكام المشروع الإلهي في إقامة الدولة الكبرى حتى تمامية الشرائط بظهوره.

ولم يترك الإمام المهدي الأمة سدى في غيابه، بلّ شرّع لها مرجعية الفقهاء، وفتح باب الاجتهاد بتوقيعه:

«وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجّة الله عليهم.»(١)

فوجود الإمام ووجود الفقهاء متلازمان، فالإمام يؤيد الفقهاء ويسدد خطاهم باعتبارهم حجة على الأمة، والإمام يرصد الفقهاء ويرقب عملهم باعتباره حجة عليهم.

وهذه ملازمة عقلية في البقاء والحضور للإمام، وتؤيدها الآثار الصحيحة النقلية برواية زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

قال رسول الله: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، وهو كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.»(٢)

فالقرآن والإمام مقترنان بالوجود حتى يوم القيامة، وفي هذا الضوء يتجلى قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليةً.»(٣)

ففي كل زمان إمام يكون حجة لله على العباد في حالتي الغيبة والحضور.

وهذا عند الإمامية من المسلمّات والثوابت في أصول الدين.

---

(١) الصدوق/ إكمال الدين ٤٨٤/٢.

(٢) ابن الأثير/ جامع الأصول إلى أحاديث الرسول ١٨٧/١.

(٣) مسلم/ الصحيح ٢٢/٦ + ابن حنبل/ المسند ٤٤٦/٣ + الكليني/ الكافي ٣٧٦/١.

وأمّا عند فريق من الجمهور، فالتشكيك لديهم ينحصر في أمر استمرارية حياة الإمام عليه السلام هذه السنين المتطاولة، فكيف يتم ذلك؟ وما الدليل عليه؟ وأين هو الآن؟ وسوى ذلك من الافتراضات التي برهنها صريح القرآن وصحيح السنة!!

وحينما ينطق القرآن ـ وهو كتاب الله الصادق ـ بإمكانية إطالة الأعمار، ويتحدث عن ظاهرة استمرارية حياة الإنسان وسواه، فإنه يجب الإقرار والإذعان بذلك من قبل المسلم.

وبثبوت تلك المعايير القرآنية في بقاء الإنسان وغيره حياً طيلة عدة أجيال وقرون، وما نطقت به السنة الشريفة في ذلك يفرض صحة هذا الفرض وتحقق المفروض.

وثبوت ذلك تاريخياً في أخبار المعمرين ممن عمروا عمراً طويلاً، ودونت أنباؤهم في كتب التاريخ والآداب، مما يؤيد هذا الملحظ ويسند حقيقته التاريخية فضلاً عن حقيقته الشرعية، وحسبنا في ذلك ما أفرده السجستاني في كتابه المعروف (المعمّرون).

وما أخبر به القرآن صريحاً في هذا الشأن هو الذي يلزم المسلم بالتصديق وتصحيح الأفكار، وإليك نماذج منه:

١. لبث نوح في قومه أيام دعوته بصريح القرآن ألف سنة إلا خمسين عاماً، أمّا ما هو قبل الرسالة، وكم بقي بعد الطوفان فعلمه عند الله.

٢. تحدّث القرآن عن يونس صاحب الحوت بأن بالإمكان بقاؤه في بطن الحوت لولا تسبيحه إلى يوم يبعثون، فقال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.[1]

٣. فيما اقتص الله تعالى من خبر أهل الكهف في مقامهم أحياء في

(١) سورة الصافات/ ١٤٣، ١٤٤.

كهفهم ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾[1]

٤. ما أورده القرآن من نبأ الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فأماته الله مائة عام ثم بعثه حياً، يمثل دلالة على البعث والنشور والحياة.

٥. وما أنباء رفع عيسى إلى السماء، وأدريس من قبله، وحياة الخضر إلا أمثلة نابضة في القرآن الكريم على صحة المفروض.

وقد سبق وسيأتي ما ورد في الغيبة من مأثور السنة الشريفة بأسانيد عالية تؤكد بقاء القائم المنتظر حياً حتى الظهور.

وقد أنكر الحافظ الكنجي الشافعي على من قال بعدم جواز حياة الإمام المنتظر (عجل الله فرجه)، مشيراً إلى بقائه واقعاً وإمكاناً فقال:

«ولا امتناع في بقائه!! بدليل بقاء عيسى والياس والخضر من أولياء الله، وبقاء الدجّال وإبليس الملعونين من أعداء الله تعالى، وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة، وقد اتفقوا عليه، ثم أنكروا جواز بقاء المهدي!!؟»[2]

ومما يذهل له الطب الحديث اليوم: أن كيف يموت الإنسان؟ وهو مؤجل في تركيبه للبقاء عمراً مديداً، وعجبه من موته أشدّ من عجبه من حياته في تكوينها المعقد من النطفة حتى الولادة.[3]

وقد وجدنا الدكتور أحمد أمين المصري متطرفاً في مخالفته لهذه الإثباتات القطعية، وإنكاره بقاء الإنسان حيّاً مئات السنين، إذ لا يمكن

---

(١) سورة الكهف/ ٢٥.

(٢) الكنجي الشافعي/ البيان في أخبار صاحب الزمان/ ١٠٢.

(٣) حدثني بذلك الطبيب الإنساني اللامع الدكتور فارس عبد الكريم عميد كلية الطب في جامعة بغداد عن دراسات طبية أوربية متخصصة.

للإنسان عنده «أن يختفي ويبقى مختفياً مئات السنين من غير أن يجري الله عليه حكم الموت، بل إن ذلك لا يجوز إلاّ على السذّج الذين فقدوا عقولهم.»[١] في حين يصرّح الوزير الأربلّي: «... وإذا ثبت أن الله سبحانه قد عمّر خلقاً من البشر... وبعضهم حجج الله تعالى وهم الأنبياء، وبعضهم غير حجة، ولم يكن ذلك محالاً في قدرته، ولا منكراً في حكمته، ولا خارقاً للعادة، بل مألوفاً على الأعصار، معروفاً عند جميع أهل الأديان، فما الذي يُنكر من عمر صاحب الزمان أن يتطاول إلى غاية عمر بعض من سميناه.»[٢]

ومعنى هذا أن تطاول الأعمار ممكن على كل حال، وجارٍ وفق السنن الطبيعية للكون أو الإعجازية مع إرادة الله لذلك، فله خرق نواميس العادة، وله إجراء السنن على عادتها.

يقول الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) «فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السنّ وتناقص بنية الإنسان فليس مما لابد منه... وهو تعالى قادر أن لا يفعل ما أجرى العادة بفعله... وإذا ثبتت هذه الجملة ثبت أن تطاول العمر غير مستحيل.»[٣]

بل لقد ذهب محمد بن طلحة الشافعي إلى أبعد من هذا شأواً، وجمع إليه دلائل أخرى، وأجرى أحكاماً ذات صلة بحكم الشارع، ناطقاً بها ومعوّلاً عليها، فقال:

«من غاب وإن انقطع خبره، لا توجب غيبته وانقطاع خبره الحكم بمقدار عمره ولا بانقضاء حياته، وقدرة الله واسعة بعباده عظيمة... وليس

---

(١) أحمد أمين/ المهدي والمهدوية/ ٩٦.

(٢) الأربلي/ كشف الغمة ٣/٣٥٥.

(٣) الطوسي/ الغيبة/ ١٢٦.

بدع ولا مستغرب تعمير عباد الله المخلصين، ولا امتداد عمره إلى حين.

فقد مدّ الله تعالى أعمار جمع كثير من خلقه، من أصفيائه وأوليائه، ومن مطروديه وأعدائه، فمن الأصفياء عيسى عليه السلام، ومنهم الخضر، وخلق آخرون من الأنبياء....

ومن الأعداء إبليس والدجّال، ومن غيرهم كعادٍ الأولى...

وكل هذه لبيان اتساع القدرة الربانية في تعمير بعض خلقه.

فأي مانع يمنع من امتداد عمر الصالح الخلف الناصح إلى أن يظهر، فيعمل ما حكم الله له به.»[١]

وإذا صح في القرآن العظيم، وثبت في الحديث الشريف إمكان بقاء الإنسان حياً أكثر من ألف عام، فإن العلم الحديث يصرّح بإمكانية بقائه آلاف السنين!! فكل الأنسجة الرئيسية في جسم الإنسان تقبل البقاء إلى ما لا نهاية له... فالإنسان لا يموت لأنه عمّر كذا من السنين، بل لأن العوارض تنتاب بعض أعضائه فتتلفها، ولارتباط أعضائه بعضها ببعض تموت كلها، فإذا استطاع العلم أن يزيل هذه العوارض، أو يمنع فعلها، لم يبقَ مانعٌ يمنع استمرار الحياة مئات السنين، وأن الإنسان الذي يعيش ويتنفس الآن يملك حظ البقاء من الناحية الفيزيائية.

وإذا استطاع الإنسان طبياً أن يساعد على إطالة عمر الإنسان طبيعياً، فما بالك بالملحظ الإعجازي الذي يتحدى القياس؟

وما رأيك بالكينونة المطلقة في الإرادة الإلهية القائلة للشيء كن فيكون؟

وإذ انتهى بنا الحديث إلى هذا الجزء من إثبات صحة الغيبة، وبقاء الإمام المهدي عليه السلام حجة في الأرض ـ وقد سبق لنا بحث عائدية

(١) ابن طلحة الشافعي/ مطالب السؤول/ ٢/٨٦ـ٨٧.

الغيبة ومنافعها ـ فما علينا إلاّ الإنصات لبقية العوائد العقائدية في الاختبار للناس والتجريب والفتنة والامتحان وفلسفة الانتظار لفرج آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

استقبال الفتن بالثبات على المبدأ

من السنن الإلهية في الحياة الدنيا: الاختبار التجريبي للإنسان، والابتلاء بشتى الأعراض بقصد الامتحان، والمؤمن الرسالي المتسلّح بالوعي والذكاء والشفافية والإحساس العميق هو الذي يجتاز هذا الامتحان بنجاح باهر، فيخوض معركة فاصلة بين الصبر والجزع، ويسبح في تيار متقابل بين الانحراف والاستقامة، وبالخروج من هذا المأزق الكبير يتميز الخبيث من الطيب نفساً وعملاً وميزاناً.

وروايات الظهور تتحدث عن الفتن بلغة حتمية لا مناص عنها، فعن الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«ستكون بعدي فتن لا خلاص منها، فيها هرب وحرب، ثم بعدها فتن أشدّ منها، كلمّا انقضت تمادت، حتى لا يبقى بيت من العرب إلاّ دخلته، ولا مسلم إلاّ وصلته، حتى يخرج رجل من عترتي.»[(١)]

ومعنى هذا أن سيلاً من الفتن الهوجاء العاصفة سوف تجتاح المسلمين بعامة، وتدخل ديار العرب والإسلام داراً داراً، وهي متتابعة بالاستمرار والتمادي، فما إن تهدأ حتى تثور، وما إن تنطفئ حتى

(١) لطف الله الصافي/ منتخب الأثر/ ٤٤٢.

تشتعل.

روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«... لا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تمحصوا، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تميزوا، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى تغربلوا، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم إلاّ بعد أياس، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتى يشقى من شقي ويسعد من سعد.»[1]

وليس جديداً على البشرية امتحان الأمم والشعوب والقبائل، بل وحتى الأفراد بالفتن والمحن، جاء هذا بدليل قوله تعالى:

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[2]

وذلك أن مجرد ادّعاء الإيمان لا يكفي وحده إلى إثباته متكاملاً، فالإيمان درجات، والبشر في كل العصور ينبغي أن يخضع للتجربة الاختبارية لدى اصطدامه بالفتن الظلماء، وتلك الفتن هي التي تصقل نفوس المؤمنين وتوقظها إحساساً بالمسؤولية، وتجربة في الثبات على المبدأ، وهي التي ترسم الخط الفاصل بين الصادقين والكاذبين في صحة الإيمان وعدمه.

وكان الإمام الكاظم موسى بن جعفر عليه السلام قد أجاب عن ماهية الفتنة في الآية السابقة بقوله لمعمّر بن خلاّد، ما الفتنة؟ قلت: جعلت فداك، وعندنا الفتنة في الدين!! فقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

«يفتنون كما يفتن الذهب، ثم يخلصون كما يخلص الذهب.»[3]

---

(١) النعماني/ الغيبة/ ١١١.

(٢) سورة العنكبوت/ ١ـ٣.

(٣) الكليني/ الكافي ٣٧٠/١ + البحراني/ البرهان في تفسير القرآن ٢٤٣/٣.

وفي ذلك يتمّ التمييز بين المؤمن الصلب والمنافق المهزوز، اختباراً من الله للعباد، إذ لم يتركهم سدى دون امتحان.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾(١)

وقد أنبأ رسول الله ﷺ عن طبيعة هذه الفتنة ومفارقاتها بالقول: «لابد من فتنة تبتلى بها هذه الأمّة بعد نبيّها ليتعيّن الصادق من الكاذب. لأن الوحي قد انقطع، وبقي السيف وافتراق الكلمة إلى يوم القيامة.»(٢)

جاء هذا تعقيباً من النبي حينما نزلت آيات العنكبوت المتقدمة.

وقد حذّر القرآن من الفتنة، وأمر باتقائها في قوله تعالى:

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٣)

ومن الأهمية بمكان أن هذا الأمر بالاتقّاء من الفتنة يعنى بالاستعداد لدرئها والعمل على دفعها، والمبادرة إلى إخماد نارها، بالتحصن الذاتي من الوقوع بها، وبالتصدي لإفرازاتها والقضاء عليها، كل حسب موقعه من التكليف الشرعي، وبشتى الأساليب التي يمكن استخدامها لهذا الغرض.

وبناءً على الأخبار التي استفاضت بوقوع الفتن في آخر الزمان، فينبغي أن يكون المؤمن حذراً متيقظاً لئلا يندرج في سجلّ الظالمين، ومن أجل بقائه في عصمة من الهلكة فعليه أن يثبت صامداً لئلا ينزلق في المتاهات.

ومع أن الفتن لا حدّ لها ولا معيار، بالقياس النوعي لما تحمل من

---

(١) سورة آل عمران/ ١٧٩.

(٢) الطبرسي/ مجمع البيان ٣١٥/٢.

(٣) سورة الأنفال/ ٢٥.

تناقضات غريبة ومختلفة تضيفها إلى محن الأمة، فإن أشدها وقعاً وأعظمها جرماً آنذاك سفك الدماء عشوائياً، وقتل الناس دون سبب معروف، والفوضى في إزهاق أرواح الأبرياء، فعن رسول الله ﷺ، أنه قال:

«والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم لا يدري القاتل فيمَ قَتَلَ، ولا المقتول فيمَ قُتِل.»(١)

وإذا أقبلت الفتن فإنها تقبل عمياء تصطدم بكل شيء، وتقضي على كل شيء، تلك حالة مرعبة حقاً، إلا أن المؤمن اليقظ الذي يتعايش مع تعليمات أئمة أهل البيت عليهم السلام يتمكن من اتقائها على الوجه الأكمل.

وهنالك فرضيات لاتقاء الفتنة يصح بعضها، ويناقش بعضها الآخر، وبإمكان البحث إعطاء بعض صور ذلك في نقاط:

١. الابتعاد عن المظاهر البرّاقة في الجاه وحب الظهور والشهرة، والاكتفاء بمراقبة النفس وصدّها عن الهوى، وذلك في الزمان الذي يعدّ فيه التظاهر بالخمول والالتجاء إلى العزلة أولى من الإندماج بواقعه المرير، أو الالتصاق بمجتمعه المريض، وإذا كان أبناء الزمان على سبيل من الانحراف فالابتعاد عنهم يحقق معنى الاتّقاء، ولعل سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام يشير لذلك بقوله: «...وذلك زمانٌ لا ينجو فيه إلاّ كل مؤمن نُوَمَة: إن شهد لم يعرف، وإن غاب لم يُفْتَقد.»(٢)

وتعبير الإمام في غاية البلاغة المعبّرة عن غربة المؤمن وامتهانه في زمان غير زمانه.

٢. الثورة المسلحة ضد واقع الأمة المنحرف عن الإسلام، وهذا الخيار يدعو إلى إراقة الدماء، وقد تكون دواعيه غير متوافرة، وقد تكون

(١) مسلم/ الصحيح ٤/٢٢٣١.

(٢) الإمام علي/ نهج البلاغة/ ١٥٢/ الخطبة رقم ١٠٣.

أسبابه غير قائمة، وقد تكون مشروعيته غير واردة، فيكون من قبيل إلقاء النفس في الهلكة أو هو كذلك، ونتيجة هذا الاتجاه يعني توريط المؤمنين بحرب فاشلة يمكن أن تجهض وهي بعد في مهدها، والتاريخ مليءٌ بشواهد تلك المشاهد الدامية التي جلبت الشر على العباد والبلاد، إذ لم تتهيأ لها مقومات الثورة الناجحة، فهي شرارة طائشة تزيد من لهيب الفتن وتوريها اشتعالاً.

٣. الابتعاد عن سبيل الفتنة باتقائها، ومعاكسة تيارها الجارف حذر الوقوع فيه، والى هذا أشار أمير المؤمنين بقوله: «ولا تقتحموا ما استقبلتم من فور نار الفتنة، وأميطوا عن سننها، وخلّوا قصد السبيل لها، فقد لعمري يهلك في لهبها المؤمن، ويسلم فيها غير المسلم.»(١)

وهذا تحذير بليغ نابض في التنحي عن مسالك الفتنة، وانتظار هدوء عاصفتها، ريثما يخمد ذلك اللهب المتطاير.

٤. مقاومة الفتنة وأصحابها من الجبابرة والطغاة والهمج الرعاع بالانتظار الإيجابي دون مواجهة مباشرة، ولا إثارة لهواجس الظَلَمَة، وذلك ما يتم على يد الطبقة المثقفة الواعية بإظهار الحقيقة العلمية بإطارها المعرفي، والاستباق إلى مكارم الأخلاق، والإدّراع بالتقية التي هي الحصن الواقي، والاصطفاف في خط المجاهدين للنفس والهوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحدود آمنة، وترقب نصر الله من خلال قوله تعالى:

﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾(٢)

ولقد دأب أئمة أهل البيت عليهم السلام على درء الفتن باستخدام أساليب

---

(١) الإمام علي/ نهج البلاغة/ الخطبة/ ١٨٧.

(٢) سورة الأنبياء/ ١٠٥.

عديدة منها: العفو والصفح الجميل، ومنها التغاضي عن جهل الجاهلين، ومنها الحث عن طيب الشمائل وعظيم الصفات، ومنها العمل بالتقية درعاً للإيمان، ومنها معايشة الأمة بسلام، ومخاطبة الناس بحسب مداركهم.

وعلى المؤمن الملتزم عقائدياً استقبال الفتن بالثبات والشجاعة والتخطيط الأمثل حتى تنجلي الغبرة ويصرح الحق المبين، فالفتنة في سنن الكون جارية لغرض الكشف والتمييز، واختبار درجات الناس صبراً وعزيمة ووعياً، وفيها عائدية تمحيص المؤمنين، وفرز مجموعة النفاق، وغربلة الأعمال، وهذه المعاني قد أكّد عليها أئمة أهل البيت عليهم السلام في كلماتهم القصار ضمن تحركهم العام في التماس السلامة لأوليائهم، فقد ورد عن جابر الجعفي عن الإمام محمد الباقر قوله:

قلت لأبي جعفر عليه السلام: متى يكون فرجكم؟ فقال: هيهات هيهات حتى تغربلوا، ثم تغربلوا ثم تغربلوا (يقولها ثلاثاً) حتى يذهب الكدر ويبقى الصفو.»[١]

وفي هذا المعنى قال أبو بصير:

«سمعت أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام يقول: والله لتمحصن، والله لتغربلن، كما يغربل الزؤان من القمح.»[٢]

والزؤان ما يخالط الحنطة من الأوشاب العالقة والحبوب الغريبة، فإذا غربلت الحنطة سقط الزؤان وبقي القمح.»

وقد أكّد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام هذا الأمر فقال:

ـ مخاطباً ابراهيم بن هليل بعد سؤاله عن الفرج ـ

«أما والله يا أبا اسحق ما يكون ذلك حتى تميزوا وتمحصوا، وحتى لا

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ١٢٢/٥٢ وانظر مصدره.

(٢) النعماني/ الغيبة/ ١١٠.

يبقى منكم إلاّ الأقل، ثم صفر كفه.»[1]

وتتمخض هذه الغربلة عن تمييز الرجال وزنة الأعمال وصلابة المواقف، وهو أمر مرادٌ بحد ذاته من قبل الله تعالى.

يقول الأستاذ حسن النجفي دام علاه:

«إن الفتنة تقوم برفع الأقنعة عن الوجوه، فيكشف النقاب عن جوهر التدين، عندئذٍ يمتاز الخبيث عن الطيب بصورة طوعية، ويشخّص كل منهما بعلامة جليّة.

والتمحيص الذي هو نتاج الفتنة لا يتجلى دوره فقط في فرز الناس طبقاً لدعوى الإيمان إلى مؤمنين ومنافقين، وإنما ينسحب تأثيره كذلك على كل من الفريقين، فبالنسبة للمنافقين تعمل الفتنة على إخراج آفات الكفر تدريجياً أو دفعة واحدة، بحسب نوع الامتحان الذي تحمله الفتنة، فينكشف مستورهم أمام أعينهم تأكيداً للحجة عليهم، وتحذيراً للمؤمنين من شرهم.

«أما بالنسبة للمؤمنين فإن الفتنة تكون بمثابة الوقود الذي يزيد من أوار النار، فتخلص منهم الشوائب العارضة، وتتساقط منهم أوزار المعاصي الطارئة، حتى يشرق النور الإلهي في وجودهم، فيترفون في مدارج الكمال ومراتب القرب من الله تعالى.

وعليه فإن الثمرة التي يقطفها المؤمن من سلة التمحيص هي رفع الدرجة وسمو المرتبة في الدنيا والآخرة.

ونصيب المنافق في سوط التمحيص هو حطّ الدركة والسقوط في الهاوية في الدنيا والآخرة.»[2]

وإذا تمت الغربلة باستقبال الفتن وتمحيص الرجال بالثبات على

---

(١) النعماني/ الغيبة/ ١١/ الطبعة الحجرية.

(٢) حسن النجفي/ علائم الظهور في المستقبل المتطور/ ١٠٥.

المبدأ والصلابة في الإيمان يكون انتظار الفرج قائماً على أسس سليمة من الترصد والترقب الواعي.

إيجابية انتظار الفرج المنقذ

الإمعان الدقيق في سير الأحداث العاصفة وهي تضغط بشكل لا معقول على أولياء أهل البيت بالعسف والاضطهاد، وتتعقبهم بالحيف المتراكم عنتاً وقسوة، وتترصد تحركهم في إقامة الشعائر والسنن، وتتناوب عليهم بالعناء والبلاء المستطير، وكلها ظواهر سلبية مريرة، يوحي بإيجابية الانتظار النوعية لفرج آل محمد.

وانتظار الفرج بملحظه الإيجابي لا يعني التهرب عن المسؤولية، ولا يدعو إلى تعطيل الحياة الإنسانية في حركتها التشريعية المفروضة من قبل الله تعالى، ولا ترمي إلى الفرار من واقع الحياة الفعلي، ولا توحي بإلقاء الحبل على الغارب في المواجهات الصعبة والقضايا المصيرية، بل تعنى عناية بالغة بالتروي والأناة والترصد الهادف بديلاً عن القفزات الطائشة والانفعالات الآنية التي لا تستلهم روح الرسالة الإسلامية في الحفاظ على الأفراد والجماعات من النتائج المضادة للتحرك غير المشروع، وهذا يعني الإبقاء على الأرواح والاحتراز من سفك الدماء وهذا عين التورّع في القرار الحاكي عن الحذر في الانفلات والاندفاع وراء المشاعر الملتهبة وهي تتوهج حنقاً وغيظاً من الطوارئ.

وهو يُعد تقيّد عمليّ بجوهر تعليمات الأئمة عليهم السلام في استلهام الغيب المجهول الذي يطلّ بأمله على الفرج المرتقب.

ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «ما أحسن الصبر وانتظار الفرج، أما سمعت قول الله تعالى: ﴿وارتقبوا إني معكم رقيب﴾[١] وقوله تعالى: ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾[٢] فعليكم بالصبر، فإنه يجيء الفرج على اليأس، فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم.»[٣]

هذا المنطلق الواضح في التوجيه نحو انتظار الفرج، يشير إلى طبيعة السنن الكونية التي صاحبت مسيرة الحياة البشرية، فيما جرى عليها من كوارث ونكسات في أبعاد عديدة.

فالأمم السابقة التي عانت من الفتن، وقاست المحن والشدائد ومختلف الابتلاءات خير تنظير لنا، فهي ترتقب الخلاص وساعة النصر على أيدي أنبيائها الموعودين بالظفر، فكانوا أصبر منا حينما تحملوا العبء الثقيل والظلم والإذلال والحرمان القاتل، وما قوم موسى عليه السلام بمنأى عنّا، وهم يتحمّلون من فرعون وآل فرعون سوء العذاب، فصبروا على ما هم عليه من المآسي وانتهاك الحرمات بقتل الرجال واستحياء النساء، حتى فرّج الله عنهم بما فتح عليهم، وأمثالهم كثير، فكتب لهم الفرج نتيجة الصبر المضني الذي لا تطيقه الّا النفوس التي امتحنت عند البلاء.

لهذا فإن انتظار الفرج على يد الإمام المهدي عجل الله فرجه، يعني فيما يعنيه

(١) سورة هود/ ٩٣.
(٢) سورة الأعراف/ ٧١.
(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ١٢٩/٥٢ وانظر مصادره.

عدم استعجال الأمر، كما يعني رصد الظروف الموضوعية التي تنحسر عن الفرج بتحقق شرائطه العامة والخاصة، وذلك ما يستدعي ظهور الإمام بتمامية تلك الشرائط، وقيامه بالأمر لدى تكامل العدة والعدد والمناخ النفسي والاجتماعي والعسكري المهيىء لاستقباله قائداً في دولته العالمية المرتقبة.

ذلك كله في قبال التنطع اللامنطقي باستعجال الأمر دون رويّة أو دراية، غير ناظرين إلى صلاحية الزمان وتناسب الظروف وتحقق الشرائط واكتمال الدواعي.

لهذا ورد النهي والتحذير من استعجال الأمر قبل أوانه، ووصف المستعجلون بالهلاك، لأنهم يترددون في متاهات عميقة، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«هلكت المحاضير!!

قلت: وما المحاضير؟

قال: المستعجلون، ونجا المقربون، وثبت الحصن على أوتادها، كونوا أحلاس بيوتكم، فإن الفتنة على من أثارها، وإنهم لا يريدونكم بجائحة إلاّ أتاهم الله بشاغل.»[1]

إذ طالما يخطط الحاكمون للإجهاز على أولياء أهل البيت عليهم السلام، ذلك لامتلاكهم القوة والأداة الفاعلة، إلاّ أن الله تعالى بلطفه قد يصرفهم عن ذلك، وقد يصطلمهم بشواغل ونوازل تلتهم مخططاتهم، وتجهز على الإرادة العاملة للنيل من الأولياء بصورة وأخرى، وحين يتقي الإنسان الفتنة، ويتباعد عن أوارها، فإنه يكون في معزل عن إفرازاتها ومضاعفاتها.

---

(١) النعماني/ الغيبة/ ١٠٥.

لهذا كان الانتظار من وجهة نظر عملية حالة إيجابية فريدة توفّر الحماية للمؤمنين من جهة، وتشد العزائم وتشحذ الهمم من جهة أخرى، يضاف إلى ذلك كونه أطروحة نموذجية لتهيأة الإمكانات التي تتيح ـ مستقبلياً ـ الإنعطاف التاريخي لمشروع أهل البيت عليهم السلام في إقامة دولة العدل الإلهي، «ومن هنا ندرك بأن الترقب المقترن بالفرج على يد الإمام المهدي عليه السلام ما هو إلا نوع من النفير، وإن تهيأة التدابير اللازمة كافة للمشاركة في حصول التغيير الكبير والثورة العظمى بقيادة الإمام المهدي عجل الله فرجه، هو أحد أولويات هذا الترقب، بل أحد لوازمه الخاصة، وذلك لكون كل ترقب ما خلا هذا الترقب لا يرتقي إلى درجة قطعية ما يرمي إليه، ولهذا السبب فإن الاستعداد الذي تشير إليه كلمة الترقب ينبغي أن يتم في حالة الاستنفار.»[١]

وقد لاقى هذا التوجه في الانتظار الواعي ترحيباً عميقاً من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وحثاً كبيراً على الترقب المنظور دون التهور الذي لا تحمد عقباه، ودون الاصطدام بقوى الدول المالكة التي لم تبلغ أجلها، فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال:

«مزاولة قلع الجبال أيسر من مزاولة ملك مؤجل. واستعينوا بالله واصبروا فإن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، ولا تعالجوا الأمر قبل بلوغه فتندموا، ولا يطولن عليكم الأمر فتقسو قلوبكم.»[٢]

وقد احتاط أمير المؤمنين عليه السلام لأوليائه بالاستعانة بالله، وبالصبر على تحقيق أهدافهم، وأوضح لهم أن الأرض لله تعالى، وهو يورثها من يشاء من عباده المتقين، وهو الوعد الحق الذي صدع به القرآن العظيم،

---

(١) حسن النجفي/ علائم الظهور/ ١٣١.

(٢) الصدوق/ الخصال/ ٢/ ٢٢.

لهذا فإن هذا الحث الصادع من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام له عائديته الموضوعية في هذا الاتجاه السليم، وذلك لاقتران الهدف الديني في الصبر والترقب والأناة بالهدف التاريخي في الغاية والتخطيط والمصير.

ومن هنا كان على الداعية الأمثل أن يستشعر ما عليه من المهمات الرسالية المنتظرة للتنفيذ الحتمي، ولكن بوقتها الموعود، لا بالعاطفة الطاغية التي تمتلك عليه الأحاسيس والمشاعر دون النظر في عواقب الأمور، فعن الإمام الصادق عليه السلام، وقد ظهرت الرايات السود بخراسان (رايات أبي مسلم الخراساني) قال الإمام:

«اجلسوا في بيوتكم، فإذا رأيتمونا قد اجتمعنا على رجل، فأنهدوا إلينا بالسلاح.»[1]

وقول الإمام يوحي بالتحذير من الانضمام تحت لواء الحركات التي لا تمثل أهل البيت في مشروعها.

أما مشروع أهل البيت ومخططهم الإلهي، فقائم على اجتماعهم على رجل موعود منهم، فإذا كان ذلك كان الجهاد، وإذا فرض الجهاد أذن بحمل السلاح، وهو تبشير بالدولة التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«إن لنا أهل البيت راية، من تقدمها مرق، ومن تأخر عنها زهق، ومن تبعها لحق..»[2]

وهذا التحديد الصريح من أمير المؤمنين صلوات الله عليه، يشير إلى الاستنفار المشترط بين صفوف الدعاة، فاستعجال الخروج بلا مدرك شرعي مروق من الدين، والتأخر عن الاستجابة لنداء الحق إزهاق للأرواح والقيم والمبادئ، أو خروج ونفور على راية العدل، وإتباع راية

---

(١) النعماني/ الغيبة/ ١٠٥.

(٢) الصدوق/ إكمال الدين/ ٦١٤.

الهدى على يد صاحب الزمان لحوق بركب الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

وبهذا المنظور يتضح أن القضية في أولياتها مبدئية الإيحاء لا تقبل المساومة أو التبديل أو المعاوضة، فالمبدأ العام لدى أهل البيت يشجب الخيار المسلّح مع الطغاة حين لا جدوى منه إلاّ سفك الدماء وتوالي الضحايا، ويؤكد هذا المبدأ على الخط الفاصل بين التورط اللامسؤول وبين التقيّد الداعي إلى النظر في الأجواء، وقت التكليف، وقيادة الأمة.

وهذا ما يحدد طبيعة العمل الإيجابي باستقباله وظيفة شرعية تدعو إلى الترقب والانتظار حيناً، كما تدعو إلى النفير العام حيناً آخر، وكل ذلك مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحينه وشرائطه.

وما سبق من الروايات في سياق الانتظار تحكي سبيل السلامة المتوازن بين الحذر والحيطة من وجه، وبين تقييم الأئمة عليهم السلام لأولئك المنتظرين لهذا الأمر عقائدياً، وكان ذلك التقييم على مستوى الثناء العاطر حيناً، والرضا عنهم حيناً آخر، وهو يتراوح بين البشارة القادمة بالأجر والشهادة، وبين قبولهم لدى الله تعالى.

كل أولئك إمارات واضحة توحي بالاطمئنان لهذا المنهج، وتدعو إلى الأخذ به جملةً وتفصيلاً.

هنالك أطروحة مثالية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، أنهم يفرحون لفرح أوليائهم، ويحزنون لحزن أوليائهم، وكذلك الحال بالنسبة لأوليائهم في الحزن والفرح كما في المأثور عنهم «شيعتنا منّا خلقوا من فاضل طينتنا، يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا.»

هذه المشاعر المشتركة مصيرياً يتمم بعضها بعضاً، إذ يشفق أهل البيت على أوليائهم إشفاقاً ينطلق من معايير الحب في ذات الله، وأولياؤهم يرتبطون بأئمتهم لأنهم أعلام الهدى والعروة الوثقى، وهذا

الشعور المتبادل روحياً بين القادة والأتباع وبين القمة والقاعدة، هو الذي يجعل الأئمة عليهم السلام في حدب دائم على أوليائهم، فلا يفرطون بهم باعتبارهم الشريحة المنتشرة في الأرض التي تبشر بمبادئهم، وترسخ أصول نظريتهم في الحياة والدين والدولة والاجتماع، فهم منهم في إقامة مشروع الولاية الإلهية، لا يزيغون عن نهجهم طرفة عين أبداً إلاّ الشذاذ منهم، ولذلك فمن غير الطبيعي أن يلقى بهؤلاء، في لهوات الحروب تمضغهم وتعركهم في غير طائل، وعلى هذا تكون بوادر إعدادهم إعداداً خاصاً يتماشى إيجابياً مع الفطرة الشاملة للأفق البعيد الذي ستتمخض عنه الأيام، وبذلك يكون الانتظار لصاحب الأمر بمختلف صوره المتقدمة أساساً متيناً لتهيأة النفس روحياً، وإعداد القوة عملياً، وهداية الأمة عقائدياً، ولا يتم ذلك كله إلاّ بحشد الطاقات كلها في المعركة الآتية، ولا يتوافر ذلك إلاّ بضخ الشحنات الإيمانية في أفكار الطبقة المثقفة لتكون الدليل العامل في تمهيد الأرضية الصلبة لدولة الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، سواء أدركوا ذلك الزمان أم لم يدركوه، وما عليهم إلاّ أن يكونوا مثالاً نموذجياً، ورمزاً تصديقياً لما ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«ما ضرّ من مات منتظراً لأمرنا ألاّ يموت في وسط فسطاط المهدي عليه السلام وعسكره.»(١)

وهكذا يكون الانتظار حركة دائبة، وعملاً موفقاً، وتنظيماً دقيقاً باعتباره حقيقة موضوعية تجعل المؤمن في حدّ فاصل لا يتجاوز خطوطه الحمراء، ولا يتعدى مسؤوليته التكليفية في تخطيط إيجابي سليم.

وعلى هذا فعلينا جميعاً العمل جادّين ـ كلٌّ من موقعه ـ على تذليل

---

(١) لطف الله الصافي/ منتخب الأثر/ ٤٩٨ وانظر مصادره.

العقبات عن طريق الظهور، لتحقيق المناخ الصالح الذي يتيح للإمام المهدي المنتظر القيام بمهمته الرسالية القادمة، بإذن الله تعالى.

الترقب الواعي خطوة حضارية

الخطوة الحضارية هي التي تواكب العصر الناهض في الرؤية والعمل، وتكثف مفاهيم الحضارة عمقاً وأصالةً، فلا تقتحم ما تهدف إليه ارتجالاً، ولا تتعامل معه جزافاً، بل تتجه إليه بنظرة متطورة بعيدة عن القفزات الاعتباطية، قريبة من التنظيم المعتدل، تضع نصب عينيها مشكلات الفرد والأمة، وتلاحظ عن كثب المناخ الاجتماعي في متطلباته، فلا تتجاهل الحقيقة، ولا تندفع وراء العاطفة، ولا تتخذ من الأحلام التفاؤلية مركباً يوصلها إلى ميناء الأمان.

والحضارة هي التي تقدم للبشرية مزيداً من الإنجازات الجديدة على صعيد الفكر والإبداع والتغيير الهادف، وهي في هذا التوجه تقدم عصارة التجارب الحيّة النابضة بالعطاء الجزل لتحقيق حياة إنسانية أفضل.

وفي هذا المستوى يتجلى أن الترقب الواعي في نظرته الشمولية خطوة حضارية، وليس مفهوماً انهزامياً يبنى على الصبر وحده، ولابد له من قوة ذاتية تتحدى سذاجة القوى القائمة على سياسة القهر والإذلال والغطرسة، واستبدالها بروح معنوية تسخر بمفاهيم الضغط والإكراه، وتدعو إلى الحنكة والحكمة واستيعاب الأطاريح التي تحاول التغيير

الاجتماعي دون فلسفة واعية.

إن الإعداد لقيام الدولة الإلهية ليس منحصراً بالكفاح المسلّح، ولا الدعوة إلى الله تعالى مقتصرة على الاتجاه الثوري، ولا الحفاظ على الرسالة الإسلامية مشترطاً بالعمل السياسي وحده، وليست السلطة هدفاً أيديولوجياً في حدّ ذاته، وإنما الحكم وسيلة لرؤية إسلامية نافذة تنتهي بتطبيق مبادئ الإسلام، وتفعيل هذه المبادئ قد يقتضي التدرج في العمل والتأني في الإعداد، كما يقتضي الإندفاع والإسراع بعد تثبيت القواعد وقيام الأسس، غير أن الاستعداد النفسي وتكييف الأجواء الاجتماعية لهما الأثر البارز في تهيأة الأمّة لاستقبال هذا الاتجاه الجديد.

وحينما تتوافر القاعدة الصلبة التي يرسو على أساسها التحرك الفاعل، يكون العمل مثمراً في عطائه، ومؤهلاً للنجاح في خطاه.

أمّا اللهاث وراء المشاعر الثائرة، والاغترار بالأحاسيس المؤقتة، فليس من شأنهما إلاّ المناورات المرتبكة التي لا تشكل رؤية صادقة للعمل الجادّ، بل هي تطرفٌ قد يؤدي إلى الاستعجال بالمواجهة دون الإعداد المفترض.

أمّا التحضر في التفكير فهو الذي يقود إلى الترقب بصدق، والانتظار المبرمج بعزم، وهما نوع من العبادة في منظور أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهذا النوع من العبادة يقتضي المثابرة والاستمرار على الخط الرسالي الموازي لمرتكزات المعصومين.

فعن الإمام الصادق عليه السلام، وهو يلوّح لهذه الرؤية:

«طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة إمامنا، فلم يزغ قلبه بعد الهداية.»[1]

---

(١) الصدوق/ معاني الأخبار/ ١١٢.

إن الخروج على تعليمات أهل البيت عليهم السلام يعني الوقوع في الزيغ، والانجراف بدواعي الانحراف، لهذا نجد توجههم مرتبطاً بالترقب والانتظار صراحة، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«العارف منكم هذا الأمر، المنتظر له، المحتسب فيه، كمن جاهد ـ والله ـ مع قائم آل محمد بسيفه، ثم قال: بل ـ والله ـ كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فسطاطه.»(١)

بل هنالك أمرٌ من الإمام محمد الباقر ـ وهو يرصد هذا الأمر ـ بالسكون والصبر والتزام البيت حتى علائم الظهور الحتمية، قال عليه السلام:

«يا سدير إلزم بيتك، وكن حلساً من أحلاسه، واسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك.»(٢)

بل هنالك زجرٌ من الإمام محمد الباقر عليه السلام عن التحرك قبل الأوان، وعن الاندفاع دون الترقب، وذلك في روايتين:

الأولى: قوله لأبي الجارود:

«أوصيك بتقوى الله، وأن تلزم بيتك، ولا تقعد في دهماء الناس، وإياك والخوارج منّا، فإنهم ليسوا على شيء ولا إلى شيء... وإن لأهل الحق دولة إذا جاءت ولاّها الله لمن يشاء منّا أهل البيت، من أدركها منكم كان عندنا في السنام الأعلى، وإن قبضه الله قبل ذلك خار له، واعلم أنه لا تقوم عصابة تدفع ضيماً، أو تعزّ ديناً إلاّ صرعتهم البلية...»(٣)

الثانية، قوله عليه السلام:

«مثل من خرج منّا أهل البيت قبل قيام القائم عليه السلام مثل فرخ طار

(١) لطف الله الصافي/ منتخب الأثر/ ٤٩٨.

(٢) الكليني/ روضة الكافي/ ٢٢٠.

(٣) النعماني/ الغيبة/ ١٠٣.

ووقع من وكره، فتلاعبت به الصبيان.»[1]

وهاتان الروايتان تشيران إلى التلبّث والتأني بالقرار، فضلاً عن التحذير بالاصطدام، وهي نعيٌ على من خرج من الحسنيين وسواهم قبل الأوان، فكيف بمن يخرج من غيرهم، بل هناك تجريح لكل حركة، وتشكيك بكل راية ترفع قبل الظهور المبارك، قال عليه السلام:

«كل راية ترفع قبل قيام القائم عليه السلام، صاحبها طاغوت.»[2]

وذلك أن صاحب هذه الراية، إمّا أن يكون من أولياء أهل البيت، وإمّا أن يكون من أعدائهم، وأعداء أهل البيت طواغيت في الأصل، لا شك في ذلك.

أمّا الأولياء فلا يتمكنون من السير وفق مواصفات الوجه الناصع لأهل البيت في المنهج والأداء، وهذا ما تؤكده روايات الظهور وشاهد الحال، إذ لابد من حصول التقاطع بين المنهجين ولو جزئياً.

فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«دولتنا آخر الدول، ولن يبقى أهل بيت لهم دولة إلاّ ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سير هؤلاء»[3]

وهذا يعني عدم تحقق مفاهيم وسيرة أهل البيت المشرقة في إقامة الحق ونشر العدل الاجتماعي لدى أيّ صنف من الحاكمين مهما كانوا، وعليه قول الإمام الصادق:

«ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلاّ وقد ولّوا على الناس، حتى لا يقول قائل: إنّا لو ولّينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحق

---

(١) المصدر نفسه/ ١٠٢.

(٢) المصدر نفسه/ ٧٥.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٣٣٢ وانظر مصدره.

والعدل.»(١)

وهذان الأثران صريحان باستحالة تمثيل الإسلام على الوجه الأكمل الذي يريده أئمة أهل البيت عليهم السلام من قبل شتى التنظيمات والهيئات الداعية إلى إقامة دولة عادلة، لأنها جميعاً معرضة للزلل عند التطبيق، وللفئوية عند تسلّم الحكم، حتى لتصبح البرامج التي أعلنت قبل الحكم حبراً على ورق لدى القبض على زمام الحكم، وهذه نتيجة طبيعية لكل قيادة غير معصومة عن الأخطاء.

لهذا حذّر المعصومون عليهم السلام عن الاندفاع في إعلان النضال الدموي، وإن كان دعاته محسوبين على أهل البيت عليهم السلام، فلقد أعطى الإمام جعفر الصادق عليه السلام ـ وهو يعايش المناخ الثوري للحسينيين في العصر العباسي ـ رؤية صادقة في نتائج تلك الأحداث الدامية، فقال:

«ما خرج منا أهل البيت، إلى قيام قائمنا أحد، ليدفع ظلماً، أو ينعش حقاً، إلا اصطلمته البلية، وكان قيامه زيادة في مكروهنا وشيعتنا.»(٢)

لذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله تعالى.»(٣)

وقد طرحنا جوهر مفاهيم الانتظار، ويقول الأستاذ عدنان البكّاء:

«إن من يتصوّر أن الانتظار يناقض العمل هو ممن يرى أن العمل ينحصر في العمل السياسي الذي ينشط بسبيل الثورة وتسلّم السلطة ومقاليد الحكم، شأن أية جماعة سياسية أخرى، وهي رؤية ضيقة جداً لمفهوم العمل وغاياته من زاوية إسلامية عامة...

---

(١) المصدر نفسه/ ٥٢/ ٢٤٤.

(٢) النعماني/ الغيبة/ ١٠٤.

(٣) الصدوق/ إكمال الدين/ ٦٠٤.

إن السلطة ليست - في نظر أهل البيتعليهم السلام وأوليائهم من المؤمنين- إلاّ وسيلة لتحقيق القيم والمبادئ، أو ينتهي بصورة أو بأخرى إلى ذلك بحكم فقدان القاعدة المتمثلة للرسالة رؤية وخلقاً وعملاً، وبحكم تشظي الأمة، فسيكون الخسار في العمل لها أكثر قطعاً.»(١)

ومن هنا نجد أن الانتظار داعية للعمل الحقيقي زمن الغيبة لدى الأبدال الذين اصطفاهم الله بالمعرفة النيرة، فهم على يقين من صاحب هذا الأمر، وعلى بصيرة من قطعية ظهوره المبارك، وهم أدرى الناس بعائدية ذلك الانتظار، فقد وهبهم الله عقلاً نيّراً، وأمدّهم بالوعي المتكامل حتى كان لديهم الغياب مساوياً للحضور، لتفاعلهم مع المبدأ العام للانتظار في رؤية عصرية فاحصة، وهذا ما تشير إليه رواية أبي خالد الكابلي عن الإمام زين العابدين أنه قال:

«تمتد الغيبة بوليّ الله الثاني عشر من أوصياء رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، والأئمة من بعده.

«يا أبا خالد، إن أهل زمان غيبته، القائلون بإمامته، المنتظرون لظهوره، أفضل أهل كل زمان، لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة، ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم بالسيف.

أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً»(٢)

وهنا يبرز دور الفكر في إدراك الحقائق، وتبني الموقف الثابت لدى أهل البيت في ضرورة الانتظار الواعي، وإشاعة مفهوم الغيبة بأبهى صوره

---

(١) عدنان البكّاء/ الإمام المهدي المنتظر وأدعياء البابية والمهدوية/ ٢٥٧.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ١٢٢/٥٢ وانظر مصادره.

الإيجابية، والتمسك بهذه النصوص المتوافرة دون التردي في مهاوي الاندفاع اللامسؤول، وبذلك يكون الملحظ الحضاري لأبعاد هذا الترقب المشروع داعيةً للأخذ بيد الإنسانية إلى شاطئ الأمن والإيمان.



الفصل الرابع

علامات الظهور المبارك

العنصر الغيبي في علامات الظهور.

استطراد منهجي في نوعية علائم الظهور.

الظواهر الكونية.

الظواهر الاجتماعية.

الظواهر العسكرية.

ظواهر أخرى في علائم الظهور.

العنصر الغيبي في علامات الظهور

ليس هناك من سبيل إلى الحديث عن علامات الظهور إلاّ الروايات والأحاديث الصادرة عن النبي وأئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين في كتب الإمامية والجمهور.

وتلك الروايات تتحدث عن هذه الظاهرة في الظهور بضرس قاطع عن الغيب المجهول، فهي ليست من قبيل الظن أو الحدس، وليست من باب التخمين أو الفراسة، فكل أولئك مما يخطئ ويصيب، وليس في الصحيح من تلك الروايات إلاّ الصواب.

أما أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتنطلق من خلال قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلاّ وحي يوحى﴾[1]

فما ورد عنه من إخبار بالغيب فهو مسلّم الثبوت بناءً على دلالة الآية.

وأما الأئمة الإثنا عشر المعصومون، فحديثهم عن اللمح الغيبي تسلسلي الأبعاد إمّا تكسبياً عن طريق الرواية عن جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإما لدنيّاً بما آتاهم الله من علم الموهبة.

أمّا العلم التكسبي فناشئ من ذلك الباب الذي علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي أمير المؤمنين عليه السلام، فانفتح له من كل باب ألف باب من العلم

---

(١) سورة النجم/ ٣ـ٤.

كما هو متواتر.(١)

وبدلالة قوله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها» مما هو متسالم عليه عند المسلمين كافة، وهذا العلم كما أفاضه رسول الله ﷺ على أمير المؤمنين، فكذلك أفاضه أمير المؤمنين على أبنائه المعصومين.

وقد يكون هذا العلم الكسبي تدوينياً كما في محتويات الجفر والجامعة، وما اشتمل عليه ذلكما من العلم الغزير بما فيها مما يحتاجه الناس إلى يوم القيامة.(٢)

وقد ورد مسنداً عن الإمام جعفر الصادق أن في الجفر زبور داوود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف ابراهيم عليه السلام، والحلال والحرام...»(٣)

وإذا توقفنا عند العلم اللّدني عند الأئمة عليهم السلام يفجأنا قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم.»(٤)

هذه الإشاءة في العلم توحي بأن الإمام متى شاء أن يعلم علم، أمّا طريق ذلك فهو التحديث حيناً، والعلم الموهبي حيناً آخر، فقد جاء في رواية محمد بن اسماعيل، قال:

سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول:

«الأئمة علماء صادقون مُفَهَّمُون، مُحَدَّثُونَ»(٥)

وهذا ما توضحه رواية بريد عن العجلي عن الإمام محمد

---

(١) ظ: الصدوق/ الخصال/ ٦٤٨.

(٢) ظ: الكليني/ الكافي/ ٢٤١/١.

(٣) المصدر نفسه ٢٤٠/١.

(٤) المصدر نفسه ٢٥٨/١.

(٥) الكليني/ أصول الكافي/ ٣٧١/١.

الباقر عليه السلام، وقد سأله عن الرسول والنبي والمحدّث.

فقال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

«الرسول الذي تأتيه الملائكة ويعاينهم، وتبلّغه عن الله تعالى.

والنبي: الذي يرى في منامه، فما رأى فهو خير كما رأى.

والمُحدَّث: الذي يسمع كلام الملائكة، وينقر في أذنيه، وينكث في قلبه.»[١]

وهذا الأخير (المُحَدَّث) مما ينطبق على الأئمة عليهم السلام، بدلالة ما رواه أبو بصير عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

الذي يسأل الإمام وليس عنده فيه شيء!! من أين يعلمه؟

قال الإمام الصادق: ينكث في القلب نكثاً، وينقر في الأذن نقراً.»[٢]

وهذه مرتبة عليا في أصناف العلم اللّدني تحديثاً، وتؤيدها روايات أخرى تجري المجرى نفسه، فعن عيسى بن حمزة الثقفي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

«إنّا نسألك أحياناً فتسرع في الجواب، وأحياناً تطرف ثم تجيبنا؟

قال الإمام عليه السلام: «إنه نعم، ينقر وينكث في آذاننا وقلوبنا، فإذا نكث أو نقر نطقنا، وإذا أمسك عنا أمسكنا.»[٣]

وهذه الروايات تفيدنا علماً يقينياً لا يداخله الارتياب بأن الإمام حينما ينبئ عن الغيب المجهول فإنْ إنباءَه هذا صادر مما أفيض به عليه بالطرق المتقدمة، ويكون وقوع ما أخبر به حتمياً غير قابلٍ للنقض، وإمضاؤه قضاء لا يقبل البَداء، وهو أصدق العلم وأعلاه درجة.

وهذا العلم مما يتمتع به اهل البيت فهو يدور مع الأقدار حيث تدور،

---

(١) المفيد/ الاختصاص/ ٣٢٨.

(٢) الصفار/ بصائر الدرجات/ ٣١٦.

(٣) المصدر نفسه/ الجزء والصفحة.

ويتعقب الشيء بعد الشيء، ويلحظ الأمر بعد الأمر، وترتفع درجته إلى مستوى القطع.

روى أبو بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيُّ شيء هو العلم عندكم؟

قال الإمام عليه السلام: «ما يحدث بالليل والنهار، والأمر بعد الأمر، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة.»[1]

والإخبار عما يحدث في الليل والنهار وتواليه، لا يصدر إلاّ عن حتمية في الإرادة والقضاء، وإلاّ لزم من ذلك تكذيب الخبر، وهو محال في حق الإمام المعصوم الذي لا يصح عليه الخطأ والسهو والنسيان لعصمته عن ذلك، وإذا ثبت هذا كان ما يتحدث به الإمام واقعاً لا محالة سواءً أكان الحديث عن الغيب الذي لا يُعلم إلاّ بعلم، أم عن المستقبل المجهول.

وليس ما يصدر عن النبي وأهل بيته عليهم السلام من قبيل التنبؤ الذي قد يصح وقد لا يصح، بل هو من اليقين الذي لا يأتيه الباطل، ولا يجوز عليه الاشتباه والالتباس.

فالتنبؤ المستقبلي قد يبنى على الحدس والاحتمال، وهما مما يخطؤ فيهما ويصاب، والأخبار بالمغيبات لدى النبي والأئمة الطاهرين صادر من جهات مولوية عليا تفيض عليهم بالعلم الواقع لا محالة، طبقاً لما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«.. وعندنا أهل البيت أصول العلم وعراه، وضياؤه وأواخيه.»[2]

وكان صدور هذه الأخبار في علامات الظهور قد تجاوز حدّ الاستفاضة بحيث يتعذر أن يرقى لها الشك، والقدر الجامع لها في

(١) الصفار/ بصائر الدرجات/ ٣٢٥.

(٢) المفيد/ الاختصاص/ ٣٠٩.

الرواية المتواترة لدى الإمامية والجمهور امتلاء الأرض ظلماً وجوراً، وما يتفرع عن هذا الأصل من ظواهر في الطغيان المرير، الناجم عن القوانين الوضعية والأطاريح اللاإنسانية التي تشرّع الظلم الفادح، وتبيح الجور العام الذي يحيط بالدنيا، واستيلاء الشر المستطير على الأرض.

حينذاك يكون الإمام المهدي عليه السلام هو الذي يغيّر هذا الواقع، كما في الرواية عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«المهدي مني... يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً»(١)

فإذا سلّمنا بهذه الكلية بعمومها، وهي من الأنباء بالغيب، علينا أن نسلّم بالمفردات الأخرى التي تتفرع عنها، والإقرار بتلك الجزئيات التي تنبثق منها: كالفتن والمحن والزلازل، والهرج والمرج، والخسف والخوف، والبلاء والعناء، حتى يتمنى الأحياء الموت، كما رُوي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا، حتى يمرّ الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول:

«يا ليتني كنت مكان صاحب القبر.»(٢)

وفيما أخرجه البخاري بسنده عن النبي صلى عليه وآله، أنه قال:

«لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني بمكانه»(٣)

كل ذلك نتيجة اليأس المطبق من الإصلاح، وفشل الأطاريح الوضعية في حل المشكلات، وتفاقم الشرور في حياة البشرية.

---

(١) أبو داوود/ السنن ٢/٢٢٢.

(٢) مسلم/ الصحيح ٨/١٨٣.

(٣) البخاري/ الجامع الصحيح ٩/٧٣.

وهنا تتقاطر مفردات علامات الظهور بشكل مرعب يصاحبه الفزع الهائل، ويواكبه البلاء والنوازل، حتى لا يقر للإنسان قرار، وهو ما تحاول الصفحات الآتية الاضطلاع بالإشارة إليه على وجه الإجمال، بعد إلقاء الضوء على نوعي العلامات.

استطراد منهجي في نوعية علائم الظهور

الروايات التي تزجي بعلامات الظهور وتتعقب أحداثها على نوعين رئيسيين من البيان الإخباري.

الأخبار المحتومة، وهي التي لابد من وقوعها وتحققها خارجاً، ويكون ذلك الوقوع من المحتوم الذي لابداء معه.

الأخبار المشروطة، وهي التي لا تتحقق خارجاً إلاّ بتوافر الشروط وفقد الموانع، ويعبر عنها في لسان الروايات بالموقوفة.

وقد فصّل الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) وهو قريب من أول عصر الغيبة الكبرى القول في المحتوم والمشروط من علائم الظهور فقال:

«قد جاءت الآثار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي عليه السلام، وحوادث تكون أمام قيامه، وآيات ودلالات، فمنها: خروج السفياني، وقتل الحسيني، واختلاف بني العباس في الملك الدنياوي، وكسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، وخسوف القمر في آخره على خلاف العادات، وخسوف في البيداء، وخسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وركود الشمس من عند الزوال إلى وسط أوقات العصر، وطلوعها من المغرب، وقتل نفسٍ زكيّة بظهر الكوفة، في سبعين من

الصالحين، وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام، وهدم حائط مسجد الكوفة، وإقبال رايات سود من قبل خراسان، وخروج اليماني، وظهور المغربي بمصر وتملكه من الشامات، ونزول الترك الجزيرة، ونزول الروم الرملة، وطلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر، ثم ينعطف حتى يلتقي طرفاه، وحمرة تظهر في السماء وتنتشر في آفاقها، ونار تظهر بالمشرق وتبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة أيام، وخلع العرب أعنّتها وتملّكها البلاد، وخروجها عن سلطان العجم، وقتل أهل مصر أميرهم، وخراب الشام واختلاف ثلاث رايات فيه، ودخول رايات قيس والعرب إلى أهل مصر، ورايات كندة إلى خراسان، وورود خيل من قبل المغرب حتى تربط بالحيرة، وإقبال رايات سود من المشرق نحوها، وبثق في الفرات حتى يدخل الماء أزقّة الكوفة، وخروج ستين كذاباً كلهم يدّعي النبوّة، وخروج إثني عشر من آل أبي طالب كلّهم يدّعي الإمامة لنفسه، وإحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولاء وخانقين، وعقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد، وارتفاع ريح سوداء بها في أول النهار، وزلزلة حتى ينخسف كثير منها، وخوف يشمل أهل العراق وبغداد، وموت ذريع فيه، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وجراد يظهر في أوانه وغير أوانه حتى يأتي على الزرع والغلاّت، وقلة ريح لما يزرعه الناس، واختلاف صنفين من العجم، وسفك دماء كثيرة فيما بينهم، وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم وقتلهم مواليهم، ومسخٌ لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قردة وخنازير، وغلبة العبيد على بلاد السادات، ونداء من السماء حتى يسمعه أهل الأرض كلهم: أهل كل لغة بلغتهم، ووجه وصدر يظهران من السماء للناس في عين الشمس، وأموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون ويتزاورون،

ثم يختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتصل، فتحيا بها الأرض بعد موتها، وتعرف بركاتها، وتزول بعد ذلك كل عاهة من معتقدي الحق من شيعة المهدي عليه السلام، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة، ويتوجهون نحوه لنصرته، كما جاءت بذلك الأخبار، ومن جملة هذه الأحداث محتومة، ومنها مشروطة، والله أعلم بما يكون، وإنما ذكرناها على حسب ما ثبت في الأصول، وتضمنتها الآثار المنقولة...»[١]

وهذه المفردات الضخمة في علائم الظهور وأحداثه، تغلب على بعضها لغة الأبهام، وقد يشير بعضها إلى رموز مجهولة ويكتنف بعضها الغموض، وقسم منها قد تحقق وقوعه، وقسم سيتحقق في الغد المنظور، وما اشتمل على الإبهام والرمزية والغموض فلا علاقة للبحث فيه، وما تحقق منها فلا تبحث، وبقي ما سيتحقق مستقبلياً، وعليه مدار البحث إن شاء الله، وقد قسم الشيخ المفيد هذه العلامات إلى محتومة ومشروطة، والأصل في هذا التقسيم الذي اعتمده المفيد هو قول الإمام الباقر: «إن من الأمور أموراً موقوفة وأموراً محتومة»[٢]

أما الأخبار الموقوفة فهي التي يقع فيها البداء لله تعالى، والبداء لله يعني الإظهار بعد الخفاء.

وأما الأخبار المحتومة فهي مما لابد منه قطعاً، ولا يقع فيها البداء بما كشفه الامام محمد الباقر عليه السلام تنظيراً ومصداقاً فعلى مستوى التنظير للموضوع قال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

«العلم علمان: فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعلم علمّه ملائكته ورسله، فما علمّه ملائكته فإنه سيكون، ولا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله.

---

(١) المفيد/ الأرشاد/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٩٧٢.

(٢) المجلسي/ بحار النوار/ ٥٢.

وعلم عنده مخزون يقدم منه ما يشاء، ويؤخر منه ما يشاء، ويثبت ما يشاء.»(١)

وبهذا يتجلى أن علم الله تعالى نوعان: فالذي علمّه جملةً من خلقه كالأنبياء والرسل والملائكة، فإنه يتحقق لا محالة.

والنوع الثاني، وهو العلم المخزون الذي اختص به تعالى لنفسه فهو يقدم منه ما يشاء، ويؤخر ما يشاء، ويثبت ما يشاء، ويمحو ما يشاء.

وهو الموقوف الذي عناه الإمام محمد الباقر بقوله:

«من الأمور أمور موقوفة عند الله، يقدم منها ما يشاء، ويؤخر منها ما يشاء.»(٢)

وحصيلة ما تقدم: أن المحتوم ما سيقع حتماً، وأن الموقوف فقد يكون وقد لا يكون. والله سبحانه وتعالى هو القاضي بالأمرين.

ومصدر هذين النوعين ينطلق من قوله تعالى:

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(٣)

وورد في تفسيرها مصداقاً ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

«إذا كانت ليلة القدر، ونزلت الملائكة الكَتَبَة إلى السماء الدنيا، فيكتبون ما يقضي في تلك السنة من أمر، فإذا أراد الله أن يقدم شيئاً أو يؤخره، أو ينقص منه أو يزيد، أمر الملك، فمحا ما شاء، ثم أثبت الذي أراد.»(٤)ولذلك أسباب ودواعٍ ومؤثرات، فقد يتحقق المحو والإثبات بإرادة الله تعالى نظراً في مصالح العباد برحمته، فيثبت ما هو الأصلح، وقد

---

(١) الكليني/ أصول الكافي/ ١/١٤٧.
(٢) الكليني/ الكافي/ ١/١٤٧.
(٣) سورة الرعد/ ٩.
(٤) العياشي/ التفسير/ ٢/٢١٦.

يكون ذلك بمؤثرات خارجية تنطلق من أعماق الإنسان داخلياً كما في الدعاء والإنابة والخضوع والخشوع، وقد يكون بالبر والصدقة والمعروف وقضاء حوائج المؤمنين، وقد يكون ذلك بأعمال الخير بعامة، وبرّ الوالدين وصلة الأرحام، فتطول بذلك الأعمار وتعمر الديار، والعكس بالعكس.

وقد دلت على ذلك الأخبار، فقد يتهاون المرء بالمسألة والمثول بين يدي الباري، وقد يسيء للناس، وقد يمنع رفده ويعق والديه ويقطع رحمه، فيقصف الله عمره، ويضيّق عليه في رزقه، فيبدو لله في الأولى إطالةً وسعة، وفي الثانية قصراً وضيقاً.

يقول الإمام محمد الباقر عليه السلام، وهو مجدد الحضارة الإسلامية في القرن الثاني:

«يقدر الله كل أمر من الحق ومن الباطل، وما يكون في تلك السنة، وله فيه البداء والمشيئة، يقدّم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء:

من الآجال، والأرزاق، والبلايا، والأعراض، والأمراض، ويزيد فيها ما يشاء..»(١)

وهذا البيان جارٍ في الأحداث والأخبار والأقدار، تقديماً وتأخيراً زيادةً ونقصاناً، إلغاءً وإبقاءً، ومحواً وإثباتاً.

وعلى هذا فعلامات الظهور خاضعة لهذين المقياسين، الحتمي والموقوف، وقد تنص الأخبار على المحتوم مما لابد منه، وقد تدع الموقوف بذكر وقوعه لا بذكر نصوصه، وتترك ذلك لشروطه وموانعه ومقتضياته بتقدير الله تعالى.

وقد أشار الإمام محمد الباقر عليه السلام إلى بعض مصاديق المحتوم بما

---

(١) القمي/ التفسير ٢/٢٩٠.

حدّث به الفضل بن شاذان عن أبي حمزة الثمالي، قال:

«قلت لأبي جعفر عليه السلام: خروج السفياني من المحتوم؟ قال: نعم، والنداء من المحتوم، وطلوع الشمس من مغربها من المحتوم، وقتل النفس الزكية محتوم، وخروج القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم محتوم.»[1]

ولدى التدقيق في علامات الظهور وأبعادها وجدناها تستوعب عدة ظواهر في الكون والحياة والاستباق الدولي في التسلح، وفي صلب الرؤية الاجتماعية ودقائقها، ولدى الحديث عن حروب عسكرية وشخصيات قيادية وسوى ذلك مما سنلقي عليه الضوء الكاشف.

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٥.

الظواهر الكونية

تشير علامات الظهور إلى ظواهر نادرة غير طبيعية في الكون، وإلى آيات في الأرض والسماء، تشمل قسماً من ديار الإسـلام، وأماكن في بلاد العرب، وأجزاء من أقطار العالم.

تلك الظواهر الكونية متعددة تشير إلى أبرزها إجمالاً:

النار في السماء:

وهذه النار تتناولها عدة روايات، ومنها حديث يروى عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، يذكرها ويضيف إليها حمرة السماء وخسف ببغداد والبصرة.

قال الإمام: «يزجر الناس قبل قيام القائم عن معاصيهم بنارٍ تظهر لهم في السماء، وحمرة تجلل السماء، وخسف ببغداد، وخسف ببلدة البصرة.»[1]

وقد تكون هذه النار في المنظور الاعتيادي، وتلك الحمرة في السماء نتيجة تفجيرات نووية، وقذائف صواريخ كونية متطورة تتسبب في إشتعال النيران وظهور الحمرة في السماء، ولكنها في هذا المنظور سرعان

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٢١/٥٢ وانظر مصادره.

ما تتلاشى ويتبدد أثرها، فقد لا تكون زاجرة للناس من معاصيهم، وإن كانت هائلة مرعبة، وعادة ما يكون تفجيرها المترامي أو المحدود في الأرض، واحتمال تأثيرها في السماء مستبعد علمياً ومهما يكن من أمر فإنها من صنع البشر ومقدور الإنسان.

وربما تكون هذه النار آية ربانية في السماء، فيكون ظهورها بخلاف ما جرت عليه العادة لاختراقها النظام الطبيعي المألوف، مما تشرئب له الأعناق وتتطاول الأبصار.

لهذا فالبحث لا يميل إلى كون هذه النار وتلك الحمرة الزاجرة عن المعاصي نتيجة تفجيرات صاروخية تنطلق في السماء، ولا هي بسبيل التحدث عن انفجارات بركانية وظواهر نفطيّة مدمّرة، فتلك معالم أرضية لا سماوية، وهي بعد من الأمور الاعتيادية التي تحدث في بقاع كثيرة من العالم.

نعم قد تكون هنالك نار يسببها القصف الجوي المكثّف، ويؤججها لهيب الانفجارات الخارقة في الفضاء، بحيث تستقطب مساحات كبيرة من آفاق السماء. بحيث تكون بشكل وآخر مصداقاً للرواية، وهنالك حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد يوحي بهذا المعنى، فعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة... تدور الدنيا كلها في ثمانية أيام، تطير طير الريح والسحاب، حرّها بالليل أشد من حرّها بالنهار، ولها بين السماء والأرض دويّ كدويّ الرعد القاصف.»(١)

وهذه الرواية فيما يبدو تشير إلى مدى التطور التقني الذي يبلغ ذروته في عصر الظهور، وفيها تصوير دقيق لحركة الطيران المقاتل في استدارته حول العالم، وإشارة لسرعة هذا الطيران، وتحديد قوة الانفجارات في

---

(١) عبد الوهاب الشعراني/ مختصر تذكرة القرطبي/ ١٣٧.

أسلحته بأصواتها المدويّة، وما تحدثه من حرّ شديد هو في الليل أحرّ منه في النهار، فلعل لأشعة الشمس أثراً في امتصاص تلك الحرارة أو تخفيف وهج هذه النار!!

فما يدرينا بما سيحققه العالم الصناعي من تقدم في أسلحة الدمار؟

وهذا كله شيء، والروايات التي تشير لنار السماء شيء آخر!!

وفي رواية لأمير المؤمنين عليه السلام:

«أو تشب نار بالحطب الجزل غربي الأرض.»[1]

فربما تشير إلى نار لها أوار أو اشتعال في الغرب، ويكون لهبها نذيراً بإحراق منشآت الغرب العسكرية وتحطيم قوته الحربية أو تدمير قواعده الاستراتيجية بما يكون حديث الساعة في العالم.

وهنالك روايات عدة في نار تخرج بالحجاز تارة، وفي عدن تارة أخرى، وفي حضرموت سواها، وأبرزها ما رواه مسلم:

«لاتقوم الساعة حتى تخرج نار بالحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى.»[2]

وهو تعبير عنها باتساع رقعتها وعلو لهبها حتى أنها تتجاوز حدود الحجاز إلى بصرى في الشام.

إلاّ أن أكثر الروايات شمولاً تتحدث عن نار بالمشرق، والمشرق بالنسبة للديار الإسلامية، إيران فهي شرقي بلاد الإسلام، وقد يعبر عن العراق بالمشرق بالنسبة للحجاز قبال مغرب البلاد والمراد به الشام ومصر كما في جزء من الروايات.

ومهما يكن من أمر فإن لنار المشرق وصفتها ومكوثها في الأفق دلالتها في توقّع الظهور المبارك فهي قبله بقليل.

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٥٤ + ٥٣/٢٨٢.

(٢) مسلم/ الصحيح ٨/١٠٨.

ويكتفي البحث بإيراد روايتين في ذلك:

الأولى: ما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«إذا رأيتم ناراً من المشرق شبه الهروي العظيم، تطلع ثلاثة أيام أو سبعة، فتوقعوا فرج آل محمد صلى الله عليه وآله، إن شاء الله عز وجل، الله عزيز حكيم.»[(١)]

الثانية: ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنه قال:

«إذا رأيتم ناراً عظيمة من قبل المشرق تطلع ليالي، فعندها فرج الناس، وهي قدّام القائم بقليل.»[(٢)]

إذن هذه النار باحتمالاتها التي أوردناها إحدى علائم الظهور بين يدي الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه.

النجم المذنّب:

وهو محور عديد من الروايات تدور حوله، وقد أكد ذلك الشيخ المفيد بقوله:

«وطلوع نجم بالمشرق يضيء كما يضيء القمر، ثم ينعطف حتى يلتقي طرفاه.»[(٣)]

والتقاء الطرفين يوحي بأنه نجم مذنّب غير بقية النجوم، وقد صرح بذلك سيدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام في ملاحمه فقال:

«... وطلوع الكوكب المذنّب.»[(٤)]

والحديث عن النجم المذنّب في الأحاديث في آخر الزمان، له شهرة

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٢٣٠ وانظر مصدره.

(٢) المصدر نفسه ٥٢/٢٤٠.

(٣) الشيخ المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٣.

(٤) محمد حسن الطباطبائي/ نوائب الدهور/ ٣٧٨.

مستفيضة، وله أوصاف متقاربة، بما يعتبر ظاهرة جديدة على الكون، فقد روى ابن طاووس عن ابن حمّاد بسنده:

«ونجم يطلع من المشرق، يضيء كالقمر ليلة البدر ثم ينعقد.»[١]

وفيه عن ابن مسعود يرفعه، قال:

«.. تكون علامة في صفر تبتدئ بنجم له ذنب.»[٢]

ويبدو أن هذا النجم يظهر في كيفية خاصة بحيث يقطع الناس معها أنه آية كونية غير اعتيادية، ويؤيد ذلك رواية أخرى تقول: «يطلع نجم من المشرق قبل خروج المهدي، له ذنب يضيء لأهل الأرض كإضاءة القمر ليلة البدر.»[٣]

كسوف الشمس وخسوف القمر:

وهو أمر طبيعي تجري به العادة وفق مواصفات فلكية خاصة، ولكنه آية سماوية توجب صلاة الايات عند حدوث كل منهما، كما ينص على ذلك الفقهاء.

ويحدث كسوف الشمس أواخر الشهر وخسوف القمر في الليالي البيض كما هو متعارف عليه.

أما هذه الظاهرة فهي في علامات الظهور فتكون خلاف العادة، ويورد خبرها الشيخ المفيد من كتب الأصول على النحو الآتي:

«وكسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، وخسوف القمر في آخره خلاف العادات»[٤]

---

(١) ابن طاووس/ الملاحم والفتن/ ٤٣.

(٢) المصدر نفسه/ ٤٤.

(٣) المصدر نفسه/ ٤٦.

(٤) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٣.

والرواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، تقول:

«آيتان تكونان قبل القائم: كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، وخسوف القمر في آخره..

قال الراوي: يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في نصف الشهر والقمر في آخره؟

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام:

«أنا أعلم بما قلت، إنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم..»(١)

وفي هذا خرق لنواميس الكون، فهو ملحظ إعجازي في تغيّرات تجري على غير سنن الحياة.

ركود الشمس وطلوعها من المغرب:

وظاهرة كونية أخرى تخالف سنن الطبيعة وثوابت علم الفلك، وتلك هي ركود الشمس عند الزوال وطلوعها من المغرب، وإليها تشير روايات من الفريقين في أكثر من مصدر ومصدر، وقد أجملها الشيخ المفيد في العلائم بقوله:

«... وركود الشمس من عند الزوال إلى وسط أوقات العصر، وطلوعها من المغرب.»(٢)

وهما آيتان كآيتي الشمس والقمر في الكسوف والخسوف، ولا مانع من هذا عقلياً وعلمياً، فإن الحديث عن لبوث الفلك، وإطالة الأيام، وامتداد الشهور عند الظهور، وإن كان أمراً خارقاً للعادة إلاّ أنه ممكن في ترجيح هذه الظاهرة بناءً على مقدماتها هذه، وربما يحدث ذلك فجأة

---

(١) ظ: عدنان البكاء/ الإمام المهدي المنتظر/ ٢٥٠ وانظر مصادره.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٣.

على سبيل الإعجاز، وقد يكون بتأثير كوارث وأحداث طبيعية تخترق الأرض فتغير مسارها عكسياً، فيكون ذلك آية للناس بكلا الحالين، إلاّ أن البحث يميل في هذه الظاهرة إلى البعد الإعجازي.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«ويكون الناس بعد طلوع الشمس من مغربها كيومهم هذا، يطلبون النسل والولد، يلقى الرجل الرجل فيقول:

متى ولدت؟ فيقول: من طلوع الشمس من المغرب.»[١]

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾

ورد عن الإمام الباقر أنه قال:

«وسيريك في آخر الزمان آيات، وعدّ منها: طلوع الشمس من مغربها»[٢]

وفي رواية أخرى أوردها السيد الأمين قدس سره:

«وعند الظهر تتلون الشمس تصفر فتصير سوداء مظلمة.»[٣]

وكل تلك التغييرات في الركود والشروق والطلوع والتلوّث في جرم الشمس يوحي بخوارق تجري على نحو الإعجاز، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم برواية أمير المؤمنين عليه السلام:

«عشر قبل الساعة لابدّ منها، وعدّ منها: طلوع الشمس من مغربها.»[٤]

ويبدو من الروايات أنه أمرٌ متسالم عليه، ولله خرق العادة.

---

(١) السلمي الشافعي/ عقد الدرر/ ٣٨٥.

(٢) القمي/ التفسير/ تفسيره الآية.

(٣) محسن الأمين الحسيني العاملي/ أعيان الشيعة ٤/ق ٣/٤٩٩.

(٤) محسن الأمين الحسيني العاملي/ أعيان الشيعة ٤/ق ٣/٥٠٥.

النداء من السماء باسم القائم عجّل الله فرجه:

وقد تحدثت روايات متعددة عنه، بلغت حدّ التواتر المعنوي، وهي تعبر عنه بالنداء تارة، وبالصيحة تارة أخرى، وبالفزعة سواهما، وهذا النداء تسمعه شعوب العالم كله، بل ويسمعه كل شعب بلغته القومية، قال المفيد:

«... ونداء من السماء حتى يسمعه أهل الأرض كلهم، أهل كل لغة بلغتهم»[1]

ويتعالى هذا النداء مجلجلاً صادعاً، وهو يدعو إلى اتباع الإمام المهدي عليه السلام، ويحضّ على ترك القتال وسفك الدماء.

فعن محمد بن مسلم، قال:

«ينادي منادٍ من السماءِ باسم القائم، فيسمع ما بين المشرق والمغرب، فلا راقد إلاّ قام، ولا قائم إلاّ قعد، ولا قاعد إلاّ قام على رجليه من ذلك الصوت!! وهو صوت جبريل الروح الأمين»[2]

وهذا المعنى يؤكده الإمام الصادق بما روي عنه أنه قال:

«إنه ينادي باسم صاحب هذا الأمر منادٍ من السماء: الأمر لفلان بن فلان، ففيم القتال.»[3]

وعن الإمام الرضا عليه السلام متحدثاً عن الإمام المهدي لدى خروجه:

«وهو الذي ينادي منادٍ من السماء يسمعه أهل الأرض بالدعاء إليه: ألا إن حجة الله قد ظهر عند بيت الله فاتبعوه.»[4]

وروى السيد الأمين عنهم عليهم السلام: أن النداء يكون باسمه واسم أبيه

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٥.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٩٠/٥٢ وانظر مصدره.

(٣) المصدر السابق نفسه ٣٩٦/٥٢.

(٤) الأربلي/ كشف الغمة ٣٣٢/٣.

وأمه، بصوت يسمعه من بالمشرق والمغرب، وأهل الأرض كلهم، كل قوم بلسانهم... ولا يبقى راقد إلاّ استيقظ، ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلاّ قام على رجليه فزعاً من ذلك.»(١)

والطريف في الأمر أن يروي أبو جعفر المنصور، وهو من أعدى أعداء أهل البيت حديث النداء هذا، وينسبه إلى الإمام محمد الباقر عليه السلام، فعن سيف بن عميرة، قال:

«كنت عند أبي جعفر المنصور، فقال ابتداءً: يا سيف لابد من منادٍ ينادي من السماء باسم رجل من ولد أبي طالب... فإذا كان ذلك فنحن أول من نجيبه!! أما انه نداء إلى رجل من بني عمنا.

فقلت: رجل من ولد فاطمة عليها السلام؟

قال: نعم، يا سيف، لولا أني سمعته من أبي جعفر محمد بن علي (الإمام الباقر عليه السلام) ولو يحدثني به أهل الأرض كلهم ما قبلته، ولكنه محمد بن علي.»(٢)

وهناك روايات تؤكد أن النداء يكون على شكل صيحتين صيحة من السماء، وأخرى من إبليس، فعن هشام بن سالم عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أنه قال:

«هما صيحتان: صيحة في أول الليل، وصيحة في آخر الليلة الثانية. قال هشام: فقلت ذلك؟

قال: واحدة من السماء، وواحدة من إبليس، فقلت: كيف تعرف هذه من هذه؟ قال: يعرفها من كان سمع بها قبل أن تكون.»(٣)

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

---

(١) محسن الأمين الحسيني العاملي/ أعيان الشيعة ٤/ق ٣/ ٤٩٧.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٤.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/ ٢٩٥.

«ينادي منادٍ من السماء ألا إن الحق في آل محمد، وينادي منادٍ من الأرض: ألا إن الحق في آل عيسى أو قال العباسي، أنا أشك (الراوي) وإنما الصوت الأسفل من الشيطان ليلبس على الناس.»(١)

ويرى السيد الأمين قدس سره: أن المستفاد من الأخبار: أن هذا النداء يكون أربع مرات:

الأولى: في رجب، والثانية: النداء بعد مبايعة المهدي بين الركن والمقام، وهذا يكون في شهر رمضان عند ليلة ثلاث وعشرين، في ليلة جمعة، ينادي جبرئيل من السماء باسم القائم واسم أبيه:

إن فلان ابن فلان هو الإمام.

وروي أن الفزعة في شهر رمضان آية تخرج الفتاة من خدرها، وتوقظ النائم، وتفزع اليقظان.

وروي أن الصيحة لا تكون إلاّ في شهر رمضان وهي صيحة جبرئيل.

والمرة الثالثة: النداء باسم القائم، يا فلان بن فلان قم.

والمرة الرابعة: نداء جبرئيل ونداء إبليس.

روي: ينادي جبرئيل من السماء أول النهار ألا إن الحق مع علي وشيعته، ثم ينادي إبليس من الأرض: ألا إن الحق مع فلان (رجل من بني أميّة) وشيعته، وروي: ألا إن الحق في السفياني وشيعته عند ذلك يرتاب المبطلون.»(٢)

وهنالك تحذير من النداء الثاني أورهما؟؟، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «لابد من هذين الصوتين قبل خروج القائم، وإياكم والأخير أن تفتنوا به»(٣)

---

(١) علي الكوراني/ عصر الظهور/ ١٩٤ عن مخطوطة ابن حماد/ ٩٢.

(٢) محسن الأمين العاملي/ أعيان الشيعة ٤/ق ٣/٤٩٦ـ٤٩٩.

(٣) محسن الأمين العاملي/ أعيان الشيعة ٤/ق ٣/٤٩٦ـ٤٩٩.

وفي رواية: «وينادي منادٍ في شهر رمضان من ناحية المشرق عند الفجر:

يا أهل الهدى اجتمعوا، وينادي منادٍ من قبل المغرب... يا أهل الباطل اجتمعوا»[(١)]

أحداث أرضية:

ومن علائم الظهور أحداث أرضية متنوعة تدور وقائعها على سطح الأرض، وفيها روايات متعددة ينبغي التعرض لبعضها لما فيها من دلالة لاشتمالها على حدوث أمر لم يكن مكانه متواجداً حين الرواية، ثم وجد ووقعت الواقعة.

لقد روى الشيخ المفيد عن ابراهيم بن محمد عن جعفر بن سعد عن أبيه عن أبي عبد الله (الإمام جعفر الصادق عليه السلام) أنه قال:

«سنة الفتح ينبثق الفرات حتى يدخل في أزقة الكوفة.»[(٢)]

وروي ذلك في البحار أيضاً.[(٣)]

ورواية الشيخ المفيد ذات دلالة غيبية قائمة، لأنه قريب العهد بعصر الرواية وتدوين الأصول.

وهذه الروايات ـ ومثلها روايات أخرى ـ تتحدث عن فيضان الفرات، واختراق الماء الكوفة حتى يدخل شوارعها وأزقتها، فيها من اللمح الغيبي ملحظ دقيق للغاية، فالكوفة على عهد المفيد في القرن الرابع وعدة قرون من بعده، لا نهرَ فيها ولا فرات، وإنما استحدث شق نهر الفرات حديثاً بما يقارب مائتي عام حيث غيّر المجرى ليصل الماء

(١) محسن الأمين العاملي/ أعيان الشيعة ٤/ق ٣/٤٩٦ـ٤٩٩.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٨.

(٣) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٢١٧.

إلى الكوفة حتى يكون الماء قريباً من النجف الأشرف.

ويستفاد من هذا أن حديث دخول الماء بانبثاق الفرات إلى أزقّة الكوفة كان غريباً في عصره، لأن القضية من أساسها سالبة بانتقاء الموضوع كما يقول أهل المنطق، إلا أن الملفت للنظر تحقق وجود نهر الفرات وهو يخترق الكوفة الغرّاء من جانبيها، وهو يطوقها من جهتين في الأقل.

قال النعماني ـ وهو من علماء القرن الرابع الهجري ـ «وإذا جاءت الروايات متصلة بمثل هذه الأشياء قبل كونها، وبهذه الحوادث قبل حدوثها، ثم حققها العيان والوجود، فوجب أن تزول الشكوك عمن فتح الله قلبه، ونوّره، وهداه، وأضاء له بصره.»(١)

ومن هذه الأحداث الأرضيّة، الخسف في نواح عديدة من العالم، والرجفة تلو الرجفة في بقاع شتى من الأرض.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام في علامات الظهور، أنه قال:

«رجفة تكون بالشام يهلك فيها أكثر من مائة ألف يجعلها الله رحمة للمؤمنين، وعذاباً على الكافرين... فإذا كان ذلك فانظروا (فانتظروا) خسف قرية من دمشق يقال لها حرستا.»(٢)

وهاتان علامتان تؤيدهما رواية أخرى في الموضوع نفسه.

وهنالك خسف آخر في الشام تتحدث عنه رواية عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال لجابر الجعفي:

«إلزم الأرض، ولا تحرك يداً ولا رجلاً، حتى ترى علامات أذكرها لك... منها:

«وخسف قرية من قرى الشام تسمى الجابية»(٣)

---

(١) النعماني/ الغيبة/ ١٧٤.

(٢) النعماني/ الغيبة/ ٣٠٥.

(٣) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٥ ـ ٤٠٨.

وهنالك خسف في المشرق، وخسف في المغرب.»(١)

والمغرب في الأخبار إشارة إلى الشام، والمشرق تعبير عن العراق، ويحدث الخسف منه في بغداد بعد الزلزلة.

قال الشيخ المفيد، وهو يعدد علامات الظهور:

«وعقد الجسر مما يلي الكرخ بمدينة بغداد، وارتفاع ريح سوداء في أول النهار، وزلزلة حتى ينخسف كثير منها.»(٢)

وعن الإمام الصادق عليه السلام في هذا الملحظ، أنه قال:

«وخسف ببغداد، وخسف ببلدة البصرة، وسفك دماء بها...»(٣)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديثه عن البصرة: أن بها رجفاً، وقذفاً، وخسفاً، ومسخاً...»(٤)

وهذه أربع علامات أرضية مختلفة تقع في البصرة مع صحة الرواية.

ومن العلامات خسف بجزيرة العرب فيما رواه الطوسي بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: «عشرٌ قبل الساعة لابد منها...» وعدّ منها الخسف في جزيرة العرب.»(٥)

وهنالك أحداث أرضية تتحدث عنها الروايات عدا الخسف، والزلزال، وأشباههما، وإنما تتعلق بمعالم أخرى، كما عن محمد بن سنان، عن الحسين بن المختار عن أبي عبد الله الإمام الصادق، أنه قال:

«إذا هدم حائط مسجد الكوفة مما يلي دار عبد الله بن مسعود، فعند ذلك زوال ملك القوم، وعند زواله خروج القائم عليه السلام.»(٦)

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٥ ـ ٤٠٨.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٥ ـ ٤٠٨.

(٣) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٥ ـ ٤٠٨.

(٤) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٢٥/٦٠ وانظر مصدره.

(٥) محسن الأمين الحسيني العاملي/ أعيان الشيعة ٤/ق ٥٠١/٣.

(٦) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٧.

وفي رواية أخرى تجري هذا المجرى، عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

إذا هدم حائط مسجد الكوفة (من) مؤخره مما يلي دار عبد الله بن مسعود، فعند ذلك زوال ملك بني فلان!! أما إن هادمه لا يبنيه.»[١]

وتتحدث رواية عن سقوط طائفة من حائط مسجد دمشق، كما عن الباقر عليه السلام:

«وتسقط طائفة من حائط مسجد دمشق الأيمن»[٢]

وفي حديث آخر: «ويخسف بغربي مسجد دمشق حتى يخرّ حائطه»[٣]

وفي رواية أخرى «ويخرب حائط مسجد دمشق»[٤]

هذه الأحداث هي أبرز ما روي مما يقع في الأرض من علائم الظهور المبارك، وهناك ظواهر أخرى سيتحدث عنها البحث.

---

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٢٧١.
(٢) محسن الأمين العاملي/ أعيان الشيعة ٤/ق٣/٥٠١.
(٣) محسن الأمين العاملي/ أعيان الشيعة ٤/ق٣/٥٠١.
(٤) محسن الأمين العاملي/ أعيان الشيعة ٤/ق٣/٥٠١.

الظواهر الاجتماعية

تتطاول جملة من الظواهر الاجتماعية بين يدي ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وهي تعصف بالبشرية عصفاً شديداً، وتطوّح بأحلام الأمة جملةً وتفصيلاً، وتعود بالناس إلى عصور الجاهلية الأولى، فالإنسانية تكابد منها عناءً مطرّداً في شؤون الأمن والاستقرار، وبلاءً فادحاً في الاضطراب واختلاف الأهواء، وفقراً مدقعاً ينبئ عن حياة اقتصادية متدهورة، وجوراً في الأحكام وتسلطاً من الحكّام، وتشتتاً في الآراء وتبلبلاً في الأفكار، كما يلمس ضعف الوازع الديني والاستهتار بالقيم والمُثل الإسلامية، وتدنيّاً فاضحاً في الأخلاق، وتصاعد في الجوع وغلاء الأسعار الذي ينذر بالفناء، وتمادي الناس بالشر والعبث واللهو، إلى غير ذلك من المظاهر المَرَضيّة في النظام والفكر والاجتماع والنفس والسلوك العام مما سيحاول البحث تلخيصه، وضم بعضه إلى بعض بكثير من الضغط في عدة مفردات نجملها على شكل نقاط رئيسة.

الاختلاف وفقدان الموازين:

من أفجع الظواهر الاجتماعية التي تسبق الظهور المبارك للمهدي عليه السلام: الاختلاف الشديد بين الناس، واضطراب ميزان القوى، فلا أمن ولا استقرار ولا اطمئنان، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«لا يقوم القائم إلاّ على خوف شديد من الناس، وزلزال وفتنة وبلاء يصيب الناس، وطاعون قبل ذلك، وسيف قاطع بين العرب، واختلاف شديد في الناس، وتشتت في دينهم، وتغيّر في حالهم، حتى يتمنى المتمني الموت صباحاً ومساءً، من عظيم ما يرى من كَلَب الناس وأكل بعضهم بعضاً.»(١)

إن مصاديق هذا البلاء الشامل متوافرة الأبعاد في عصرنا هذا، وسيزداد اندفاعاً على مرّ الأجيال، فالخوف العارم على أشدّه بين الناس، والوباء الفاتك يخترم الآلاف من البشر، والتدهور الدبلوماسي والسياسي قائم على قدم وساق بين العرب، والتشتت في الدين ظاهر للعيان، والأغيار من الناس تتمنى الموت لما تشاهده من الإنحدار في مهاوي الضلال، وما تلمسه من التكالب على الدنيا، وما تراه من ضياع الحقوق وتفشي الرشوة، وما تنظره من تفاقم النهب والسلب والغصب، وتداعي الناس في السرقة والإغارة، وتصاعد عمليات الإرهاب والعصابات المسلحة وهي تقتل النساء والرجال والأطفال، وتفجّر الدور والمحلات والمستشفيات، وتغتصب الحرائر، وتصادر الممتلكات، وتنشر الرعب بين الناس، وماشابه هذه الظواهر من الفجائع والمصائب والانتهاكات، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«إذا أمات الناس الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلّوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشاء، وشيدوا البنيان، وباعوا الدنيا بالدين، واستعملوا السفهاء، وشاوروا النساء، وقطعوا الأرحام، واتّبعوا الأهواء، واستخفّوا بالدماء، وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، وكانت الأمراء فَجَرَة، والوزراء ظَلَمَة، والعرفاء خَوَنَة، والقرّاء فَسَقَة، وظهرت شهادات

(١) النعماني/ الغيبة/ ١٣٥ + المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٢٣١.

الزور، واستعلن الفجور وقول البهتان، والأثم والطغيان...»(١)

وهذه المؤشرات كلها تصبّ في رافد فقدان الموازين والمقاييس، وانقلابها رأساً على عقب، وعلى خلاف المعتاد في معيار العقل، وفي هذا الضوء يتحدث الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، متعقباً حياة الناس الاجتماعية في تناقضاتها المستطيرة.

يقول الإمام فيما روي عنه: «ورأيت قلوب الناس قد قست، وجمدت أعينهم، وثقل الذكر عليهم، ورأيت المصلّي إنما يصلي ليراه الناس، ورأيت الفقيه يتفقه لغير الدين، يطلب الدنيا والرئاسة، ورأيت الناس مع من غلب»(٢)

وكل هذا يعلل باضطراب المناخ العقلي من جهة، وضعف الوازع الديني من جهة أخرى، وهو ما نتناوله بالبحث.

ضعف الوازع الديني:

وهو ظاهرة تتصدر قائمة العلائم الشائعة قبل الظهور، بل هو مما يقرّب الظهور، فهو من دواعيه المعجّلة له، إذ تتقلب القلوب والأحوال في الناس، فتتمرد النفوس التي أعيرت الدين، فهو على سبيل الإقامة الموقنة في الضمائر والعقول والطقوس، ويتخلى الشباب عن الظاهرة الدينية التي تقوّم اعوجاجهم، وتصلح معالم حياتهم، ويسيطر حبّ الدنيا على الآخرة، فتتلاشى الأعراف وتسود الفوضى، ولعلّه أهله هم المقصدون بما أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما روي عنه أنه قال:

«سيجيء في آخر الزمان أقوام تكون وجوههم وجوه الآدميين،

(١) محمد حسن الطباطبائي/ نوائب الدهور في علائم الظهور/ ١٩٣.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٢٥٩.

وقلوبهم قلوب الشياطين، أمثال الذئاب الضواري، ليس في قلوبهم رحمة، سفّاكين للدماء، لا يرعوون عن قبيح، إن تبعتهم واروك، وإن تواريت عنهم اغتابوك، وإن حدثوك كذبوك، وإن ائتمنتهم خانوك...»[١]

وهذا الزمان يحكي خبيث السرائر ولطف المظاهر، وفساد الأخلاق وضياع المثل العليا، واستشراء الجاهلية، وذهاب الحق وأهله.

وهنالك نموذج آخر يصوّر أولاعه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

«وشهد شاهد من غير أن يستشهد، وشهد آخر لذمام بغير حق عرفه، وتُفقّه لغير الدين، وآثروا عمل الدنيا على الآخرة، ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، وقلوبهم أنتن من الجيف وأمرّ من الصبر.»[٢]

وهذه المفردات كثيرة الشيوع في المرائين والمدلسين والمنافقين، وبدأت بوادرها تطفو على السطح، لاسيما إيثار الدنيا على الآخرة، والتفقه لغير الدين، بل للجاه والسمعة والتغرير بالبسطاء، مما ينتج عنه إذاعة البدع والأضاليل، واغتصاب المنصب الديني الرفيع من أهله، وإن لم يقدروا على ذلك ولن يقدروا لأنه مصانٌ برعاية صاحب الزمان عليه السلام، ولكنهم حينئذٍ يدّعون ما ليس لهم، ويهرفون بما لا يعرفون، فيصاب الناس بخبط وشماس في ظاهرة قد عبر عنها وعن أمثالها الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهو يتحدث عن جزء مهم من علامات الظهور بما روي عنه أنه قال:

«إذا رأيت الحق قد مات وذهب أهله، ورأيت الجور قد شمل البلاد، ورأيت القرآن قد خَلَقَ وأحدث ما ليس فيه، ووجه على الأهواء، ورأيت الدين قد انكفأ كما ينكفئ الإناء... ورأيت المؤمن صامتاً لا يقبل قوله، ورأيت الفاسق يكذب ولا يردّ عليه كذبه وفريته... ورأيت الكافر فرحاً لما

---

(١) الهيثمي/ مجمع الزوائد ٥/٣٢٥.

(٢) محمد حسن الطباطبائي/ نوائب الدهور في علائم الظهور/ ١٩٣.

يرى في المؤمن، مرحاً لما يرى في الأرض من الفساد، ورأيت الخمور تشرب علانية... ورأيت الآمر بالمعروف ذليلاً... ورأيت سبيل الخير منقطعاً وسبيل الشر مسلوكاً... ورأيت الحرام يُحلل، ورأيت الحلال يُحرّم، ورأيت الدين بالرأي... ورأيت الحرمين يعمل فيهما بما لا يحب الله، ولا يمنعهم مانع...ورأيت الرجل يتكلم بشيء من الحق، وينهى عن المنكر، فيقوم إليه من ينصحه في نفسه فيقول: هذا عنك موضوع.»(١)

وهذا كلّه نتيجة ضعف الوازع الديني وتلاشي آثاره من النفوس، وهو غيض من فيض ما ورد في تصوير ذلك الواقع الذي نعيش قسماً منه، ونحيا في ظل مصادرته لكل ما هو أصيل، وفيه تصوير صادق للتعرّب بعد الهجرة، والإنكفاء بعد الاستقامة، والإنقلاب على الأعقاب.

تدهور النظام الأخلاقي:

وتشذ الناس في المسلكية في الحياة، فيكون آخر المفقودين النظام الأخلاقي، فتتضاءل الكمالات النفسية، وتتلاشى القيم حتى تفنى، وتنصهر الأخلاق في إطار مضادّ، ويعود الناس إلى جاهليتهم الأولى، ويسيرون القهقرى، كما أنبأ بذلك الحديث القدسي فيما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إذا رُفع العلم، وظهر الجهل، وكثر القرّاء، وقل العمل، وكثر الفتك، وقلّ الفقهاء الهادون، وكثر فقهاء الضلالة الخونة.... وكثر الجور والفساد، وظهر المنكر وأمرتْ أمتك به، ونهوا عن المعروف... وصارت الأمراء كفرة، وأولياؤهم فَجَرَة، وأعوانهم ظَلَمَة، وذوو الرأي منهم

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٢٥٨ـ٢٥٩ وانظر مصدره.

فَسَقة.»[١]

وهذه المفردات المحزنة تشير إلى مدى التدهور الذي يصيب الناس في عاداتهم وتقاليدهم وأولاعهم وأطوارهم، وكلها تجري في تيار معاكس للإسلام، وفي متاهة كبرى لا أول لها ولا آخر.

ولعل الإمام محمد الباقر عليه السلام يصرّح بأكثر من هذا وقعاً، وأشدّ منه أثراً، بما سيحدث حينذاك من الانفلات الأخلاقي، وانتهاك مبادئ الشريعة الغراء، والخروج عن الدين في أبسط مظاهره، وذلك فيما رواه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«كيف بكم إذا فسد نساؤكم، وفسق شبابكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟

فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟

قال: نعم، وشر من ذلك!! كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟

قيل: يا رسول الله ويكون ذلك؟

قال: نعم، وشر من ذلك!! كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً؟»[٢]

والرؤية المعاصرة لواقع العالم الإسلامي المعاصر اليوم تجسد مضامين هذه الرواية حتى رأينا المعروف منكراً والمنكر معروفاً!!

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يشير إلى سيدي شباب أهل الجنة، الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام:

«... إنه منهما مهدي هذه الأمة، إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً، وتظاهرت الفتن، وتقطّعت السُبُل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار٢٧٧/٥٢.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ١٨١/٥٢ وانظر مصدره.

يرحم صغيراً، ولا صغير يوقر كبيراً، فيبعث الله عَزَّوَجَلَّ عند ذلك منهما من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً، يقوم بالدين في آخر الزمان كما قمت به في أول الزمان.»[١]

وفي الحديث تصوير إجمالي لمكاره آخر الزمان في انحطاط الأخلاق، وفيه بشارة عظمى بالمهدي الذي يقوم بأمر الدين كما قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو يتحدث عن ظاهرة بدأت إفرازاتها تتسع، وتبدو ملامحها للعيان، فيما عليه شبابنا المعاصر من عقوق الوالدين وتمني موتهما، والإساءة إليهما، والاعتداء عليهما، وفي ذلكم بلاء عظيم يقصف بالأعمار، قال الإمام:

«... ورأيت العقوق قد ظهر، واستُخّف بالوالدين، وكانا من أسوأ الناس حالاً عند الولد، ورأيت ابن الرجل يفتري على أبيه، ويدعو على والديه، ويفرح بموتهما...»[٢]

وهذا ذروة ما تصل إليه الأخلاق من تدهور سحيق.

الفقر والجوع والغلاء:

تتحدث روايات الظهور المبارك عن حالة اقتصادية متردّية يعاني منها الناس بعامة والعراقيون وأهل الشام بخاصة، وذلك قبل قيام القائم بسنة، لتكون تلك السنة إشعاراً بقيامه فيما يبدو.

فعن الإمام جعفر الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه قال:

«لابدّ أن يكون قدّام القائم سنة يجوع فيها الناس، ويصيبهم خوف

---

(١) السلمي الشافعي/ عقد الدرر/ ٢٢٥.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٢٦٠.

شديد من القتل، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات...»[١]

وعن جابر بن يزيد الجعفي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٢]

قال: الجوع عام وخاص، فأمّا الخاص من الجوع فبالكوفة، يخصّ به أعداء آل محمد فيهلكم، وأما العام فبالشام، يصيبهم خوف وجوع ما أصابهم قط، أما الجوع فقبل قيام القائم، وأما الخوف فبعد قيام القائم.»[٣]

والنظر في تحليل الروايتين ودلالتهما، ففي الأولى تحديد مجاعة الناس قبل قيام القائم بسنة، يرافق ذلك الخوف من القتل، ومعناه الاستتار وتعطيل مرافق الحياة، فتنقص الأموال نتيجة البطالة، أو ضيق الأرزاق، أو رفع البركات، أو كلها جميعاً، ويصيب القتل جملة من الناس فتنقص الأموال، وتتعطل الزراعة جراء فقدان الأيدي العاملة، أو لأسباب مناخية تحبس معها السماء قطرها، جزاء بما كسبت أيدي الناس.

وفي الرواية الثانية يتحدث النصّ عن جوع خاص بالكوفة، وقد يراد بالكوفة العراق في أمثال هذه الروايات، وأن هذا الجوع يخص أعداء آل محمد من الخارجين عليهم أو الناصبين لهم العداء، كأن يكون لأولياء أهل البيت الأمر أو الحكم والسلطة، ويكون أعداؤهم في سبيل من المعارضة والمقاومة ـ كما نشاهده اليوم ـ فيخسرون حياتهم المادية كما خسروا حياتهم الروحية، وقد يفسر ذلك بخواء الخزينة العراقية نتيجة الفتن والنهب والاغتصاب.

(١) المصدر نفسه ٢٢٩/٥٢.
(٢) سورة البقرة/ ١٥٠.
(٣) المجلسي/ بحار النوار ٢٢٩/٥٢.

وأما الجوع العام فجوع في الشام قبل قيام القائم فيما يسببه اختلاف الرايات الثلاث ـ كما سيأتي ـ في تكالبها على الحكم من قبل الأصهب والأبقع والسفياني، فيستمر القتال، ويسيطر السفياني فيهلك الحرث والنسل، وتتعطل التجارة، وتكسد البضاعة، وتقلّ الرجال، ويتضاءل العمل، فتحدث المجاعة.

وأما الخوف فبعد قيام القائم حيث يتسلط السفياني على الشام، ويكثر فيها الفساد، ويتوجه إليها المهدي عليه السلام في جيشه الضارب، فيشمل الرعب الشام حيث تكون ميدان المعركة إذ يلتحم بها الجيشان، فتسفك الدماء وتزهق الأرواح، ويكون الخوف ملازماً لذلك لاسيما حينما ينتصر المهدي عليه السلام، ويقتل السفياني.

وهناك رواية تنبئ عن حصار اقتصادي شامل على الشام من قبل الأوربيين، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: «يوشك أهل الشام أن لا يصل إليهم دينار ولا مدّ!! قلنا: من أين؟ قال: من قِبل الروم.»[١]

كما أن هناك رواية في قبالها تتحدث عن حصار مروّع يشمل العراق، فعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: «يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم!!

قلنا: من أين؟ قال: من قبل العجم يمنعون ذلك.[٢]

وقد حدث في عصرنا هذا حصار شامل للعراق لا يستطيع القلم تصوير آثاره المفجعة، حيث منعت صادرات النفط العراقي، فلم يصل إليه مال، وانحدرت الحياة الاقتصادية إلى الحضيض، فعزّت الغلات والثمار والمواد الغذائية، وكان ذلك قبل وبعد حرب الخليج الثانية ١٩٩١م حتى سقوط نظام الطاغية في عام ٢٠٠٣م.

---

(١) المجلسي/ بحار النوار ٥١/ ٩٢.

(٢) المصدر نفسه ٥١/ ٩٢.

لقد عاش العراقيون في ظل هذا الحصار وحكم الطاغية الجبّار حياة القرون الوسطى في الفقر والجوع والمرض والبلاء المبرم جراء حكم دموي عاصف، وسياسة خرقاء لطاغية العراق.

وقد يمرّ علينا حصار من نوع آخر، ما يدرينا؟ فالليالي حبالى منذ الأزل، لا يعلم عما تتمخض به، وربما أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى هذه الحقيقة: «ليخرجن منها حتى لا يملكون منها صاعاً ولا مداً.»(١)

وكان الحديث في الرواية عن أهل العراق، وفيه تصريح بهجرة أهله سعياً وراء العيش الحرّ الكريم، وهو ما حدث فعلاً بملايين المهاجرين العراقيين للخارج.

وهنالك إشارات صريحة للحالة الشاذة التي يمرّ بها العراقيون جراء طغيان حكامهم، وتسلط الجبابرة عليهم. وكان تفصيل ما يجري في ضوء تفسير الآية (١٥٠) من سورة البقرة، وقد تقدمت فيما سبق، وهنا يتحدث الإمام الصادق عليه السلام في ضوئها قبل خروج القائم: «... نبلوهم بشيء من الخوف من ملوك بني فلان في آ خر سلطانهم، والجوع بغلاء أسعارهم، ونقص من الأموال، قال: كساد التجارات وقلة الفضل، ونقص من الأنفس، قال: موت ذريع، ونقص من الثمرات: قلة ريع ما يزرع، وبشر الصابرين: عند ذلك بتعجيل خروج القائم.»(٢)

وما قرره الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقد كابده العراقيون بأبشع صوره، فالعراق وهو أغنى دولة في العالم، أو من أغناها عاد شعبه المضطهد أفقر شعب في العالم، وأصيب شبابه بالعقد النفسية المتأصلة، فهو ينظر إلى الكون بمنظار أسود لا أمل معه للخلاص، وقد أخذت منه الحروب الطائشة الثلاثة جمهرة أبنائه قتلاً أو إبادة، وملئت

(١) ابن طاووس/ الملاحم والفتن/ ١٧٧.

(٢) حسن النجفي/ علائم الظهور في المستقبل المنظور/ ١٩٦ وانظر مصدره.

مستشفياته بالجرحى والمعوقين، ومات أطفاله بالعاهات وسوء التغذية، وقضي على بنيته التحتية، وبُذِّرت أمواله الطائلة بالتصنيع العسكري المُعار والذي تحطم بأكمله على أيدي الأجانب والغربيين، وعادت خزائن العراق صفراً من الأرصدة، هذا عدا الديون الهائلة التي رُبط بها العراق لا لمصلحته، بل لإقامة الهيكل النخر للنظام الهمجي في العراق.

الظواهر العسكرية

تصرح الروايات والأحاديث الشريفة أن سيلاً من الحروب المحليّة والإقليمية والعالمية تقع بين الأمم والشعوب والأجناس البشرية.

فتطحن الناس برحاها، وتطبق عليهم بمرجلها، يصاحبها الخوف المرتقب والبلاء العميم، وتنجلي عن ملايين القتلى، وذلك قبل الظهور المبارك.

فعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله ـ يعني الإمام الصادق ـ يقول:

«لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا الناس!! فقلنا:

إذا ذهب ثلثا الناس فمن يبقى؟

قال: أما ترضون أن تكونوا في الثلث الباقي.»[1]

وهذا إنباء من الإمام بوقوع حرب عالمية مدمرة تقضي على ثلثي العالم.

ويبدو أن هذه الحرب تكون بين الدول الكبرى ذات الكثافة السكانية والأعداد البشرية المليونية، وأن المسلمين في أمن من مخاطرها وشرورها لأنهم الثلث الباقي، ومن الطبيعي أن يصاحب هذه الحرب

---

(١) المجلسي/ بحار النوار ١١٣/٥٢ وانظر مصدره.

الفتاكة موجات من الجوع القاتل، ويصيب الناس بعد اطلاعهم على أخبارها وفجعائها خوف شديد من القتل الذي قد ينسحب عليهم نتيجة الاصطدام العالمي المسلّح، وهو ـ فيما يبدو ـ ما تشير إليه رواية عن الإمام الصادق أنه قال:

«لابد أن يكونِ قدّام القائم سنة يجوع فيها الناس، ويصيبهم خوف شديد من القتل»(١)

ويبدو من الروايات أن هذه الحرب تكون نتيجة لاختلاف سياسي وإيديولوجي بين دول الشرق والغرب، وقد تتعداهم إلى المسلمين من أطراف أخرى، إلاّ أن استهدافها الأساسي أولاً وبالذات سيكون القواعد العسكرية والمنشآت الحربية للدول الكبرى.

فقد ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«يختلف أهل الشرق والغرب، نعم وأهل القبلة، ويلقى الناس جهداً شديداً مما يمرّ بهم من الخوف! فلا يزالون بتلك الحال حتى ينادي منادٍ من السماء، فإذا نادى فالنفر النفر.»(٢)

ومؤدى هذه الرواية أن الثقل الأكبر في هذه الحرب إنما يقع بين القوتين الأعظم، وأن شيئاً من إفرازات ذلك يصيب ديار الإسلام، وأن هذه الحرب تستمر إلى قبيل ظهور الإمام بقليل، وذلك بدليل ارتباطها بسماع النداء في السماء باسم صاحب الأمر كما ورد ذلك عن الإمام الصادق برواية أبي بصير:

«ولا يخرج القائم حتى ينادى باسمه من جوف السماء في ليلة ثلاث وعشرين (من رمضان) ليلة الجمعة!!

قلت: بم ينادي؟

---

(١) المجلسي/ بحار الانوار/ ٢٢٩/٥٢.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٣٥/٥٢.

قال: باسمه واسم أبيه: ألا ان فلان بن فلان قائم آل محمد فاسمعوا له وأطيعوا.»[١]

ويبدو أن هذا النداء مرتبط بقتال وحرب، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«لا يكون هذا الأمر الذي تمدون إليه أعناقكم حتى ينادي منادٍ من السماء:

ألا إن فلاناً صاحب الأمر، فعلامَ القتال.»[٢]

ويبدو أن هذا القتال العالمي تتخلله الطواعين الفتاكة حتى يذهب خمسة أسباع الناس، فعن سليمان بن خالد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام (يعني الإمام جعفر الصادق) يقول:

«قدّام القائم موتان، موت أحمر وموت أبيض، حتى يذهب من كل سبعة خمسة، الموت الأحمر السيف، والموت الأبيض الطاعون.»[٣]

وقد يضاف إلى الموت الأحمر والموت الأبيض الآفات الزراعية التي لا تُبقي ولا تذر، فيتسبب عن ذلك القحط والجفاف والجوع.

كما في رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«بين يدي القائم موت أحمر وموت أبيض، وجراد في حينه، وجراد في غير حينه أحمر كالدم.

فأمّا الموت الأحمر فبالسيف، وأمّا الموت الأبيض فالطاعون.»[٤]

وفي إخبارات أمير المؤمنين الملحمية ما سُمع عنه أنه قال:

---

(١) النعماني/ الغيبة/ ٢٨٩.

(٢) المصدر نفسه/ ٢٦٦.

(٣) الصدوق/ كمال الدين ٢/٦٥٥ + الحر العاملي/ إثبات الهداة ٣/٧٢٣.

(٤) ظ: النعماني/ الغيبة/ ٢٧٧ + المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٩ + الطوسي/ الغيبة/ ٢٦٧ + الطبرسي/ إعلام الورى/ ٤٢٧ + ابن الصباغ/ الفصول المهمة/ ٣٠١ + المجلسي/ البحار ٢١/٥٢.

«لا يخرج المهدي حتى يُقتل ثلث، ويموت ثلث، ويبقى ثلث.»[1]

وهناك تصريح لأمير المؤمنين في رواية طويلة نقتطف منها محل الشاهد، يؤكد فيها أن هذه الحرب تكون بين اليهود والنصارى، وذلك يوحي بأن إسرائيل قد تتمرد على أسيادها من الغربيين، فتقع الحرب بينها وبين أوربا، وهي بتسلحها الهائل تماثل الدول الكبرى وتضارعها في أطاريح الحروب المدمّرة.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «.... فيقتل يومئذٍ ما بين المشرق والمغرب ثلاثة آلاف ألف من اليهود والنصارى، يقتل بعضهم بعضاً....»[2]

وأحاديث هذا الباب توحي بأمرين:

١. أن هناك خوفاً عالمياً من القتل قبيل الظهور المبارك، ضحاياه من الغربيين أكثر بكثير من ضحايا المسلمين، أو أن الحروب بعيدة عن ديار المسلمين.

٢. أن جملة هذه الحروب متعددة في مصاديقها، وقد تأخذ في طبيعتها مجال الحروب الإقليمية المتكررة والمتناوبة في غربي الأرض وشرقها.

وهنا نقف عند معركة كبرى تتناولها عشرات الروايات، وهي معركة «قرقيسيا» وهي منطقة حدودية بين العراق وتركيا والشام، يظهر فيها كنز في مجرى الفرات، يقتتل حوله الناس، ويكون هذا القتل فظيعاً، وأن المعركة في قرقيسيا تكون أعظم معركة في تاريخ العالم، وهي مقاربة لظهور الإمام المهدي عليه السلام، أو مقارنة له فقد ذكر ابن حماد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«ينحسر الفرات عن جبل من ذهب وفضة، فيقتل عليه من كل تسعة سبعة فإذا أدركتموه فلا تقربوه.

---

(١) السلمي الشافعي/ عقد الدرر/٦٣ + السيوطي/ الحاوي ٢/٦٨.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٢٧٤ + ٥٣/ ٨٢.

وفي ابن حماد أيضاً: ثم تنجلي حين تنجلي، وقد انحسر الفرات عن جبل من ذهب، تنكبّ عليه الأمة، فيقتل من كل تسعة سبعة.»[١]

وهذا الكنز في أهميته الكبرى هذه حيث يقتتل عليه الناس، فيفنى سبعة اتساعهم غير واضح في حقيقته أو المراد منه، فقد يكون كنزاً ذهبياً بالفعل، وقد يكون الذهب كناية عن معدن ثمين كالزئبق الأحمر، واليورانيوم، أو البترول الغزير، وما شابه ذلك، والرواية توصي بعدم الأخذ منه إمّا نفياً أو نهياً، لعدم الإفادة منه في النهي كأن يكون بحاجة إلى تقنيّة عالية لا يفيد أزاءها الناهبون، وقد تكون في حقيقتها المجهولة ليست من جنس ما يؤخذ أو يستفاد منه، والروايات تحذر عن أخذ شيء منه، وفيها:

«يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً».[٢]

أو أن أخذه قد يتسبب في كارثة إنسانية، أو يساعد على انتشار أمراض خبيثة كالسرطان وسواه».

ويحدّث الإمام محمد الباقر عليه السلام عن عمق هذه المعركة وشدتها، وكثرة قتلاها، وأنها فريدة عالمياً منذ خلق السماوات والأرض، فهو يخاطب أحد مواليه، واسمه ميسر:

«يا ميسر كم بينكم وبين قرقيسيا؟

قلت: هي قريب على شاطئ الفرات!!

فقال: أما أنه سيكون وقعة لم يكن مثلها منذ خلق الله تبارك وتعالى السماوات والأرض، ولا يكون مثلها ما دامت السماوات والأرض مأدبة للطير، تشبع منها سباع الأرض وطيور السماء...

---

(١) علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٩٤ عن مخطوطة ابن حماد/ ٩٢.

(٢) المتقي الهندي/ البرهان في علامات مهدي آخر الزمان/ ٢/ ٦٤٠.

وينادي منادٍ: هلمّوا إلى لحوم الجبارين.[١] وهو نفسه عن الإمام الصادق[٢]

وهاتان الروايتان صريحتان بنشوب معركة كبرى لا نظير لها في العالم، وذلك يوحي باشتراك أطراف عالمية من جنسيات مختلفة، وأن ضحاياها من الكثرة بحيث ينادي من السماء للطير وللسباع أن هلمّوا إلى الشبع من لحوم الجبارين كما في رواية أخرى عن الصادق كما تقدم.

يضاف إلى هذا أن هذه المعركة معركة ضلال لا هدى معها في توجهاتها، وأن قتلى هذه المعركة من الجبارين.

ويبدو للبحث أن تحالفاً عسكرياً يتم بين الدول الأوربية وشرائح من الدول التركمانية في المنطقة وشرقي آسيا من دول الاتحاد السوفياتي المنهار ويتجمعون في منطقة الشرق الأوسط، دعماً للسفياني الذي ينتصر على الأصهب والأبقع في الشام كما سنرى ذلك في موقعه من البحث.

ويدلّ على ما تقدم ذكره ما روي عن الإمام محمد الباقر أنه قال:

«وستقبل إخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة، وستقبل مارقة الروم حتى تنزل الرملة... فأول أرض تخرب الشام، فيختلفون عند ذلك على ثلاث رايات راية الأصهب وراية الأبقع وراية السفياني... ويمر جيشه بقرقيسيا فيقتلون بها مائة ألف من الجبارين»[٣]

ويبدو من الروايات أن خسائر التحالف التركماني في هذه المعركة كبيرة جداً، ولكن بما يسلط عليهم من الطاعون والأوبئة ففي الرواية: «ترد الترك الجزيرة حتى يسقوا خيلهم من الفرات، فيبعث الله عليهم

---

(١) الكليني/ الكافي ٨/٢٩٥.

(٢) ظ: النعماني/ الغيبة/ ٢٧٨.

(٣) المفيد/ الاختصاص/ ٢٥٥.

الطاعون فيقتلهم.»[١]

وقد يكون هذا القتل في معركة أخرى، والله العالم.

ويبدو أن تحالفاً بين السائرين بخط بني العباس، وبين السائرين بخط المروانيين من الأمويين، الضالعين بركاب هؤلاء وهؤلاء في محاربة قيم السماء، هذا التحالف يكون بهذه المعركة «قرقيسيا» ويرفع الله عنهما النصر، ويتسلمها السفياني، كما هو مضمون رواية أخرى عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إن لولد العباس وللمرواني لوقعة بقرقيسيا، يشيب فيها الغلام الحزّور، ويرفع الله عنهم النصرة، ويوحي إلى طير السماء وسباع الأرض: أن اشبعي من لحوم الجبارين، ثم يخرج السفياني.»[٢]

ويستدل من الرواية أن خروج السفياني يكون قبيل خروج الإمام المهدي عليه السلام، كما عليه روايات تعرض لها بموقعها من البحث.

ومهما يكن من أمر، وما هو كائن في المستقبل، فإن هذه المعركة من أبرز الظواهر الحربية في عالم الظهور، والله سبحانه وتعالى هو العالم بنوعية ما يستعمل بها من الأسلحة والمعدّات العسكرية التي تخلف هذا العدد المخيف من الضحايا.

(١) ابن طاووس/ الملاحم والفتن/ ٤٠.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٥١/٥٢.

ظواهر أخرى في علائم الظهور

هنالك ظواهر أخرى متعددة في علامات الظهور سوى ما ذكرنا من العلامات، وهي كثيرة، ولكننا نضم بعضها إلى بعض لنخرج بطرحها على شكل نقاط رئيسة على الوجه الآتي:

الأمطار الغزيرة:

رأيت فيما سلف عدة ظواهر كبيرة تلفت النظر في علائم الظهور من الفتن وسيل الابتلاء، وأحداث الموت الذريع، ونقص من الأموال والانفس والثمرات، والاختلاف في الأرض، وتعدد الزعامات، وتعطيل الإسلام، ومشكلات الحروب والإبادة، وسوى ذلك من المحن الكبرى.

ولعل هنالك أنباءً سارة قرب خروج المهدي عليه السلام، وقبيل ظهوره المبارك إيذاناً بانتهاء الكوارث وبداية عهد جديد يعمّه الخير وتسوده البركة، كما أن هنالك أنباءً محزنة تسبق ذلك، تفسر لنا اتجاهات متضاربة في حبّ الذات وحبّ الدنيا وحبّ المناصب، وتمرس الساديّة في الجرائم والمآسي، إلا أننا نبدأ بما فيه البشارة التي ترتفع بمستوى أهل الإيمان روحياً ونفسياً واقتصادياً، ففي آخر العلامات يقول الشيخ المفيد مبشّراً:

«ثم يختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتصل، فتحيا بها الأرض بعد موتها، وتعرف بركاتها، وتزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي عليه السلام، فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة، ويتوجهون نحوه لنصرته، كما جاءت بذلك الأخبار.»(١)

ويبدو أن ذلك من العلامات التي ينتظرها أولياء آل محمد، وتكون سنة ظهور المهدي عليه السلام، فيزدادون إيماناً، ويغدون السير إليه وهو في مكة لنصرته.

ويؤيد هذا ما جاء في الرواية عن سعيد بن جبير:

«إن السنة التي يقوم فيها المهدي عليه السلام، تمطر الأرض أربعاً وعشرين مطرة، ترى آثارها وبركاتها.»(٢)

وهطول الأمطار بهذه الغزارة يعني ارتفاع خطر المجاعة وقد ابتلى بها الناس، ويدلّ على زوال سني القحط والغلاء وارتفاع الأسعار، ويوحي بانتعاش الحياة الاقتصادية، وذلك كله إيذان من الله تعالى بإنزال البركات، مقدمة لعصر الإمام، وهو عصر الخيرات والبركة.

وقد أكد هذا الملحظ الإمام جعفر الصادق عليه السلام، بالقول:

«إذا آن قيامه (يعني الإمام المهدي)، مطر الناس في جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم يُرَ مثله..»(٣)

وليس غريباً أن يكون هذا المطر إرهاصاً بقيام الإمام عليه السلام.

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٤.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٦.

(٣) ظ: محمد كاظم القزويني/ الإمام المهدي من المهد إلى الظهور/ ٣٩٥ وانظر مصادره.

ادعاء المهدية قبل الظهور:

يبدو من الأخبار أن دعاوى الكَذَبَة لا تقف عند حدّ معقول، بل تتمادى بالزور والبهتان تضليلاً للناس وافتراءً على الله تعالى، واستغفالاً للسذّج الذين لا يميزون بين الحق والباطل، فادّعاء المهدية وحتى النيابة عن صاحب الأمر، ليس بأشد خطراً من ادّعاء النبوة في آخر الزمان، فعن عبد الله بن عمر: قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي من ولدي، ولا يخرج المهدي حتى يخرج ستون كذاباً كلهم يقول: أنا نبيٌّ». [1]

وهذا من علائم الظهور، ولكنه لا يستقيم بحال من الأحوال، فدلائل تكذيبه معه، إذ لا نبي بعد محمد بن عبد الله ﷺ، ويصدع الإمام المهدي المنتظر بالحق الصريح فيمحق الباطل.

أما ادّعاء المهدية، والدعوة إلى أفراد ليسوا هناك، فقد تحدثت عنها رواية أبي خديجة عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «لا يخرج القائم حتى يخرج قبله إثنا عشر من بني هاشم، كلهم يدعو إلى نفسه.» [2]

ومثله في غيبة الطوسي[3] وإعلام الورى للطبرسي[4] وكشف الغمة للأربلّي. [5]

ويبدو أن هذه الدعاوى الكاذبة تتمكن من الناس في حدود، ولكنها لا تلبث أن تتبدد بقيام صاحب الزمان عليه السلام، إلاّ أنها قد تضل خلقاً كثيراً قبل الظهور المبارك، فينخدع جيل بقيادات لم تعرف، وزعامات لم

(١) المفيد/ الارشاد/ ٤٠٥.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٥.

(٣) ظ: الطوسي/ الغيبة/ ٢٦٧.

(٤) ظ: الطبرسي/ إعلام الورى/ ٤٢٦.

(٥) ظ: الأربلّي/ كشف الغمة ٣/ ٢٤٩.

تكن.

ومما يهوّن الخطب وهو كبير أن أمر أهل البيت عليهم السلام ظاهر للعيان كالشمس في رابعة النهار.

فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنه قال:

«ولترفعن اثنتا عشرة راية مشتبهة لا يدرى أيٌّ من أيّ.

قال المفضل فبكيت.

قال الإمام: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟

فقلت: كيف لا أبكي وأنت تقول: ترفع اثنتا عشرة راية لا يُدرى أيٌّ من أيّ!! فكيف نصنع.

قال: فنظر إلى شمس داخلة في الصفّة، فقال: يا أبا عبد الله ترى هذه الشمس؟

قلت: نعم، قال: والله لأمرنا أبين من هذه الشمس.[١]

وقد حدّد ابن حمّاد موطن هذه الرايات قبل الظهور، فقال فيما يروي:

«وترفع قبل ذلك اثنتا عشرة راية بالكوفة معروفة منسوبة»[٢]

وقد بدأت أطاريح هذا الحدث بالظهور الجزئي في أشخاص وشعارات ومراسم وادعاء المنصب الشرعي جزافاً، وقد تجرأ فصيل منهم بانتحال صفة المرجعية في الدين، والأحداث الشاذة يتبع بعضها بعضاً، ويسير آخرها بركاب أولها، والله المستعان.

---

(١) الكليني/ الكافي ١/٣٣٨ + النعماني/ الغيبة/ ١٥١.

(٢) ابن حمّاد/ الملاحم والفتن/ ١/٢٩١.

الحصار الاقتصادي على العراق:

وتشير روايات الظهور إلى علامة مهمّة تحققت في عصرنا بأبشع صورها، وقد ينكر مثلها في زمن آخر، وهي حقيقة فرض الحصار الاقتصادي على العراق من قبل جبابرة الغرب نتيجة تمادي حكّامه، بالظلم والقرارات الإرتجالية.

فعن جابر بن عبد الله يرفعه، قال:

«يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم!!

قلنا: من أين ذلك؟

قال: من قبل العجم يمنعون ذلك.»(١)

وقد روّع العراق بتفاصيل هذا الحصار ـ كما أسلفنا ـ وقد حرّم عليه الاستيراد العالمي للضرورات الاقتصادية والتموينية، وحجزت أوربا بقرار من مجلس الأمن أرصدة العراق فجمّدت الأموال العامة، فلم يجبَ لهم درهم واحد.

والعجم هم غير العرب من الروم والترك والصقالبة والفرس وسواهم، وقد تولّى كبر هذا الحصار الولايات المتحدّة الأمريكية والمملكة المتحدة.

وكان له الأثر السيئ في مجاعة العراقيين وهجوم الأمراض المتعددة، واختفاء مصادر الغذاء الضروري، وحكّامه في بلهنية من العيش، ورغد من الإسراف، وتخمة من التمّلي من كل ما لذّ وطاب، والشعب في حالة يرثى لها من الحرمان.

وقد أكد ذلك ابن عمر بما رواه السائب عن أبيه، قال:

دخلت على عبد الله بن عمر في حائط (بستان) فقال: ممن انت؟

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٩٢/٥١ وانظر مصدره.

فقلت: من العراق، قال: فحلف والله ـ لا يستثني ـ «ليخرجن منها حتى لا يملكون منها صاعاً ولا مدّاً»[(١)]

وفي الخبر إشارة إلى هجرة العراقيين إلى الخارج، فقد ازدحمت من كثرتهم دول الجوار وأوربا بحثاً عن الحياة الحرّة الكريمة، وقد أدّى ذلك إلى مضاعفات كثيرة وعواقب وخيمة في السلوك والاجتماع والحياة العامة.

لقد أصبح الفقر في العراق ظاهرة شائعة منذ التسعينات من القرن الماضي حتى سقوط النظام الطاغوتي، وبذلك تتحقق أخبار أهل البيت عليهم السلام وفي الغيب المنظور بالتحدّث عمّا يصيب العراق من الكوارث والنكسات.

ولعل هذا هو مراد الشيخ المفيد فيما أفاده من روايات الأئمة عليهم السلام بقوله:

«وخوف يشمل أهل العراق وبغداد، وموت ذريع فيه، ونقص من الأموال، والأنفس والثمرات.»[(٢)]

وقد شاهد العراقيون أبناءهم يقتلون اعتباطاً في حروب طاحنة لا أول لها ولا آخر، وشاهدوا أطفالهم يحتضرون ويموتون من سوء التغذية، وشاهدوا إخوانهم يفرّون من العراق فقراً وخوفاً من الطاغوت الأكبر.

هجرة العلم وقتل العلماء:

كثرت الضغوط اللاإنسانية على طلاب العلوم الدينية في حاضرة العالم الإسلامي: النجف الأشرف في ربع قرن من الزمان في القرن

---

(١) ابن طاووس/ الملاحم والفتن/ ١٧٧.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٣.

العشرين، بل يزيد على ذلك عدة سنوات فأصيبت الحوزة المباركة بشلل جزئي ولكنها لم تمت، واختبأ العلماء في منازلهم حذر القتل، وهاجر طلبة العلم إلى قم المشرفة والشام، وإذا أطلق العلم في لغة الشرع الشريف فالمراد به علم الحلال والحرام ومسائل الشريعة الغراء، وهذا لا يعني الانتقاص من سائر العلوم الإنسانية والصرفة والتجريبية بقدر ما يعني من الاهتمام بعلوم آل محمد عليهم السلام.

ومنذ أن اتخذ أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام الكوفة الغرّاء عاصمة للدولة الإسلامية في ١٢/رجب/٣٦ هـ المصادف: ٤/ كانون الثاني/ ٦٥٧ م برزت الكوفة مدرسة علمية في التفسير والإقراء والرواية والدراية وعلم الفقه، ثم كانت مدرسة الكوفة النحوية على يد أبي جعفر الرؤاسي ومن بعده الكسائي، ثم برزت مدرسة الكوفة الكلامية في الجدل والاحتجاج والمحاورة حتى تطاولت مدرسة الكوفة الفقهية تحمل في طيّاتها فقه أهل البيت من جهة، وفقه الجمهور من جهة أخرى، وقذفت الأقاليم الإسلامية بأفلاذ أكبادها من أبنائها إلى الكوفة لتلقّي العلم الشرعي والتفسير والحديث واللغة والبلاغة والفلسفة والمنطق وأصول الديانات.

ولدى سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية عام ١٣٢ هـ انتقلت الحركة العلمية بعامة إلى بغداد في منتصف القرن الثاني الهجري فكان العلماء والفقهاء والمحدثون والنحاة والمتكلمون في دار السلام، حتى منتصف القرن الخامس الهجري، حيث قامت الفتنة بين السنة والشيعة بإيحاء من السلاجقة، فسالت الدماء، وأزهقت الأرواح، وهدمت المنازل، وأحرقت المكتبات العظيمة، وقذف بالكتب النفيسة في دجلة، فكانت مياهها تتقلب بين السواد والحمرة، سواد مداد الكتب، وحمرة دماء البشر.

وكانت المرجعية العليا للإمامية ـ بعد النواب الأربعة لصاحب الأمر، وتبعاً لهم ـ قد استقرت في بغداد على يد الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) والسيد المرتضى علم الهدى (ت ٤٣٦ هـ) والشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ).

ولما استطار شر الفتنة في آفاق العراق، قرر المرجع الأعلى للإمامية الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس سره، الابتعاد بالمرجعية والحوزة العلمية عن بغداد إلى مناخ هادئ رصين، فكانت النجف الأشرف مجال تفكيره ومحطّ رحاله، فانتقل إليها مع صفوة طلابه عام ٤٤٨ هـ، وفيها بغاة العلم وطلاب المعرفة، وفي أروقة الحرم الشريف لأمير المؤمنين عليه السلام مدارسة الفقه وأصوله، ومناوبة التفسير والحديث وآداب اللغة العربية، فرفع من شأنها، وأعلى من أمجادها العلمية، ووهبها زخماً جديداً في الكيان المعرفي، وأولاها منزلة كبرى تضاف إلى منزلتها في الحركة الفكرية المتطورة.

والنجف الأشرف ظهر الكوفة، وقد تسمى نجف الكوفة، فالكوفة تشمل عليها وعلى سواها من القصبات التابعة لها.

وخلال ألف عام من البحث العلمي والعطاء الفكري المتنوّر، حوصرت النجف الأشرف في عهود شتى لاسيما في عهود العثمانيين الجهلة والقتلة، ولكنها لم تفقد أصالتها، ولا خسرت أبناءها، وأبناؤها في العلم كل المهاجرين لها من العالم، فليس للعلم هوية ولا للفقه قومية، وبقيت صامدة في عصور الظلم والطغيان والاضطهاد والتمييز الطائفي، فأنجبت ما شاء الله من العلماء الأعلام، وأنبتت ما قدر الله من الأساطين، وخرّجت ما علم الله من الفقهاء والفلاسفة والادباء والشعراء وحَمَلة الكتاب.

وبقيت النجف الأشرف مناراً للعالم الإسلامي تضخ معارفها، وتبث علومها، وتنشر بأشعتها الذهبية في الآفاق، وتسعى إلى وحدة المسلمين صفاً متراصاً أميناً، وتناضل الغزاة والطامعين، وتجاهد المحتلين والمستعمرين ،وبذلت في سبيل ذلك أغلى الأرواح وأنفس الذخائر، مما أشارت إليه أطاريح المؤرخين بكثير من الضغط وعدم الاستيعاب.

وفي عهد الطاغية صدام حسين اصطدمت النجف الأشرف بتخطيط شامل لنظامه في القضاء على المرجعية والحوزة العلمية، فأزال معالمها التراثية ـ المساجد والمدارس الدينية والحسينيات ـ بحجة التوسعة على المدينة المرتبطة بجوار أمير المؤمنين، وهدمت الدور والمنازل وسكنى أهل العلم بحجة الاعمار وحداثة الإسكان، وحورب رجال الدين من أهل العلم النابض والمعارف الحيوية، فاضطر أكثرهم للهجرة قسراً وتسفيراً ومصادرة ممتلكات، وصمد آخرون بما فيهم المراجع العظام، فكادت أن تخلو النجف الأشرف من الطلبة والأساتيذ إلاّ لماماً، وعادت مدارس العلم دوارس إلاّ قليلاً، وهذا ما تحدثت به الرواية الصادرة عن الإمام الصادق عليه السلام:

«ستخلو كوفة من المؤمنين، ويأرز عنها العلم كما تأرز الحية في جحرها، ثم يظهر ببلدة يقال لها: قم.»[1]

وتأزر بمعنى تختفي، وهكذا هاجر بالضغط والاكراه أكثر من خمسة آلاف طالب ديني في ربع قرن على يد الطاغية وجلاوزة النظام، واتجه أغلبهم إلى قم المشرفة.

وفي رواية أخرى للإمام الصادق يصف فيها خمول العلم وعزلته:

«يأتي على الناس زمان يصيبهم فيها سبطة يأزر فيها العلم كما تأزر

(١) المجلسي/ بحار الأنوار/٦٠/ ٢١٣.

الحيّة في جحرها.»[١]

والسبطة السكوت على خوف وحذر، وأزر المرء تقبّض على نفسه، ودلالة ذلك أن العلم يبقى مكنوناً لا يقدّر له الانتشار، وأن العلماء يفرون بأنفسهم نحو العزلة والاغتراب والاختفاء حذر القتل.

وهو مصداق للرواية عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم....»[٢]

إن العلم يصطدم وواقع الفلسفات الطاغوتية، وهي تحاول قبره وإخماد صوته، وقد عمد النظام البائد بشتى الأساليب اللا إنسانية إلى إسكات صوت العلم الهادر، ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره.

وهنا بدأت المرحلة الثانية في قتل العلماء وإبادتهم، فقد أعدم الطاغية الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر في ١٩٨٠/٤/٩ م، وتعقّب تلامذته تحت كل حجر ومدر، وقتل من أتباعه الآلاف بتهم مفتعلة دون رادع أو وازع.

وقد استمرت المرحلة إلى منتصف الثمانينات فأعدم الطاغية كوكبة من العلماء الأعلام من أبناء الإمام السيد محسن الحكيم قدس سره، وطمست آثارهم، وأخفيت قبورهم، وصودرت دورهم، ولوحقت أبناؤهم وعوائلهم ومن يمتّ إليهم بسبب أو نسب، حتى تم إعدام أربعين شهيداً من أفراد هذه الأسرة المظلومة.

وكان هذا وسواه مصداقاً لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يأتي على الناس زمان يقتل فيه العلماء كما يقتل اللصوص، فيا ليت العلماء تحامقوا في ذلك الزمان.»[٣]

---

(١) النعماني/ الغيبة/٨١.

(٢) البخاري/ الجامع الصحيح /٢٩/١.

(٣) محمد حسن الطباطبائي/ نوائب الدهور في علائم الظهور /٥٥٨.

ومعنى قتل اللصوص أنه يحصل مطاردة لا مواجهة، وهذا ما أدركناه مشاهدة وعياناً.

وعقيب حرب الخليج الثانية واحتلال الكويت ظلماً وعدواناً عام ١٩٩٠م، ولدى تحريره عام ١٩٩١م ثار العراق من أقصاه إلى أدناه ضد نظام الطاغية، فبدأ القتل الجماعي لمئات الآلاف من البشر في العراق، وملئت المقابر الجماعية بالقتلى، وحفرت الحفائر الكبرى فيها للعلماء والفقهاء في النجف الأشرف، وقذفوا بالمتفجرات والقنابل اليدوية، وأهيل عليهم التراب، وقد تقطعت الرؤوس، وخلعت الأكتاف وتوزعت الأطراف، ودفن من دفن حيّاً، والعالم بمسمع ومشهد، والأمم المتحدة في غياب كامل، ومجلس الأمن في رقدة مما يجري، ومحكمة العدل الدولية في لاهاي لم يصدر منها حتى مجرد اتهام للنظام.

كان ضحية هذه الحملة من النجف الأشرف خمسين ألفاً من الشباب والكهول، قتلوا بلا جرم «لا يدري القاتل فيمَ قَتَلَ، ولا المقتول فيمَ قُتل» كما في أحاديث الظهور.

وكان ضحايا القتل الجماعي من العلماء وطلاب الحوزة العلمية ما يقدّر بثمانمائة أستاذ وتلميذ، قتلوا بلا سبب، وكان فيهم أعلام من آل بحر العلوم وآل الحكيم وآل الخوئي وآل الخرسان وآل الخلخالي وسواهم من الأسر العلمية.

وانتهت الموجة بهذه الإبادة التي سلكها الطاغية بما تدرّب عليه «هتلر» و«موسوليني» و«ستالين» و«شاوشيسكو» وأضرابهم من طغاة الأمم، وكانت ضحايا الفرات الأوسط والناصرية والبصرة والعمارة تقدّر بربع مليون قتيل لا تعرف حتى أماكن قبورهم، ولم يُشعر أهاليهم بإبادتهم حتى اليوم.

وبدأت في النجف الأشرف مشاهد الاغتيالات الفجائية بما سنذكره من نماذج أدركناها بالأمس القريب، إذ قتل العلماء الأعلام اغتيالاً كما يقتل اللصوص متابعة، فقد تمّ اغتيال الفقيه المتضلع الشيخ مرتضى البروجردي ليلة الأربعاء ٢٤/ذي الحجة/١٤١٨ هـ عند باب داره ٢٢/نيسان/١٩٩٨ م في النجف الأشرف، وذهب ضحية الغدر الطاغوتي، وكانت خسارة الحوزة العلمية به كبيرة.

وتمّ اغتيال المرجع الديني الشيخ ميزرا علي الغروي ليلة الجمعة: ٢٤/صفر /١٤١٩ هـ، ١٩٩٨/٦/١٩ م لدى رجوعه من زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الطريق بين كربلاء والنجف الأشرف بعمليّة قتل منظمة، فقد أصيب بثماني وعشرين إطلاقة رشاش، وكان ذلك بعد شهرين من اغتيال الشيخ البروجردي، وكان الاغتيال مطاردة فاضحة مكشوفة لا غبار عليها.

وكم كان هنالك من هجوم فاشل على مكتب السيد السيستاني في النجف الأشرف بين الحين والآخر استهدف بذلك ولده السيد محمد رضا السيستاني، وكان حذراً، فخابت آمالهم وذهب ضحية ذلك بعض العاملين في المكتب من الحرس.

وفي رمضان ١٤١٩ هـ تم الهجوم على المرجع الديني الشيخ بشير النجفي بالقنابل اليدوية، فأصيب بشظايا وجروح نقل على أثرها هو وبعض العاملين في المكتب إلى المستشفى، وبقي فيه أياماً، وقد زرته في المستشفى متحدّياً المنع المفروض.

وما اكتفى النظام الطاغوتي بهذا بل أقدم على اغتيال الشهيد السيد محمد محمد صادق الصدر لدى رجوعه من مكتبه قرب الحرم العلوي في طريقه إلى داره في الحنانّة، ومعه ولداه، فصبّ على سيارته وابل من الرصاص، غادروا على إثره الحياة، وكان ذلك ليلة السبت ٣/ذي

القعدة/١٤١٩ هـ الموافق ١٩/شباط/ ١٩٩٩ م.

أما كيف سلم المرجع الأعلى السيد السيستاني من الاغتيال فذلك من العناية الإلهية، وكان هو المستهدف أولاً وبالذات، وقد كشفت بعض الوثائق السرية محاولة اغتياله ثلاث مرات فشلت كلها.

وهكذا نجد هجرة العلم وإبادة العلماء من العلامات التي أدركها جيلنا المعاصر، والى الله المشتكى.

الفصل الخامس

أعلام بارزة تستبق الظهور الشريف

توطئة في الأسماء اللامعة:

السفياني...

اليماني...

النفس الزكية...

الخراساني...

الشيصباني...

الحسني...

عوف السلمي...

عبد الله... ملكاً أو حاكماً.

توطئة في الأسماء اللامعة

هنالك أسماء لامعة الذكر قبل الظهور المقدّس
وعنده، اشتملت الأحاديث والروايات على إيرادها،
ومن أبزها «السفياني، واليماني، والنفس الزكية»

وخروج هؤلاء وتواجدهم وتحقق أحداثهم من المحتوم الذي سيقع، مقارباً للظهور، أو مقارناً له.

وهناك أسماء لامعة أخرى أقل تأثيراً في الأحداث، وقد لا تكون من المحتوم، ولله فيها الأمر، ومن أبرزها:

«الخراساني، الشيصباني، الحسني، عوف السلمي، عبد الله ملكاً أو حاكماً»

ولكل من هؤلاء حديثه الخاص به في علامات الظهور.

أمّا السفياني واليماني والنفس الزكية، فقد تضافرت الأخبار عنهم في الحتميات، ومن هذا الأخبار الأحاديث الآتية:

ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

«قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء.»[1]

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

---

(١) الصدوق/ إكمال الدين ٢/٦٥٠.

«خمس قبل قيام القائم: اليماني، والسفياني، والمنادي ينادي من السماء، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية.»[١]

وصرح الإمام الصادق بحتمية كل منها، بما روي أنه قال:

«النداء من المحتوم، والسفياني من المحتوم، وخسف البيداء من المحتوم، واليماني من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم»[٢].

وسبق لنا القول بالنداء السماوي، وسيأتي الحديث عن خسف البيداء، ونقدم فيما يأتي ملخصاً تاريخياً في أسماء الدرجة الأولى والدرجة الثانية

(١) الصدوق/ إكمال الدين ٦٤٩/٢ وانظر الطوسي/ الغيبة/ ٢٦٧.

(٢) الصدوق/ إكمال الدين ٦٤٩/٢ وانظر الطوسي/ الغيبة/ ٢٦٧.

السفياني

السفياني طاغية أموي النسب، فتسميته هذه لنسبته لأبي سفيان بن حرب، وقد يعبّر عنه بابن آكلة الأكباد نسبة إلى هند زوجة أبي سفيان التي أقدمت على أكل كبد الحمزة بن عبد المطلب بعد استشهاده في معركة أحد، فلفظته.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس، وهو رجل ربعة، وحش الوجه، ضخم الهامة بوجهه أثر الجدري، إذا رأيته حسبته أعور، اسمه عثمان، وأبوه عنبسة، وهو من ولد أبي سفيان...»[1]

وهذه الرواية ذكرت صفته وملامحة في الشكل، وذكرت اسمه واسم أبيه ونسبه، وأشارت إلى موطن خروجه من الوادي اليابس، وهو منطقة حوران في الشام، واسمها الرسمي اليوم «محافظة درعا» على الحدود مع الأردن.

وتشير الروايات أن خروج السفياني يسبق ظهور الإمام بستة أشهر، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

(١) المجلسي/ بحار النوار ٢٠٥/٥٢.

«ومن المحتوم خروج السفياني في رجب»[١]

فإذا علمنا - كما سيأتي - أن المهدي عليه السلام يظهر في مكة في العاشر من المحرم من تلك السنة، كان المدى الزمني بينهما ستة أشهر أو سبعة، والله العالم.

ويبدو أن خروج السفياني مقترن بفتنة كبرى تشمل الشام بما فيها لبنان وفلسطين، وتكون أرضها أول الخراب، فقد روى جابر الجعفي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«يا جابر لا يظهر القائم حتى تشمل الشام فتنةً يطلبون منها المخرج فلا يجدونه.»[٢]

وهذا ما نشاهده بالفعل فيما بين إسرائيل من جهة، وبين سوريا ولبنان من جهة، وبين إسرائيل وحزب الله سواهما.

إذ فشلت أطراف النزاع حتى الآن عن إيجاد أي مخرج لحل الأزمات على كل المستويات السياسية والعسكرية والدبلوماسية بدعوى إحلال السلام تارةً، وإقامة الدولة الفلسطينية تارةً أخرى، واسترجاع شبعا وتلال كفر شوبا وسواهما، وهضبات الجولان عداهما.

ويبدو من الأحاديث أن سنة خروج السفياني تواكب خراب الشام باختلاف ثلاث زعامات ذات أسماء مبهمة أو رمزية، أو لا تعرف إلا عند الظهور، باستثناء زعامة السفياني التي بصددها البحث، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«فتلك السنة فيها اختلاف كثير في كل أرض من ناحية المغرب، فأول أرض تخرب الشام، يختلفون على ثلاث رايات: راية الأصهب،

---

(١) المصدر نفسه ٥٢/٢٤٩.

(٢) المجلسي/ بحار النوار/ ٥٢/٢٩٨.

وراية الأبقع، وراية السفياني.»[١]

ويبدو من الأخبار أن السفياني ينتصر في معركته ضد الأصهب والأبقع، إذ يتقاتلان في الشام فلا يحقق أحدهما نصراً على الآخر، وتنهار قواهما معاً، فيخرج إليهما السفياني فيقضي عليهما، وينتصر في أشهره الأولى حتى يسيطر على الشام، كما تصرح الرواية:

«فينقاد له أهل الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق يعصمهم الله من الخروج معه.»[٢]

وهذا يدل على أن أتباع أهل البيت بما يمتلكون من قوة عسكرية وسياسية وإيمانية لا يخضعون للسفياني، ومعهم طوائف من المؤمنين يمتنعون عنه، وسيكون أتباع الحق في صف المعارضة للسفياني.

وإذا سيطر السفياني على الشام، وخضع له من فيها «فلا يكون له همة إلاّ الاقبال نحو العراق»[٣].

كما سيأتي في موقعه من البحث إن شاء الله.

ويستظهر البحث من إلقاء نظرة فاحصة على الروايات أن السفياني من أسوأ الجبابرة حكماً، وأكثرهم قتلاً، وأشدّهم تدميراً، لا يؤمن إلاّ بروح الثأر الجاهلي، ولا يسعى إلا للعصبية القبلية، خلواً من الدين، ملحداً في المبدأ، فعن الإمام محمد الباقر أنه قال:

«إنك لو رأيت السفياني لرأيت أخبث الناس، أشقر، أحمر، أزرق لم يعبد الله قط، لم يرَ مكة ولا المدينة، يقول: يا رب ثأري ثم النار.»[٤]

ولا يستبعد البحث كونه ناصبياً، لأن ثأره الذي ينادي به، هو إبادة

---

(١) المصدر نفسه ٢١٢/٥٢.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٥٢/٥٢.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٣٧/٥٢.

(٤) المصدر نفسه ٢٥٤/٥٢.

أتباع أهل البيت عليهم السلام في العراق.

وتشير بعض الروايات أنه من اللاجئين السياسيين في أوربا، ولدى تواجده هناك أحبك الغرب أمره، ورجّح أن يكون ممثله في منطقة الشرق الأوسط، واختار له الوسط الساخن المتاخم لإسرائيل والأراضي المحتلة.

فقد أورد الشيخ الطوسي الرواية النادرة الآتية:

«يقبل السفياني من بلاد الروم متنصراً، في عنقه صليب، وهو صاحب القوم!!»(١)

وهذا يدلّ على أنه نشأ في أوربا، وخضع إلى فبركة مبرمجة فعاد صاحب القوم وعميلهم في الشرق الوسط، وسُخّر بمهمته في الشام لموقعها الاستراتيجي، وهو رجل الغرب في الولاء وأنه «يستولي على كور الشام الخمس.»(٢)

وفتنة فلسطين على أشدّها، والانقسام بين الحاكمين العرب في ذروته.

«لذلك يبادر الغربيون أو اليهود إلى اختيار زعيم قوي يستطيع أن يخضع المنطقة المحيطة، ويقوم بتقوية خط الدفاع عن إسرائيل والغرب، ويطلقون يده في غزو العراق واحتلاله من أجل إيقاف الخطر عليهم، كما يطلقون يده في إسناد حكومة الحجاز الضعيفة، والقضاء على الحركة الأصولية الجديدة: حركة الإمام المهدي عليه السلام في مكة المكرمة.»(٣)

ويكون للسفياني في معركة قرقيسيا دور كبير وحرب طاحنة ينتصر بها على الأطراف المتنازعة، ويُقتل بها مائة ألف رجل من الجبارين..

---

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٢٧٨.

(٢) ظ: المجلسي/ بحار النوار ٢٤٨/٥.

(٣) علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٨٦.

وعدة آلاف من الأتباع.[١]

وقد سبق ذكر هذه المعركة في الظواهر العسكرية.

وحين انتصاره في قرقيسيا يوجه جيشه نحو العراق، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«ثم لا يكون همّه الّا إلاقبال نحو العراق... ويبعث السفياني جيشاً إلى الكوفة وعدتهم سبعون الف رجل، فيصيبون من أهل الكوفة قتلاً وصلباً وسبياً.»[٢]

وتشير الروايات إلى جرائم السفياني لدى دخوله العراق بل الكوفة بالذات، فيرتكب فيها المجازر الرهيبة، والأعمال الفظيعة، ويتعقب آثار أولياء أهل البيت لأخذ ثاره، فيتتبعهم تحت كل حجر ومدّر، ويظهر من ذلك أنه ناصبيٌّ يكيد العداء لأهل البيت وأتباعهم، فعن الإمام الصادق عليه السلام:

«كأني بالسفياني (أو صاحب السفياني)قد طرح رحله في رحبتكم بالكوفة، فنادى مناديه:

«من جاء برأس من شيعة عليّ فله ألف درهم!!

فيثب الجار على جاره، ويقول هذا منهم، فيضرب عنقه، ويأخذ ألف درهم.»[٣]

وفي مخطوطة ابن حمّاد: «وتقبل خيل السفياني كالليل والسيل فلا تمرّ بشيء إلا أهلكته وهدمته، حتى يدخلون الكوفة فيقتلون شيعة آل محمد.»[٤]

---

(١) ظ: المفيد/ الاختصاص/ ٢٥٥.

(٢) المصدر نفسه /٢٥٥ + البحار ٢٣٧/٥٢.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ٢١٥/٥٢.

(٤) ظ: علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٩٦ وانظر مصدره.

وتشير جملة من الروايات إلى أماكن تواجد جيش السفياني في العراق، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«ويبعث مائة وثلاثين ألفاً إلى الكوفة، وينزلون الروحاء والفاروق (والمراد بالكوفة هنا العراق) فيسير منهم ستون ألفاً حتى ينزلوا الكوفة.»(١)

وفي هذه الأثناء تتوالى الأنباء بظهور الإمام المهدي عليه السلام في مكة، فيرسل السفياني من جيشه هذا بعثاً إلى الحجاز لمناهضة حركة الظهور.

وبينما السفياني في الكوفة إذ أقبلت ـ كما عن الإمام الباقر:

«رايات سود من قبل خراسان تطوي المنازل طياً حثيثاً، ومعهم نفر من أصحاب القائم».(٢)

ويحدد ابن حمّاد شيخ البخاري أعداد القتلى، ومدة بقاء جيش السفياني في الكوفة، وإقبال الرايات السود، فيقول بروايته:

يدخل السفياني (أو قائد قواته) الكوفة فيسبيها ثلاثة أيام، ويقتل من أهلها ستين ألفاً، ثم يمكث فيها ثماني عشرة ليلة، وتقبل الرايات السود حتى تنزل على الماء، فيبلغ من بالكوفة من أصحاب السفياني نزولهم فيهربون.

ويخرج قوم من السواد بالكوفة ليس معهم سلاح إلا قليل منهم... فيدركون أصحاب السفياني فيستنقذون ما في أيديهم من سبي الكوفة، وتبعث الرايات السود بالبيعة إلى المهدي.»(٣)

وتستقر الحال بالكوفة نسبيّاً بعد دخول الرايات السود، ويتوجه أصحاب السفياني إلى الحجاز، فيدخلون المدينة المنوّرة في هجوم

---

(١) المجلسي/ بحار النوار ٢٧٣/٥٢.

(٢) المصدر نفسه ٢٣٨/٥٢.

(٣) ظ: علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٩٧ عن ابن حمّاد.

كاسح، وهم يتعقبون الإمام المهدي عليه السلام، فيخرج المهدي عليه السلام إلى مكة المكرمة على سنة موسى عليه السلام خائفاً يترقب كما تقول الرواية الآتية:

وأمّا أهل المدينة فيهربون منها بين يدي جيش السفياني.[١]

وتبدأ جرائم أصحاب السفياني بالفتك بآل محمد في المدينة المنورة، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«... ويبعث (السفياني) بعثاً إلى المدينة فيقتل بها رجلاً!! ويهرب المهدي والمنصور منها، ويؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم، لا يُترك منهم أحد إلاّ أخذ وحبس، ويخرج الجيش في طلب الرجلين، ويخرج المهدي منها على سنة موسى خائفاً يترقب حتى يقدم مكة.»[٢]

ويبدو أن المنصور الذي يخرج مع المهدي عليه السلام هو:

النفس الزكية محمد، وهو من أصحاب المهدي المبرزين والمنتجبين، وهو الذي يرسله إلى المسجد الحرام ليبلغ رسالته فيقتلونه، ويحتمل غيره.[٣]

ثم تكون مهمة جيش السفياني إدراك الإمام المهدي وشل حركته في الأقل، بل القضاء عليه، فيُبعث الجيش إلى مكة في ملاحقة الإمام المهدي عليه السلام، فيخسف به في البيداء.

وروايات الخسف بالبيداء كثيرة عند الفريقين، حتى بلغت حد التواتر المعنوي لشهرتها واستفاضتها، فعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يعود عائذ بالبيت (الإمام المهدي) فيبعث إليه جيش، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسِف بهم...»[٤]

---

(١) ظ: الحاكم النيسابوري/ المستدرك على الصحيحين ٤٤٢/٤.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٢٢٢/٥٢.

(٣) ظ: علي الكوراني/ عصر الظهور/ ١٠٢.

(٤) الحاكم النيسابوري/ المستدرك ٤٢٩/٤ + البحار ١٨٦/٥٢.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال عن السفياني:

«.... يخرج بالشام، فينقاد له أهل الشام إلاّ طوائف مقيمين على الحق، يعصمهم الله من الخروج معه، ويأتي المدينة بجيش جرار، حتى إذا انتهى إلى بيداء المدينة خسف الله به، وذلك قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾[1]»

ولنا عودة إلى أجزاء أخرى من الموضوع تأتي في موقعها من البحث.

ومهما يكن من أمر، فإن شوكة السفياني ستنكسر بعد هزيمته في العراق أولاً، وبعد الخسف بجيشه بالبيداء، ويبدأ أمره بالتسافل والانتكاس، إذ يتتبع الإمام المهدي أطراف جيشه في المدينة المنوّرة، ويتعقب أصحابه المتبقين في العراق، وتكون المعركة الفاصلة معه في القدس كما سيأتي.

---

(١) سورة سبأ/ ٥١.

اليماني

يحتل اليماني أهمية خاصة في روايات الظهور، فرايته أهدى الرايات، ومسيرته هي المثلى، وهو يدعو إلى صاحب الأمر، وهو قد يتلقى الأوامر مباشرة من الإمام المهدي عليه السلام، لا يحلّ لمسلم أن يلتوي عليه، ومن التوى عليه فهو من أهل النار، لأنه يدعو إلى الحق، وهو من الممهدين الرئيسيين لظهور الإمام عليه السلام، وهو قائد ثورة كبرى في اليمن، يظهر مباركاً زكياً، فيكشف بنوره الظلماء، ويظهر به الحق بعد الخفاء، وهو يتولى علياً أمير المؤمنين عليه السلام، وهو بهذا كله من الصفوة المختارة عند الإمامية.

هذه المميزات الفريدة لليماني على ألسن الروايات، توحي بدور كبير مهم ينتظره في حركة الظهور المبارك.

فمن هو اليماني؟ ومن أين يبدأ، وما هو الدور الذي يضطلع به؟

اليماني في الروايات اسمه حسين أو حسن، والأشهر أنه حسين.

«يخرج من اليمن من قرية يقال لها: كرعة.»[1]

ولا مانع أن يبدأ اليماني تحركه من قرية (كرعة) وهي قرب (صعدة)

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٨٠/٥٢.

أو من أعمالها وتابعة لها، ثم يتولى قيادة اليمن كلها.

وفي رواية أخرى تصفه بالملك وتذكر اسمه وخروجه، وتبارك ظهوره على النحو الآتي:

«ثم يخرج ملك من صنعاء، اسمه حسين أو حسن، فيذهب بخروجه عمر الفتن، يظهر مباركاً زكيّاً، فيكشف بنوره الظلماء، ويظهر به الحق بعد الخفاء.»(١)

ويبدو أن خروجه مقترن بخروج السفياني والخراساني، وهم يتسابقون ـ كل من موقعه ـ على القيادة والحرب، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنه قال:

«خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً فيكون الباس من كل وجه، ويل لمن ناواهم.

وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني، هي راية حق، لأنه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليماني حرّم بيع السلاح على الناس، وإذا خرج اليماني فانهض إليه، فإن رايته راية هدى، ولا يحلّ لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لأنه يدعو إلى الحق والى طريق مستقيم.»(٢)

وفي الرواية دلالات أساسية أعرض أبرزها:

الأولى: أن خروج اليماني والخراساني والسفياني متزامن في الوقت في اليوم والشهر والسنة، فإذا علمنا أن خروج السفياني كما سبق بيانه يخرج في رجب سنة الظهور يكون خروج اليماني والخراساني معاً هو شهر رجب من سنة الظهور، وبينهم جميعاً وبين خروج صاحب الزمان

---

(١) بشارة الاسلام/ ١٨٧.

(٢) علي الكوراني/ معجم أحاديث الإمام المهدي ٣/٢٥٣ وانظر مصادره.

صلوات الله عليه ستة أو سبعة أشهر، لأن قيامه المبارك يكون في العاشر من المحرم كما مرّ وكما سيأتي تفصيله في محله.

الثانية: أن راية اليماني هي أهدى الرايات، لأنه يدعو إلى صاحب الزمان عليه السلام دعوة صادقة، وبأيمانٍ قطعي.

الثالثة: أن اليماني يحرّم بيع السلاح في اليمن، وهي ظاهرة نقطع معها بصحة الرواية، إذ أن بيع السلاح محرّم دوليّاً بين الشعوب فهو شأن الدول والحكومات، لا الأفراد.

أما في اليمن وحدها دون العالم والى اليوم، فإن السلاح يباع في الأسواق والمحلات علناً وبكل حريّة، كأية سلعة تجارية أو استهلاكية، ولا حظر عليه.

الرابعة: أن الرواية تندب المؤمنين للالتحاق باليماني، وتمنع من الالتواء عليه، وتحرّم التخلف عنه، ومن فعل ذلك فهو من أهل النار.

الخامسة: أن العلّة في الحثّ على النهوض معه تكمن وراء دعوته الصادقة إلى الحق والى الصراط المستقيم.

ويبدو أن اليماني والسفياني يتسابقان ويتباريان في التحرك والقيادة، والإمساك بزمام المبادرة، ويؤيده أن الرواية تنص أن «اليماني والسفياني كفرسي رهان.»[1]

وهنالك تأكيد بالغ في الأحاديث على شخصية اليماني الفذّة، وعلى هدي رايته المنتصرة، وعلى ضرورة الالتحاق به فوراً، وهذا ما يوحي بعدة دلالات:

الأولى: أن اليماني خشن في ذات الله تعالى، يؤدي رسالته كالحديدة المحماة، لا تأخذه في الله لومة لائم.

---

(١) المجلسي/ البحار ٧٥/٥٢ وانظر مصادره.

الثانية: أن اليماني بتركيبه الايماني نموذج خاص في الإخبات والخضوع لله عَزَّوَجَلَّ، وهو يتحرك في ضوء تكليفه الشرعي، بعيداً عن المؤثرات الخارجية، عازفاً عن المظاهر الدنيوية في الشهرة وحب الجاه والرئاسة.

الثالثة: أن لليماني قيادة عسكرية حازمة لا تهادن، ولا تساوم، ولا تتساهل، وهي بهذا شديدة الوقع على الطغاة، إذ تمثل قيادة الإسلام الأولى في الحزم والحسم.

الرابعة: أن اليماني ـ بتوفيق من الله تعالى ـ يحظى بالتوجيه المباشر من صاحب الأمر، ويتلقى التعليمات منه أولاً بأول، وينفذ أوامره جملة وتفصيلاً، وفي هذا الضوء تكون إدارته لثورته في اليمن وما والاها، وتكون مسيرته تبعاً للإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الخطوات كافة، لاسيما أن حركته متقاربة مع حركة الظهور المبارك، ويؤيد هذا الملحظ كون الحجاز قريباً من اليمن جغرافياً، فلا يتعسر على اليماني الالتقاء بالمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهذا ما يميل إليه الأستاذ علي الكوراني بقوله:

«لكن المرجح عندي أن يكون السبب الأساسي في أن ثورة اليماني أهدى: أنها تحظى بشرف التوجيه المباشر من الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتكون جزءاً مباشراً من خطة حركته عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن اليماني يتشرف بلقائه عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويأخذ توجيهه منه...»(١)

ولا تتحدث الروايات عن كيفية استيلاء اليماني على الحكم، ولا تذكر أحداث قيادته للدولة، وفي أغلب الظن أن ذلك يكون عن طريق الإنقلاب العسكري الصاعق، فيتسلّم من خلال ذلك السلطة.

---

(١) علي الكوراني/ عصر الظهور/ ١١٧.

وهكذا نجد لليماني في روايات الظهور وأحاديثه كياناً متميزاً خاصاً يكشف عن أهميته وعظيم إنجازاته.

النفس الزكية

من العلامات الحتمية في الظهور المبارك قتل النفس الزكية.

والنفس الزكية في لسان الروايات تشمل حسنياً يقتل في النجف الأشرف في سبعين من الصالحين، وهو ما أورده الشيخ المفيد بقوله:

«وقتل نفسٍ زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين، وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام.»(١)

فهناك نفس زكية تقتل في الظهر وهو النجف، وهو موضوع غامض التشخيص، قد ينطبق على كثيرين، ربما وقع وربما سيقع، كما يشمل حسنياً يتحرك ضد السفياني، وهو المشار إليه بعبارة «وتحرك الحسني» في الروايات، فإنه يقاوم السفياني، ويُقتل، وهو ذو نفس زكية، وأصحابه من الصالحين كما نص على ذلك الشيخ المفيد.(٢)

إلا أن المراد في النفس الزكية مجردة عن أي صفة هو ذلك الهاشمي الذي يذبح بين الركن والمقام في البيت الحرام، وهو رسول الإمام المهدي صاحب الزمان عليه السلام - أول الظهور - إلى أهل مكة،

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٥.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٥.

يبلغهم رسالة شفوية عنه، وحينما يبلّغ تلك الرسالة في الحرم، يهج عليه الحجازيون، وقد يراد بهم حكام الحجاز، أو مسؤولو أمن الحرم، فيذبحونه بين الركن والمقام بلا ذنب إلا أنه بلّغ رسالة وليّ الله، وبغض النظر عن أهمية شخصية هذا الرسول، فإن من يقتل بغير جريرة تستوجب القتل فنفسه زكية، قال تعالى ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾[١]

أي نفساً بريئة من العيوب والذنوب فهي مزكاة.

وكيفية إرسال هذا الرسول الكريم يكون من المدينة المنورة من قبل الإمام المهدي، بما يقرره الإمام محمد الباقر عليه السلام برواية أبي بصير عنه. يقول القائم لأصحابه:

«يا قوم إن أهل مكة لا يريدونني، ولكني مرسلٌ إليهم لأحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم.

فيدعو رجلاً من أصحابه، فيقول له: إمضِ إلى أهل مكة، فقل:

«يا أهل مكة أنا رسول فلان إليكم (يعني نفسه عليه السلام)وهو يقول لكم: إنّا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسلالة النبيين.

وإنّا قد ظُلمنا واُضطهدنا وقُهرنا، وابتُز منا حقنا منذ قُبِضَ نبينا إلى يومنا هذا، فنحن نستنصركم وفانصرونا.

فإذا تكلم الفتى بهذا الكلام، أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية.»[٢]

ويكون قتل هذا الفتى الجريء المجاهد حقاً، إرهاصاً متقارباً جداً مع الظهور العلني، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«وليس بين قيام قائم آل محمد وبين قتل النفس الزكية إلاّ خمس

---

(١) سورة الكهف/ ٧٤.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٠٧/٥٢.

عشرة ليلة.»[١]

ويبدو أن توقيت الظهور بعد قتل النفس الزكية بخمس عشرة ليلة، مما تواضعت عليه الروايات، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام:

«... وقتل غلام من آل محمد بين الركن والمقام، اسمه محمد بن الحسن: النفس الزكية... فعند ذلك خروج قائمنا.»[٢]

وقد أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بملاحمه جازماً بتوقيت الظهور المبارك، قال: «قتل نفس حرام، في بلد حرام، عن قوم من قريش، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة مالهم ملك بعده غير خمس عشرة ليلة.

قلنا: هل قبل هذا من شيء أو بعده؟

فقال: صيحة في شهر رمضان، تفزع اليقظان، وتوقظ النائم، وتخرج الفتاة من خدرها.»[٣]

وعبارة (عن قوم من قريش) قد تعني: عن أمر قوم من قريش.

فيستقيم المعنى، وهو مطرّد في كلام العرب في حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

ويبدو أن هذه العلامة هي أقرب العلامات لظهور الحجة عليه السلام وقيامه، فهو محدد بخمس عشرة ليلة، وقد عُلل ذلك بغضب من السماء وغضب في الأرض على القوم، كما ورد ذلك بالرواية عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن المهدي لا يخرج حتى تُقتل النفس الزكية، فإذا قُتلت النفس الزكية، غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض، فأتى الناس المهديّ، فزفّوه كما تزفّ العروس إلى زوجها ليلة عرسها، وهو يملأ

---

(١) المصدر نفسه ٥٢/٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه ٥٢/١٩٢.

(٣) المجلسي/ بحار النوار ٥٢/٢٣٤ وانظر مصدره.

الأرض قسطاً وعدلاً، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء مطرها، وتنعم أمتي في ولايته نعمة لم تنعمها قط...»[١]

يقول الأستاذ علي الكوراني تعقيباً على مجريات هذا الحدث:

«ولكنه ـ يعني الشاب رسول الإمام ـ ما إن يقف في الحرم بعد الصلاة، ويقرأ عليهم رسالة الإمام المهدي عليه السلام، حتى يثبوا إليه ويقتلوه بوحشية داخل المسجد الحرام بين الركن والمقام، ويكون لشهادته المفجعة أثر في الأرض وفي السماء.

تكون هذه الحادثة حركة اختبارية ذات فوائد متعددة، فهي تكشف للمسلمين وحشية سلطة الحجاز، ومن ورائها القوى الكافرة، وتمهّد بظلامتها وتأثيرها لحركة المهدي عليه السلام، التي لا تتأخر أكثر من أسبوعين، كما أنها تبعث الندم والتراخي في أجهزة السلطة بسبب هذا الإقدام الوحشي السريع...»[٢]

وتكون هذه المأساة بداية للظهور المقدس العلني على وجه السرعة، وحديث النفس الزكية يطغى على محافل القوم، ونبأ استعداد المهدي للظهور يصك أسماعهم، ويملأ قلوبهم بالهواجس، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام:

«فإذا بلغ ذلك الإمام (يعني صاحب الزمان) قال لأصحابه: أما أخبرتكم أن أهل مكة لا يريدوننا؟

فلا يدعونه حتى يخرج، فيهبط من عقبة طوى في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر، حتى يأتي المسجد الحرام، فيصلي عند مقام ابراهيم أربع ركعات، ويسند ظهره إلى الحجر الأسود، ثم يحمد الله ويثني عليه، ويذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويصلي عليه، ويتكلم بكلام لم يتكلم به

(١) ظ: علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٢١٧ عن ابن حماد/ الفتن/ ٩٣.

(٢) علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٢١٦.

أحد من الناس.»[1]

وسترى في بداية الظهور المبارك أن الإمام المهدي عليه السلام وأصحابه يتجمعون بعدتهم خارج الحرم، ويدخلون المسجد الحرام فرادى، بحيث لا يشعر بهم أحد.

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٠٧/٥٢ وانظر مصدره.

الخراساني

هنالك راية هدى تخرج من خراسان، كما تنص على ذلك الأحاديث، وقد يطلق خراسان ويراد بها إيران، أمّا ولاية خراسان فاسم لأجزاء كبيرة من إيران والأفغان، وخراسان تعني بلاد المشرق في لغة الرواة، وقد يراد بها قصبة خراسان وأطرافها.

والذي يظهر من الروايات أن الرايات السود تخرج من خراسان، بل ومن المشرق بالذات، كما عن رسول الله ﷺ:

«.. سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً، حتى ترفع رايات سود من المشرق، فيسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فيُنصرون، فمن أدركهم منكم أو من أعقابكم، فليأت إمام أهل بيتي، ولو حبواً على الثلج فإنها رايات هدى.. يدفعونها إلى رجل من أهل بيتي....»[1]

ولا علاقة لهذه الرايات برايات أبي مسلم الخراساني، فتلك رايات ضلال أرست دعائم دولة ظالمة، كانت قد خرجت في أول الزمان، ورايات الهدى تخرج آخر الزمان.

قال ابن كثير تعقيباً على حديث الرايات:

«هذه الرايات السود ليست هي التي أقبل بها أبو مسلم الخراساني

(١) الحاكم النيسابوري/ المستدرك على الصحيحين ٤/٤٦٤.

فاستلب دولة بني أمية، بل رايات سود أخرى تأتي صحبة المهدي.»[١]

وتتحرك هذه الرايات لدى سماعها بنبأ ظهور الإمام المهدي عليه السلام من إيران إلى الكوفة الغراء، وعلى رأسها قائد كبير يسمى: شعيب بن صالح، فإذا وصلت الكوفة بعثت للإمام المهدي عليه السلام بالبيعة، وذلك عند تواتر أخبار ظهوره.

فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة، فإذا ظهر المهدي بمكة بعثت إليه بالبيعة.»[٢]

وهناك حثّ في الروايات على الالتحاق بهذه الرايات.

فعن أبي الطفيل، قال: إن علياً عليه السلام قال لي:

«إذا سمعت الرايات السود مقبلة من خراسان، فكنت في صندوق مقفل عليك، فأكسر ذلك القفل وذلك الصندوق حتى تقتل تحتها، فإن لم تستطع فتدحرج.»[٣]

ويبدو أن قوات الخراساني هذا تتمركز في الحدود العراقية الإيرانية، ويبدو آنذاك أن النظام العراقي الحاكم ضعيفاً مهزوزاً بحيث لا يستطيع حفظ حدوده، فالسفياني يدخل من الغرب عليه، والخراساني يدخل إليه من المشرق، ويرتكب السفياني جرائمه في الكوفة قتلاً وسبياً، ويغادر الكوفة جيشه بالسبايا والأسرى، فيلاحقه جيش الخراساني من جهة، وأتباع آل محمد من جهة أخرى، وينتصر الخراساني حينئذٍ بقائده شعيب بن صالح «فيلتقي هو وخيل السفياني فيهزمهم..»[٤]

---

(١) السيوطي/ العرف الوردي في أحوال المهدي/ ٦٠ + فيض القدير ٤٦٦/١.

(٢) ابن طاووس/ الملاحم والفتن/ باب ١٠٤ + المجلسي/ البحار ٢١٧/٥٢.

(٣) المتقي الهندي/ كنز العمّال ٦٨/٦.

(٤) المتقي الهندي/ البرهان/ ٦٧٣.

وقد يُعبّر عن الخراساني في بعض الروايات بالهاشمي أو آنه من بني هاشم، وهذا يعني انتساب الخراساني لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام:

«يخرج شاب من بني هاشم، بكفه اليمنى خال، ويأتي برايات سود بين يديه: شعيب بن صالح، يقاتل أصحاب السفياني فيهزمهم.»(١)

ومصادر الدرجة الأولى كالإرشاد للمفيد، وغيبة الطوسي، وغيبة النعماني، فكلها تعبّر عنه بالخراساني، ولا تنص أنه هاشمي، ولا تذكر أنه حسني أو حسيني، بل تذكر قيادته لإيران، وأن على رأس جيشه وقيادته شعيباً بن صالح، وأنهما ـ الخراساني وشعيب ـ يمهّدان للمهدي بدولة تكون قبل ظهوره عليه السلام بست سنوات، كما تنص على ذلك رواية ابن حمّاد فيما أخرجه:

«يكون بين خروجه ـ أي شعيب أو الخراساني ـ وبين أن يسلّم الأمر للمهدي اثنان وسبعون شهراً.»(٢)

ويبدو أن هذه الدولة الممهدة للإمام عليه السلام، يتاح لها برجل من أهل البيت له خصائصه التي تحددها هذه الرواية.

«... أتاح الله برجل منا أهل البيت، يشير بالتقى، ويعمل بالهدى، ولا يأخذ بحكمه الرشا، واللهِ أني لأعرفه باسمه، واسم أبيه، ثم يأتينا... الحافظ لما استودع، يملؤها عدلاً وقسطاً.»(٣)

يقول الأستاذ علي الكوراني دام مجده:

«والسؤال الأخير عن الخراساني: هل يكون مرجع تقليد؟ أم يكون قائداً سياسياً إلى جانب المرجع كرئيس الجمهورية مثلاً؟

---

(١) ابن طاووس/ الملاحم والفتن/ باب /٧٧.

(٢) الكوراني/ عصر الظهور/ ١٨٣ عن ابن حمّاد/ الملاحم والفتن/ ٨٤.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٦٩/٥٢.

فالذي يبدو من أحاديثه أنه القائد الأعلى لدولة أهل المشرق، ولكن يبقى احتمال أن يكون قائداً سياسياً بأمرة المرجع والقائد الأعلى أمراً وارداً، والله العالم.»[١]

ومهما يكن من أمر، فإن الروايات ترجح كفة اليماني على الخراساني.

(١) علي الكوراني/ عصر الظهور/ ١٨٤.

الشيصباني

الشيصباني شخصية مبهمة الهوية يكتنفها الغموض لدى استعراض أحداث الظهور، ويبدو أنه أحدّ الحكّام الطغاة في العراق، ممن يقفزون إلى السلطة قفزاً دون سابقة، يخرج قبل السفياني، ويليه السفياني في توقّع ظهوره، ومن خروج القائم المنتظر في تسلسل تاريخي.

فعن جابر بن يزيد الجعفي قال: سألت أبا جعفر (يعني الإمام محمد الباقر عليه السلام)عن السفياني، فقال:

«وأنى لكم بالسفياني حتى يخرج قبله الشيصباني، يخرج بأرض كوفان، ينبع كما ينبع الماء، فيقتل وفدكم، فتوقعوا بعد ذلك السفياني، وخروج القائم عليه السلام.»[1]

والشيصباني: نسبة إلى الشيطان، فشيصبان من اسماء الشيطان.

ومع إبهام اسمه بهذه النسبة الغريبة، فهو يُذكر بها وحدها دون الاسم، والنسبة هذه باقترانها بتسمية الشيطان تدل على أنه من شرار الخلق والجبابرة.

وقد حدد خروجه بأرض كوفان، والظاهر أن المراد بذلك هو العراق،

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٣٤/٥٢.

من باب تسمية الكل باسم الجزء وهو جارٍ في كلام العرب.

ووصف خروجه في الرواية بأنه (ينبع كما ينبع الماء) أي يكون خروجه فجائياً وليس طبيعياً، والماء قد ينبع في مكان ما دون مقدمات، وقد يتفجر فوراً دون حسبان لذلك، وهكذا الشيصباني.

وأفاد باحث معاصر أن التعبير هذا «مشعرٌ بفساد أصل الشيصباني، أي أنه متولدٌ عن سفاح.»(١)

واستدل على ذلك بما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، وهو رجل يظهر في العراق تنطبق مواصفاته على الشيصباني، وفيه تصريح بفساد أصله، ويصفه أمير المؤمنين بأنه:

«رثّ الدين، لا خلاق له، مهجّن، زنيم، عتل، تداولته أيدي العواهر من الأمهات، من شر نسل.»(٢)

والرواية تقول عنه بأنه «يقتل وفدكم» ووفد القوم هم الملأ من أشرافه ووجهائه وذوي الرأي والإدراك، فهم عليّة القوم ممن يتصدرون الأمر العام، والمراد بذلك أنه سفّاك للدماء، مولع بقتل الأشراف، وإذا قتل المبرزين من الوجوه، فمن باب أولى أن يستهين بدماء الآخرين.

يقول الأستاذ علي الكوراني:

«ويحتمل أن ينطبق الشيصباني على صدام حسين، لأنه مستجمع للصفات المذكورة، فإن ظهر بعده السفياني في الشام، يكون هو شيصباني العراق الموعود.»(٣)

---

(١) حسن النجفي/ علائم الظهور في المستقبل المنظور/ ١٨٤.

(٢) النعماني/ الغيبة/ ٧٤.

(٣) علي الكوراني/ عصر الظهور/ ١٣٣.

الحسني

تتحدث الروايات عن شخصية أخرى تستبق الظهور المبارك، هذه الشخصية هي الحسني فحسب.

وقد ذكر الحسني بعدة روايات، منها ما يتحدث عن قتله كما في علامات الشيخ المفيد «خروج السفياني، وقتل الحسني»[١]

ويبدو من هذه الرواية الإجمال، إلا أن النصّ على قتله باعتباره من علائم الظهور يوحي بأنه قائد حركة ما، لها أهمية خاصة، كأن يكون أحد القياديين الذين يتصدرون حدثاً كبيراً في مجاهدة الطغاة، ولكنه يفشل، ولا يكتب له النصر في ذلك فيقتل.

وفي بعض الروايات عند الطوسي: أن الحسني زعيم عسكري يخرج من الحجاز لدى الظهور المبارك، ويتوجه نحو العراق، ويدّعي أنه هو المهدي المنتظر، ثم يتنازل عن ذلك، ويقرّ بالإمام المهدي فيسلم له الأمر ويبايعه هو وجيشه، وقد أورد الطوسي في هذا المعنى رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«كأني بالحسني والحسيني قد قاداها، فيسلمها إلى الحسيني،

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٣.

فيبايعونه.»[١]

ولدى دخول الإمام المهدي إلى الكوفة الغراء، تقول رواية:

«يلحقه الحسني في إثني عشر ألفاً، فيقول له: أنا أحقّ بهذا الأمر منك، فيقول له: هات علامات دالة!!

فيومي (الإمام المهدي عليه السلام)إلى الطير فيسقط على كتفه، ويغرس القضيب بيده فيخضّر ويعشوشب، فيسلّم إليه الحسني الجيش، ويكون الحسني على مقدمته.»[٢]

وإذا صحّت هذه الرواية فإنها تدلّ على احتمالين:

الأول: أن الحسني حينما ظهرت له دلائل الإمامة عند الإمام المهدي عليه السلام سلّم له الأمر لدى اهتدائه بالحق.

الثاني: أن ادّعاء الحسني بأحقيته في الأمر كان تكتيكياً من قبله، ليظهر به مقام المهدي بين يدي جيوشه، ويسلّم له الأمر.

وفي رواية أخرى تؤدي المعنى نفسه، ولكنها تختلف في المكان:

تقول الرواية: «وتسيّر الجيوش (جيوش الإمام المهدي)حتى تصير بوادي القرى في هدوء ورفق، ويلحقه هناك ابن عمه الحسني في إثني عشر ألف فارس، فيقول:

يا ابن العم: أنا أحقّ بهذا الجيش منك، وأنا ابن الحسن وأنا المهدي!! فيقول المهدي عليه السلام: بل أنا المهدي.

فيقول الحسني: هل لك من آية فنبايعك؟

فيومئ المهدي عليه السلام إلى الطير فتسقط على يده!!

ويغرس قضيباً في الأرض فيخضر ويورق، فيقول له الحسني: يا ابن عم: هي لك، ويسلّم إليه جيشه، ويكون على مقدمته، واسمه على

---

(١) الطوسي/ الغيبة.

(٢) ابن طاووس/ الملاحم والفتن/ ١٤٥.

اسمه.»[١]

وقريبٌ منه بإفاضات دلائلية أخرى ما ورد في خطبة البيان:

«فيلحقه رجل من أولاد الحسن في إثني عشر ألف فارس، فيقول: يا ابن‌عم: أنا أحق منك (فيقيم الإمام المهدي الحجج والبراهين، فيذعن له الحسني قائلاً): الأمر لك، فيسلّم وتسلّم الجيوش.»[٢]

هذا ملخص حديث الحسني.

---

(١) السلمي الشافعي/ عقد الدرر/ ٩٠.

(٢) الحائري/ إلزام الناصب/ ١٧٨.

عوف السلمي

تتحدث الروايات عن رجل يخرج في الجزيرة بين الموصل والشام، ويبدو أنه أحد القادة المتمردين على الحكم، وأنه متنقل الإقامة، ولكنه يأوي إلى تكريت.

فعن حذلم بن بشير، قال:

قلت لعلي بن الحسين عليه السلام (يعني زين العابدين):

صفْ لي خروج المهدي، وعرفني دلائله وعلاماته!!

قال الإمام زين العابدين عليه السلام:

«يكون قبل خروجه خروج رجل يقال له: عوف السلمي، بأرض الجزيرة، ويكون مأواه تكريت، وقتله بمسجد دمشق.

ثم يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند.

ثم يخرج السفياني الملعون من وادي اليابس، وهو من ولد عتبة ابن أبي سفيان، فإذا ظهر اختفى المهدي، ثم يخرج بعد ذلك.»[1]

ومع افتراض صحة هذه الرواية، فإن خروج عوف السلمي قبل خروج الخراساني، وخروج السفياني قبل خروج صاحب الأمر، ثم خروج

---

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٢٧٠ + الراوندي/ الخرائج والجرائح ٣/ ١١٥٥ + البحار ٥٢/ ٢١٣.

صاحب الزمان.

أما نوعية حركته وحقيقتها لدى خروجه فمجهولة الأبعاد، وأمّا نقطة انطلاقه فهي الجزيرة الممتدة بين نهري دجلة والفرات عند الحدود السورية العراقية مما يلي الموصل.

ويكون مأواه في تكريت ملجأً له، ومقرّاً لقيادته لدى الحركة أو بعد فشلها، ومن ثم يهرب إلى دمشق ويقتل في مسجدها.

وليس من الضروري أن يكون هذا الاسم اسمه الحقيقي، فقد يكون اسماً حركياً كما هي الحال اليوم، وقد يكون اسماً رمزياً.

ولم أعثر فيما بين يديّ من الروايات على شيء من أمره أكثر مما ذكرت، مما يجعله شخصية مبهمة غامضة الحركة.

أمّا فلسفة فراره من العراق إلى سوريا، فيعزى في أغلب الظن إلى فشل حركته، وهروبه من الجرائر التي تتعلق به وراءها.

ويرى باحث معاصر: أن خروج هذا الرجل التكريتي - فيما يرى - من العراق إلى سوريا هو لغرض الفرار من خطر يتهدده، كما لو كان مطلوباً أو مطارداً من قبل حاكم العراق آنذاك، ولسبب من الأسباب: كالتمرد على النظام أو ما أشبه.

ويظهر من الحديث أيضاً: أن السلمي سوف يتم اغتياله في دمشق بينما يكون ثاوياً في مسجدها، ولعل هذا الاغتيال تكون له بواعث سياسية أو أمنية، إذ ربما كان بقاؤه حياً في المنفى (سوريا) يثير المشاكل لبعض الجهات، وليس بالضرورة أن تكون تصفيته على أيدي النظام العراقي آنذاك، فمن المحتمل احتمالاً كبيراً أن تكون التصفية على أيدي منظمات أو جهات استخبارية دولية.(١)

---

(١) ظ: حسن النجفي/ علائم الظهور في المستقبل المنظور/ ١٨٦.

وهذا الاستنتاج جيد في حدّ ذاته، ولكنه يبقى في كل احتمالاته اجتهاداً في الموضوع قد يخطئ وقد يصيب.

عبد الله... ملكاً أو حاكماً

يبدو أن نظام الحكم في الحجاز قبيل الظهور المبارك يمنى بانتكاسات سياسية مروّعة، ينتج عنها انقسام قبلي دموي في صراع مرير على السلطة، حتى أن الحاكم السياسي في الحجاز يقدم على قتل خمسة عشر زعيماً من ذرية قائد أو رئيس أو ملك يشار إليه بالبنان.

فقد ورد عن البزنطي عن الإمام علي بن موسى الرضاعَلَيْهِالسَّلَامُ ما يشير إلى تلك العصبية القبلية ويصرح بوقوعها بين الحرمين، ويذكر ذلك القتل الشنيع، قال الإمام:

«إن من علامات الفرج حدثاً يكون بين الحرمين (مكة والمدينة).

قلت وأيٌّ شيء يكون الحدث؟

قال الإمام: عصبية تكون بين الحرمين، ويقتل فلان من ولد فلان خمسة عشر كبشاً.»[١]

ولعل في الرواية الصادرة عن أمير المؤمنينعَلَيْهِالسَّلَامُ، وهو يتحدث عن علامات الظهور، إشارة صريحة عن الصراع الدموي الدائر حول المسجد الحرام في مكة المكرمة، وفيه تلويح أن الرايات التي تخفق حوله ليس

---

(١) المجلسي/ بحار النوار ٢١٠/٥٢ وانظر مصدره.

فيها راية هدى، فالقاتل والمقتول في النار.

يقول أمير المؤمنين فيما روي عنه:

«ولذلك آيات وعلامات، أولهن إحصار الكوفة بالرصد والخندق، وخفق رايات حول المسجد الأكبر، القاتل والمقتول في النار.»(١)

وفي الروايات تعبير عن حكام الحجاز يومئذٍ بأنهم بنو فلان، ويبدو أن فلاناً هذا يكون معروفاً ومرموقاً، كأن يكون مؤسس ذلك الحكم في الحجاز، أو أنه من الشخصيات البارزة التي لها أثرها في حياة الحاكمين ورجال السلطة.

وتشير جملة من الروايات أن بني فلان ـ دون ذكر الاسم ـ آخر من يملك الحجاز قبل صاحب الأمر، إلا أنهم يختلفون اختلافاً شديداً فيما بينهم فيذهب ملكهم، وهذا الاختلاف يصاحب اختلاف أهل الشرق والغرب.

ويتحدث الإمام محمد الباقر عن هذه النقطة الرئيسية، فيقول:

«فلا يزالون ـ يعني حكّام الحجاز ـ في عنفوان الملك، وغضارة العيش حتى يختلفوا فيما بينهم، فإذا اختلفوا ذهب ملكهم، واختلف أهل الشرق وأهل الغرب، نعم، وأهل القبلة، ويلقى الناس جهداً شديداً مما يمرّ بهم من الخوف، فلا يزالون بتلك الحال حتى ينادي المنادي من السماء، فإذا نادى فالنفر النفر.»(٢)

والروايات متضافرة في التحدث عن الإنشقاق القبلي في الحجاز، وعن القتل وسفك الدماء ونهب الحاج، وإصابة القبائل بما يشبه الكَلَب في الهرج والمرج والإمعان في القتال حتى تسيل العقبة دماً.

ويبدو أن الفرج يكون بهلاك الفلاني، والمسمى ببعض الروايات

---

(١) المجلسي / بحار الأنوار ٢٧٣/٥٢.

(٢) المجلسي/ بحار النوار ٢٣٥/٥٢ + ٥٢/ ٢٣٤.

بـ(عبد الله)، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«الفرج كلّه عند هلاك الفلاني.»[١]

إن هلاك عبد الله حاكم الحجاز آنذاك يكون مقدمة لقيام صاحب الأمر، بل هو بشارة في قيامه كما عن الصادق «من يضمن موت عبد الله أضمن له القائم..»[٢]

ويبدو أن في موته انتكاسات الحكم في الحجاز، وذهاب ملك السنين وبداية العدّ التنازلي لحياة الحكم، ويكون ملك الشهور والأيام، وهو تعبير يراد به قصر مدة الحكم في تناوب الحكّام عليه.

فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

«إذا مات عبد الله لم يجتمع الناس بعده على أحد، ولم يتناهَ هذا الأمر دون صاحبكم إن شاء الله، ويذهب ملك السنين، ويصير ملك الشهور والأيام.

فقلت: يطول ذلك؟ قال: كلا.»[٣]

ويبدو للبحث أن عبد الله هذا هو المراد بالخبر الآتي، فعن الإمام جعفر الصادق أنه قال:

«بينا الناس وقوف بعرفات إذ أتاهم راكب على ناقة ذعلبة، يخبرهم بموت خليفة، عند موته فرج آل محمد وفرج الناس جميعاً.»[٤]

والذعلبة: هي السريعة، وقد يكون ذلك تعبراً عن إحدى وسائط النقل الحديثة.

ويبدو أن موت هذا الحاكم لا يعلن عنه لموانع سياسية أو إعلامية

---

(١) المجلسي/ بحار النوار ٢٣٥/٥٢ + ٥٢/ ٢٣٤.

(٢) الطوسي/ الغيبة/ ٢٧١.

(٣) الطوسي/ الغيبة/ ١٧١ + المجلسي/ بحار الأنوار ٢١٠/٥٢.

(٤) المجلسي/ بحار النوار ٢٣٥/٥٢.

أو أمنية، وقد يكون موته ذا أثر في تفاقم الأحداث واختلال التوازن، ويكون الذي يخبر عنه شخصية أخرى ذو دراية بالأمر، فيعلن عن موته في ظرف عصيب، وقد تتقاتل القبائل فيما بينها لدى سماع ذلك الذي تشير إليه الرواية:

«... إذ أخذهم كالكَلَب، فسارت القبائل إلى بعض فاقتتلوا حتى تسيل العقبة دماً.»[١]

وإذا صحّ هذا، فيكون الإخبار بموت هذا الحاكم أو الملك مدعاة القبيلة، ويترجح أن يكون هذا حاكم الحجاز آنذاك، وقد أفاض الناس من عرفات إلى منى، حتى إذا انتشر الخبر فيما بينهم، أخذهم الكَلَب في الصراع والقتال الدامي حتى تجري الدماء عند جمرة العقبة.

بعد هذا يكون فرج آل محمد وفرج الناس جميعاً.

وخلاصة القول: أن موت عبد الله الذي نرجح أن يكون آخر ملوك الحجاز، يحدث بعده الانشقاق الكبير عند الأسرة الحاكمة، فيقتل رئيسها أو ملكهم خمسة عشر رجلاً من ذوي التأثير المباشر في الأحداث، ثم يختلفون فيمن يتولى الحكم، فتضطرب الآراء، فيتناوب على الحكم أفراد تباعاً لا تطول مددهم، وإنما يتم تنصيب من يعزل بعد أيام معدودة وينتهي ملك السنين الطويلة.

هذا الصراع في الحجاز وهو منبع البترول ومصدر الطاقة لأوربا، يتسبب بأزمة عالمية في العلاقات الدولية، ويكون له تأثير مباشر في التقابل والتناحر بين الغرب والشرق.

وتنتهي هذه العوالم جميعاً، وتطوى تلك المشاهد الكئيبة، ويسدل عليها الستار إلى الأبد بالظهور المبارك إن شاء الله.

---

(١) ظ: علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٢٠٠ وانظر مصدره.

الباب الثاني

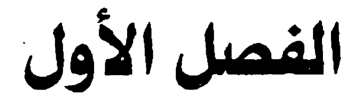
الظهور المبارك وقيام الدولة العالمية

الفصل الأول: الإمام المهدي في الحجاز.

الفصل الثاني: الإمام المهدي في العراق.

الفصل الثالث: الإمام المهدي في الشام.

الفصل الرابع: دولة الإسلام العالمية.



الفصل الأول

الإمام المهدي في الحجاز

الإمام المهدي في المدينة المنورة.

تجمّع القادة من أصحاب الإمام في مكة المكرمة.

إعلان الظهور المبارك من المسجد الحرام.

تحرير المدينة المنوّرة والسيطرة الكاملة على الحجاز.

طبيعة النصر الإلهي للإمام المهدي.

الإمام في المدينة المنورة

يبدو أن تواجد صاحب الأمر عجل الله فرجه الشريف في المدينة المنورة هو الأكثر إقامة، باعتبارها المركز الأول لقيادته في إدارة شؤون غيبية بعيدة عن الإدراك الاعتيادي، وذلك من خلال الغيبة الكبرى بعامة، وأن له فيها من الأصحاب من يأنس بهم في وحدته، وأنه يوجه جزءاً من الامور المهمة على أيديهم، والى هذا يشير الإمام الصادق عليه السلام، بقوله: لابد لصاحب هذا الامر من غيبة، ولابد له في غيبته من عزلة، ونعم المنزل طيبة، وما بثلاثين من وحشة.»[1]

وقد يكون هؤلاء الثلاثون هم الأبدال والأوتاد في دعاء النصف من رجب «اللهم صلِّ على الأبدال والأوتاد والسياح والعباد والمخلصين والزهّاد وأهل الجدّ والاجتهاد.»[2]

يقول الأستاذ علي الكوراني دام علاه:

«ومن المرجح أن يكون لهؤلاء الأولياء الثلاثين وأكثر، دور في الأعمال التي يقوم بها المهدي عليه السلام في غيبته، فقد دلّت الأخبار

---

(١) المجلسي/ بحار النوار ٥٢/١٥٧.

(٢) عباس القمي/ مفاتيح الجنان/ ١٤٥.

المتعددة على أنه يقوم بنشاط واسع، ويتحرك في البلاد المختلفة، ويدخل الدور والقصور، ويمشي في الأسواق، ويحضر الموسم كل عام، وأن سر غيبته لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة في أعمال الخضر إلا بعد أن كشفها لموسى عليه السلام.»(١)

ويبدو أن الخضر يلتقي الإمام المهدي عليه السلام، ويؤنس وحشته،

ففي الرواية: «وإنه ليحضر (الخضر) المواسم فيقضي جميع المناسك، ويقف في عرفة فيؤمّن على دعاء المؤمنين، وسيؤنس الله به وحشة قائمنا عليه السلام ويصل به وحدته.»(٢)

وتشير الروايات أن الإمام المهدي عليه السلام يحضر الموسم كلّ عام في خصائص خاصة به، فعن محمد بن عثمان، قال:

«والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة، ويرى الناس ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه.»(٣)

ويؤيد هذا الملحظ ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

وما تنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل بحجته ما فعل بيوسف؟ وأن يكون في أسواقهم، ويطأ بسطهم، وهم لا يعرفونه، حتى يأذن الله عزّ وجلّ أن يعرّفهم نفسه، كما أُذن ليوسف حين قال: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي﴾(٤)(٥).

وينبغي الإشارة هنا أن المهدي يظهر في المدينة المنورة بادئ ذي

---

(١) علي الكوراني/ عصر الظهور/ ١٩٢.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ١٥٢/٥٢.

(٣) المصدر نفسه ٢٥٠/٥٢.

(٤) سورة يوسف/ ٨٩ـ٩٠.

(٥) المجلسي/ بحار الأنوار ١٤٢/٥١.

بدء، فينتهي خبره إلى السفياني، وكان قد خرج قبل حركة الظهور بستة أشهر، فيوجه بجيشه لقتال المهدي عليه السلام، فيختفي المهدي اختفاءً جزئياً يظهر بعده في مكة.

فعن الإمام علي بن الحسين زين العابدين أنه قال:

«فإذا ظهر السفياني، اختفى المهدي، ثم يظهر بعد ذلك.»[١]

وتكون رؤية الإمام في المدينة المنورة متواترة الأنباء بين الناس.

فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

«لا يقوم القائم حتى يقوم إثنا عشر رجلاً كلهم يجمع على قول: أنهم قد رأوه، فيكذبونهم»[٢]

وللبحث أن يسمي هذا الظهور الجزئي بالظهور الحذر، فهو يظهر لطائفة من أوليائه أو رعيل من الناس، وهو حذر من موجة السفياني العاتية، إذ تتحفز الدول الكبرى لمواجهة خطر الإمام، وتتحسس البلاد العربية من ظهوره، في حين يلهج الناس بذكره، والمشاهدون له يشيعون خبره، وأولياؤه يتوقعون أمره ليل نهار، ولعل ذلك هو المراد بالشبهة في قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«يظهر في شبهة ليستبين، فيعلو ذكره، ويعلو أمره.»[٣]

وحينما يتناهى إلى السفياني تواجد الإمام المهدي عليه السلام في المدينة المنوّرة، يبعث لاستباحتها من جهة، وقتل آل محمد وأوليائهم من جهة آخرى، والقضاء على المهدي وهو الهدف المهمّ من الحملة، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«.... ويظهر السفياني، ويشتدّ البلاء، ويشمل الناس موت وقتل،

---

(١) المصدر نفسه ٢١٣/٥٢.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٤٤/٥٢.

(٣) المصدر نفسه ٣/٥٢.

يلجأون فيه إلى حرم الله وحرم رسوله.»(١)

حينذاك يغادر المهدي عليه السلام المدينة المنورة في طريقه إلى مكة المكرّمة، ومعه من تسميه الروايات بالمنصور، وهو إمّا أن يكون من أرحامه نسباً، أو من أوليائه سبباً، أو أنه أحد قوّاده اللامعين، ويميل البحث أنه النفس الزكية الذي يبعثه الإمام المهدي إلى مكة المكرمة لإبلاغ رسالته كما سبق.

ويعيث جيش السفياني فساداً في المدينة كما عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال لجابر الجعفي:

«ويبعث (السفياني) بعثاً إلى المدينة فيقتل بها رجلاً، ويهرب المهدي والمنصور منها ويؤخذ آل محمد صغيرهم وكبيرهم ولا يترك منهم أحداً إلا حبس، ويخرج الجيش في طلب الرجلين.»(٢)

وتضج المدينة بأهلها ويغادرونها إلى الشعاب والقرى، ففي مستدرك الحاكم: أن أهل المدينة يهربون منها بسبب بطش السفياني وأفاعيله.(٣)

ويستعرض الأستاذ الكوراني أفاعيل السفياني بشيء من التفصيل بما ينقله عن مخطوطة ابن حماد الملاحم والفتن من الروايات التي تصف مسيرة جيش السفياني في المدينة، فيضع السيف في قريش، ويقتل منهم من الأنصار أربعمائة رجل، ويبقر البطون، ويقتل الولدان، ويقتل أخوين من قريش، وهما رجل وأخته يقال لهما: محمد وفاطمة، ويبدو أن لهما شأناً خاصاً، فيصلبهما على باب المسجد في المدينة، ويأخذون من قدروا عليه من آل محمد، ويقتل من بني هاشم رجالاً ونساءً.(٤)

---

(١) المصدر نفسه ١٥٧/٥٢.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٢٣/٥٢.

(٣) الحاكم النيسابوري/ المستدرك ٤٤٢/٤.

(٤) ظ: علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٢٠٤ وانظر مصدره.

ويبدو من بعض الروايات أن دخول جيش السفياني إلى المدينة المنورة، يكون قبيل ظهور الإمام المهدي عليه السلام بحثاً عنه، وتتبعاً لأنصاره وأوليائه، وأن هذا الجيش جرار.(١)

ولا تختلف جرائم السفياني في المدينة عن جرائم الطواغيت قبله، فيسفك الدماء المحرمة، ويتتبع شيعة أهل البيت تحت كل حجر ومدر، ويقتل من له أدنى أواصر ببني هاشم، ويحاول العثور على الإمام المهدي فيخيب أمله.

ويغادر الإمام عليه السلام متجّهاً إلى مكة المكرمة، ومعه المنصور الذي احتملنا أنه النفس الزكية، ويبدو أن خروجه من المدينة المنوّرة يكون إرهاصاً بالظهور المتكامل فيما بعد، فيحمل معه مواريث النبوة، وتراث رسول الله بخاصة، وذلك ما روي عن المفضّل بن عمرو عن الإمام جعفر الصادق أنه قال:

«والله يا مفضل، كأني أنظر إليه دخل مكة، وعلى رأسه عمامة صفراء، وفي رجليه نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المخصوفة، وفي يده هرواته... حتى يصل نحو البيت، ليس ثمّ يعرفه أحد.»(٢)

ويتناهى نبأ مغادرة الإمام المهدي عليه السلام المدينة المنوّرة إلى السفياني أو قيادته، فيصاب بالذعر والقلق، فيوجه جيشه إلى مكة المكرمة، والمهدي عليه السلام يعلن أنه بانتظار المعجزة وهي الخسف لهذا الجيش الجرار بالبيداء، تصديقاً للبشارة النبوية بذلك، وأمر (جيش الخسف) بالبيداء مستفيض بالروايات، وهو من المحتوم الذي لابدّ منه عند الإمامية، وهو مشهور في مصادر الجمهور، بل هو من المتسالم عليه.

ففي تفسير قوله تعالى:

---

(١) ظ: النعماني/ الغيبة/ ١٦٣.

(٢) مصطفى الحسيني/ بشارة الإسلام.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾(١)

قال الزمخشري: روي عن ابن عباس أنها نزلت في خسف البيداء.(٢)

وفي مجمع البيان عن أبي حمزة الثمالي، قال:

«سمعت علي بن الحسين (زين العابدين) والحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام يقولان: هو جيش البيداء، يؤخذون من تحت أقدامهم.»(٣)

ومن طريق الجمهور الحديث النبوي الذي ترويه أم سلمة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يعوذ عائذ البيت، فيبعث إليه جيش، حتى إذا كانوا بالبيداء: بيداء المدينة، خسفَ بهم.»(٤)

وعن حذيفة بن اليمان في حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتحدث به عن السفياني، قال:

«فيبعث بجيشين، جيش إلى المشرق وآخر إلى المدينة... ويحل الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام بلياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبرئيل فيقول: يا جبرئيل إذهب فأبّدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف بها عندها، ولا يفلت منهم إلاّ رجلان من جهينة.»(٥)

ويتحدث أمير المؤمنين عن السفياني وظهوره:

«فإذا كان ذلك خرج السفياني... ويأتي المدينة بجيش جرار، حتى إذا انتهى إلى بيداء المدينة، خسف الله به، وذلك قول الله عز وجل:

---

(١) سورة سبأ/ ٥١.

(٢) ظ: الزمخشري/ الكشاف/ تفسيره للاية.

(٣) ظ: المجلسي/ بحار النوار ٥٢/١٨٦ وانظر مصادره.

(٤) الحاكم النيسابوري/ المستدرك ٤/٤٢٩ + البحار ٥٢/١٨٦.

(٥) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/١٨٦.

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾[١][٢]

وأورد الكوراني عن مخطوطة ابن حمّاد عدة روايات في الموضوع، منها ما عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«سيكون عائذ بمكة، يُبعث إليه سبعون ألفاً، عليهم رجل من قيس، حتى إذا بلغوا الثنية دخل آخرهم ولم يخرج منها أولهم، نادى جبرئيل: يا بيداء يا بيداء ـ يُسمع مشارقها ومغاربها ـ خذيهم فلا خير فيهم!! فلا يظهر على هلاكهم إلاّ راعي غنم في الجبل، ينظر إليهم حين ساخوا فيخبر بهم، فإذا سمع العائذ بهم خرج»

وفيه عن حفصة قالت:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«يأتي جيش من قبل المغرب يريدون هذا البيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسفَ بهم، فيرجع من كان أمامهم لينظر ما فعل القوم فيصيبهم ما أصابهم، ثم يبعث الله تعالى كل امرئ على نيّته.»[٣]

وفي هذا إشارة واضحة أن فيهم من زجّ في الجيش زجاً، وأُخذ بالقسر والإكراه إلى جانب السائرين بالركاب، فيحشر الله تعالى كل واحد من هذين الصنفين على نيّته، ويكون الحساب بحسب القصد.

هذا والإمام المهدي عليه السلام قد غادر المدينة مع من قدّر الله من أوليائه إلى مكة المكرمة، حيث يبدأ الظهور المبارك بتجمع القادة من أصحاب الإمام.

---

(١) سورة سبأ/ ٥١.

(٢) النعماني/ الغيبة/ ١٦٣.

(٣) ظ: علي الكوراني/ عصر الظهور/ ١٠٤ ـ ١٠٥.

تجمّع القادة من أصحاب الإمام في مكة المكرمة

تتجه أنظار الأمة إلى مكة المكرمة للتعرّف على مستجدات أخبار الإمام المهدي عليه السلام، وقد حان موعد ظهوره بما أبصروا من الدلائل والإمارات على ذلك، حتى إذا كان خسف البيداء انتشر خبر ظهوره في الآفاق انتشار النار في الحطب الجزل.

ويتناهى نبأ قتل النفس الزكية بين الركن والمقام إليهم ـ كما تقدم ذكر ذلك ـ إذ يرسل الإمام شاباً إلى أهل مكة مبلغاً رسالة الإمام المهدي عليه السلام إليهم، ويؤدي ذلك عن الإمام، وهو يستنصرهم ويستنجد بهم، فيهجمون على الشاب داخل المسجد الحرام، فيذبح بين الركن والمقام كما يذبح الكبش، ويظهر المهدي بعد أسبوعين من هذا الحدث معلناً دعوته الغراء، متحدياً صامداً.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام، فيما روي عنه:

«والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لهم ملك بعده غير خمس عشرة ليلة.»(١)

وتتوالى الأنباء مكثفة عن الموعد المبارك في الظهور المرتقب، فيخفّ له أصحابه من مشارق الأرض ومغاربها، حتى يلتحقوا به في

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٢٣٤.

مكة.

«فيهم النجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل مكة، والأخيار من أهل العراق.»(١)

وتوحي الأخبار بل تصرّح بأن أغلب أصحابه من الشباب النابض المتحفّز، ولا كهول فيهم إلا بنسبة ضئيلة كالملح في الطعام، فعن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال:

«أصحاب المهدي شباب لا كهول فيهم، إلاّ مثل كحل العين، والملح في الزادّ، وأقلّ الزاد الملح.»(٢)

وربما كان هذا الوجود القليل للكهول مما تجاوز سن الشباب ضرورةً قيادية لها دلالتها في كونهم أهل خبرة وتجربة في الحياة والأحداث، فيستنيرون بآرائهم، ويعتبرونهم مستشارين أمناء، ولله في خلقه شؤون، والله العالم.

أمّا عنصر الشباب فهو العنصر الفاعل الناهض بالمهمات الصعبة، والقادر على معالجة الحرب ومتابعة القتال:

وتصفهم الروايات بصفات ذات أهمية منظورة، فهم مصابيح الدجى فيما يكشفه الله بهم من الضلال، وهم أشدّ بقية على الدين من خرط القتاد، وهم جيش الغضب الموعود، يغضبون لله عزّ وجلّ، وهم العلماء والقادة والحكّام، وهم على يقين ثاقب من ربّهم، فلا وحشة لهم من أحد، وهم الذين يذلل الله لهم كلّ صعب، وهم خيرة الأصحاب، وهم المتمتعون بقوة جسدية خارقة، وهم القوم الموكّلون، وهم القوم الذي سيأتي الله بهم، وهم يحبّونه ويحبّهم، وهم الأذلة على المؤمنين، الأعزّة على الكافرين.

---

(١) المصدر نفسه ٣٣٤/٥٢.

(٢) المجلسي/ بحار النوار ٣٣٤/٥٢.

فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن صاحب هذا الأمر محفوظة له أصحابه، لو ذهب الناس جميعاً أتى الله بأصحابه، وهم الذين قال الله عزوجل فيهم:

﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[1]

وهم الذين قال الله فيهم: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[2][3]

وهم الذين يفدّيهم أمير المؤمنين عليه السلام بأبيه وأمه، وهو تواضع عظيم من أمير المؤمنين، الغرض منه تعظيم شأنهم الجليل، قال:

«ألا بأبي وأمي هم، منْ عدة أسمائهم في السماء معروفة.، وفي الأرض مجهولة.»[4]

ومن خصائصهم الكبرى إحاطة العناية الربانية بهم، وتسخير القوى لإرادتهم، وتذليل الصعاب كرامة لهم، وافتخار بقاع الأرض بمرورهم عليها، وهذا ما تحدث عنه الإمام الباقر عليه السلام، قال: «كأني بأصحاب القائم عليه السلام، وقد أحاطوا بما بين الخافقين، فليس من شيء إلاّ وهو مطيع لهم، حتى سباع الأرض وسباع الطير، يُطلب رضاهم من كل شيء حتى تفخر الأرض على الأرض وتقول: مرّ بي رجل من أصحاب القائم عليه السلام.»[5]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام ـ وصححه الحاكم في المستدرك على شرط الشيخين مسلم والبخاري ـ متحدثاً عنهم بالقول:

---

(١) سورة الأنعام/ ٨٩.

(٢) سورة المائدة /٥٤.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٧٠/٥٢.

(٤) الإمام علي/ نهج البلاغة ١١٦/٢.

(٥) الصدوق/ كمال الدين/ ٦٧٣/٢ + المسعودي/ إثبات الوصية ٤٩٤/٣.

«... فيجمع الله تعالى له قوماً كقزع السحاب، يؤلف بين قلوبهم.... على عدة أصحاب بدر، لم يسبقهم الأولون، ولا يدركهم الآخرون.»(١)

بل اعتبرهم رسول الله ﷺ إخوانه، وهو شرف عظيم ما بعده شرف بالنسبة لهم، إذ تخطّى بهم منزلة الأصحاب والأنصار إلى درجة الأخوان، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم، وعنده جماعة من أصحابه:

«اللهم لَقِني إخواني مرتين».

فقال مَنْ حوله من أصحابه: أما نحن إخوانك يا رسول الله؟

فقال: لا، إنكم أصحابي، وإخواني قوم من آخر الزمان آمنوا بي ولم يروني، لقد عرّفنيهم الله بأسمائهم وأسماء آبائهم من قبل أن يخرجهم من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم، لأحدهم أشدّ بقيةً على دينه من خرط القتاد في الليلة الظلماء، أو كالقابض على جمر الغضا، أولئك مصابيح الدجى، ينجيهم الله من كل فتنة غبراء مظلمة.»(٢)

هذا غيض من فيض صفاتهم ومنزلتهم ودرجتهم عند الله تعالى، وأمّا كيف يجتمعون للإمام المهدي عليه السلام في مكة، ففيه عدة صور متقاربة في حدود، والنتائج واحدة.

الصورة الأولى: يجتمعون ويصيرون إلى الإمام المهدي عليه السلام في ليلة الجمعة، ويوافونه صباحاً في المسجد الحرام على الإجمال، وهو ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنه قال:

«يجمعهم الله في ليلة جمعة، فيوافونه صبيحتها إلى المسجد الحرام، ولا يتخلّف منهم رجل واحد.»(٣)

---

(١) الحاكم النيسابوري/ المستدرك ٤/٥٥٤ + السلمي الشافعي/ عقد الدرر/ ٥٩.

(٢) الصفّار/ بصائر الدرجات/ ١٠٤.

(٣) مصطفى الحسني/ بشارة الإسلام/ ٢١٠.

وهو يتفق مع الروايات بأن الله يصلح أمر المهدي في ليلة ما، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«المهدي منا أهل البيت يصلح الله أمره في ليلة.»

وفي رواية أخرى: «يصلحه الله في ليلة».[1]

ومعنى هذا تحقق شرائط الظهور في تلك الليلة، وأبرزها تكامل القادة من أصحابه عنده، والأذن من الله له بالخروج.

الصورة الثاني: أنهم يجيئون إليه متفرقين كقطع سحاب الخريف رجلاً رجلاً أو رجلين رجلين حتى التسعة، ويوافونه من مختلف أقطار الدنيا، حتى يتكاملوا لديه بعددهم المعهود، فعن الإمام جعفر الصادق، أنه قال:

«كان أمير المؤمنين يقول:

لا يزال الناس ينقصون حتى لا يقال (الله) فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه (أي ثبت ومن معه على الدين) فيبعث الله من أطرافها، يجيئون قزعاً كقزع الخريف، والله إني لأعرفهم وأعرف أسماءهم وقبائلهم واسم أميرهم، وهم قوم يحملهم الله كيف يشاء من القبيلة الرجل والرجلان حتى بلغ تسعة، فيتوافون من الآفاق ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر، وهو قول الله:

﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]

حتى أن الرجل ليحتبي (يشدّ حزامه) فلا يحل حبوته حتى يبلغه الله ذلك.»[3]

وهو منسجم مع ما رواه العياشي في تفسير الآية عن أبي

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٨٠/٥٢ وانظر مصدره.

(٢) سورة البقرة/ ١٤٨.

(٣) الطوسي/ الغيبة/ ٢٨٤.

الحسن عليه السلام، قال: «ذلك أن لو قد قام قائمنا، يجمع الله إليه شيعتنا من جميع البلدان»(١)

الصورة الثالثة: وتتحدث عن بداية الظهور، وإصدار قرار إعلان الخروج، لدى إقبال الإمام إلى مكة المكرمة في جملة من أصحابه الذين يلقونه قبل خروجه الشريف بليلتين، وقد وصل إلى شعاب مكة وما حولها، بما تتحدث عنه رواية الإمام الباقر عليه السلام:

«يكون لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض هذه الشعاب.. (وأشار إلى ناحية ذي طوى) حتى إذا كان قبل خروجه بليلتين انتهى المولى الذي يكون بين يديه حتى يلقى بعض أصحابه، فيقول:

كم أنتم ها هنا؟ فيقولون: نحو من أربعين رجلاً!!

فيقول: كيف أنتم لو قد رأيتم صاحبكم؟

فيقولون: والله لو يأوي الجبال لأوينا معه!!

ثم يأتيهم من القابلة، فيقول لهم:

أشيروا إلى ذوي أسنانكم وأخياركم عشرة!!

فيشيرون له إليهم، فينطلق بهم حتى يأتوا صاحبهم، ويعدهم إلى الليلة التي تليها.»(٢)

وهذا موافق لعملية الاختبار ومرحلة الإعداد، إذ يراهم مولاه وهم أربعون، فينطلق إليهم مختبراً استعدادهم، ويأتيهم الليلة الثانية، ويشير عليهم بانتقاء ممثلين عنهم، فيقابلون الإمام، وبعد لم يتكامل عدد أصحابه، ويعدهم الليلة الأخرى.

ويرى الأستاذ علي الكوراني أن هؤلاء الأربعين من أصحابه غير

---

(١) العياشي/ التفسير ٦٦/١.

(٢) المجلسي/ بحار النوار ٢٤١/٥٢.

الأبدال الذين يكونون معه، أو على صلة به، وغير الأثني عشر الذين يُجمع كل منهم أنه قد رآه فيكذبونهم، بل يكون هؤلاء من الأخيار الباحثين عنه عليه السلام، ومن أمثال العلماء السبعة الذين بحثوا عنه، وهو لا يستبعد اتحاد هؤلاء مع من سنذكرهم في الصورة الآتية(١)

الصورة الرابعة: وتتحدث عن إقبال القائم عجل الله فرجه في خمسة وأربعين رجلاً بادئ ذي بدء لدى دخوله مكة المكرمة، ثم يجتمع إليه بقية أصحابه، وهو ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«يقبل القائم عليه السلام في خمسة وأربعين من تسعة أحياء:

من حيّ رجل، ومن حيّ رجلان، ومن حيّ ثلاثة، ومن حيّ أربعة، ومن حيّ خمسة، ومن حيّ ستة، ومن حيّ سبعة، ومن حيّ ثمانية، ومن حيّ تسعة، ولايزال كذلك حتى يجتمع له العدد.»(٢)

وهاتان المجموعتان متحدتين أو مختلفتين تمثلان الارهاص الفعلي للظهور.

الصورة الخامسة: وهي الصورة التي تفصّل القول بتجمّع أصحاب الإمام المهدي عليه السلام حوله في كيفيات مختلفة، وهي الصورة التي عليها المعوّل في البحث، إذ لا تخلو من مدرك إعجازي رفيع، ولا تتباعد عن لمح غيبي أصيل، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام متحدثاً عن كيفية تجمع أصحابه:

«منهم من يفقد عن فراشه ليلاً فيصبح في مكة!!

ومنهم من يُرى يسير في السحاب نهاراً، يعرف باسمه، واسم أبيه، وحليته، ونسبه.

قلتُ: جعلت فداك؛ أيّهم أعظم إيماناً؟

---

(١) ظ: علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٢١٢ ـ ٢١٣.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٠٩/٥٢.

قال: الذي يسير في السحاب نهاراً!!»[1]

وتترجح هذه الرواية برواية مماثلة عن الإمام جعفر الصادق عليه، فقد روى المفضل بن عمرو، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لقد نزلت هذه الآية في المفتقدين من أصحاب القائم عليه السلام، قوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾[2]

إنهم ليفتقدون عن فرشهم ليلاً فيصبحون بمكة، وبعضهم يسير في السحاب، يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه.

قال: قلت: جعلت فداك، أيّهم أعظم إيماناً؟

قال: الذي يسير في السحاب نهاراً.»[3]

وهذا المعنى شائع في روايات أخر، فعن أبي الجارود عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«... أصحاب القائم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً... بعضهم يحمل في السحاب نهاراً، ويعرف باسمه واسم أبيه ونسبه وحليته، وبعضهم نائم في فراشه، فيوافيه في مكة على غير ميعاد.»[4]

ولسيرهم في السحاب تأويلات:

الأول: أن الله تعالى يسخر لهم السحاب فيركبونه على سبيل الإعجاز والكرامة، كما سخر الريح لسليمان عليه السلام.

الثاني: أنهم يركبون الطائرات الحديثة بجوازات سفر حديثة يُرقن فيها المعلومات الشخصية عنهم في الأسماء والآباء والصفات.

والبحث يميل إلى الملحظ الإعجازي في الأمر، لنصّ الروايات أن

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٢/٣٦٨.

(٢) سورة البقرة/ ١٤٨.

(٣) الصدوق/ كمال الدين ٢/٦٧٢ ونحوه في غيبة النعماني/ ٢٤١.

(٤) النعماني/ الغيبة/ ٣١٥ + الحر العاملي/ إثبات الهداة ٣/٥٤٧.

هؤلاء أعظم إيماناً، وأفضل برهاناً، ولما كان الأمر كذلك فليس بعزيز على الله تعالى أن يظهر منزلتهم بإطار إعجازي، وأما عن السبب في تفضيلهم، فيقول الأستاذ علي الكوراني:

«ولعل السبب في أن هؤلاء أفضل من المفقودين عن فرشهم ليلاً، أنهم الأبدال الذين يعملون معه عليه السلام، أو أصحاب اتصل بهم قبل غيرهم في تلك الفترة وكلفهم بأعمال ما، بينما المفقودون عن فرشهم يبيتون تلك الليلة، وواحدهم لا يعلم أنه عند الله تعالى أحد أصحاب المهدي عليه السلام، ولكن مستوى تقواهم ووعيهم يؤهلهم لهذا المقام العظيم!!

فيصطفيهم الله تعالى، وينقلهم إلى مكة المكرمة، ويتشرفون بخدمة المهدي عليه السلام.»[1]

ومن الجدير بالذكر هنا إشارة بعض الروايات إلى تواجد العنصر النسائي بين أصحاب الإمام المهدي عليه السلام.

تنص إحدى هذه الروايات على ما يلي: عن المفضل بن عمرو، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: يكون مع القائم ثلاث عشرة إمرأة!!

قلت: وما يصنع بهن؟ قال: يداوين الجرحى، ويقمن على المرضى.»[2]

وهنا يتجلى معنى وجودهن مع الإمام لمهنة التمريض في مداواة الجرحى، والإقامة على المرضى، وهذا يدلّ على عظيم مقامهن من حيث إعداد نفوسهن لهذه المرحلة، بما يتطلب ذلك الإعداد من وعي وتقوى وإيمان.

وهناك رواية تلفت النظر عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، تشير إلى

---

(١) علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٢١٤.

(٢) الطبري/ دلائل الامامة/ ٢٥٩ + الحر العاملي/ إثبات الهداة ٧٥٣/٣.

وجود خمسين إمرأة من بين أصحابه الثلاثمائة والثلاثة عشر، ونصها «ويجيء والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فيهم خمسون إمرأة يجتمعون بمكة على غير ميعاد، قزعاً كقزع الخريف، يتبع بعضهم بعضاً...»(١)

وفي هذا دلالة على دور المرأة المسلمة في حركة الظهور المبارك، بواجبات تناسب أنوثتها، وتحفظ كرامتها ومنزلتها.

وإذا تكامل هذا العدد للإمام عليه السلام، تتم عملية الظهور بمكة المكرمة بما سيحقق القول فيه المبحث الآتي.

---

(١) العياشي/ التفسير ١/٦٥.

إعلان الظهور من المسجد الحرام

مما تصرح به الروايات المتواترة أن الإمام المهدي عليه السلام، يمهّد لإعلان الظهور بإرسال أحد الشباب الناهضين في أواخر ذي الحجة، بل قبل الظهور المبارك بخمس عشرة ليلة بدعوته أهل مكة يستنصرهم من جهة، ويلقي عليهم الحجة من جهة أخرى، فلا يستمعون لذلك، ويجهزون على رسوله، فيذبحونه جهاراً بين الركن والمقام، وهو «النفس الزكيّة» فإذا قتلوه «لم يبق لهم في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر» وكما تقدم في رواية «فإذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الأرض».

وتفصيل هذا الحدث يرويه أبو بصير عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال: «يقول القائم لأصحابه: يا قوم إن أهل مكة لا يريدونني، ولكني مرسل إليهم لأحتج عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتج عليهم!! فيدعو رجلاً من أصحابه، فيقول له:

إمضِ إلى أهل مكة فقل:

«يا أهل مكة أنا رسول فلان إليكم (يذكر اسمه الشريف) وهو يقول

لكم:

إنّا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وسلالة النبيين، وإنّا قد ظلمنا، واضطهدنا، وقهرنا، وابتز منّا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا!! فنحن نستنصركم فانصرونا، فإذا تكلّم الفتى بهذا الكلام، أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكية.

فإذا بلغ ذلك الإمام، قال لأصحابه: أما أخبرتكم أن أهل مكة لا يريدوننا؟ فلا يدعونه حتى يخرج، فيهبط من عقبة طوى في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، عدة أهل بدر، حتى يأتي المسجد الحرام...»[١]

وهنا تبدأ عملية الظهور المبارك بعد هذا الحدث المفجع، وذلك بدخول المسجد الحرام دخولاً منظّماً، بعد السيطرة عليه في مداخله ومخارجه، واتخاذ أصحابه مواقعهم الاستراتيجية منه، بحيث يتمكنون من حماية الإمام المهدي عليه السلام من السلطة التي قتلت النفس الزكية، وبذلك يصبح المسجد الحرام في قبضتهم بل ومكة كلها، إذ لا يمكن للإمام الإعلان عن الظهور المبارك وأهل مكة يتربصون به، ومن ورائهم الدول الكبرى والاستخبارات العالمية، إلاّ بقوة ضاربة تمسك زمام المبادرة بيد من حديد.

وهذا ما يستنتجه البحث من متابعة الروايات تدريجياً، وهو ما نحاول تحقيقه في هذا المبحث في خطواته المتعاقبة:

فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«إن القائم يهبط من ثنية ذي طوى في عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، حتى يسند ظهره إلى الحجر الأسود، ويهزّ الراية المغلّبة.

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٣٠٧.

قال علي بن أبي حمزة: فذكرت ذلك لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، فقال: وكتاب منشور.»[١]

وهذا يعني أن قدومهم على مكة من ذي طوى، ثم يدخلون المسجد الحرام، وتكون الحركة الكبرى منه.

والراية المغلّبة هي راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي كانت معه، وتسلّمها الإمام علي عليه السلام، وأنها لم تنشر بعد حرب الجمل حتى ينشرها المهدي عليه السلام.

ومعنى قول الإمام الكاظم عليه السلام، بعد أن ذكر له الحديث، (وكتاب منشور) أنه يخرج للناس كتاباً منشوراً أيضاً، ولعله العهد المعهود له بإملاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخطّ أمير المؤمنين عليه السلام وذكرت الروايات أن معه مواريث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومواريث الأنبياء عليهم السلام.»[٢]

ويذكر الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام بدايات الإعلان عن الظهور المبارك، متحدثّاً عن الإمام المهدي بالقول:

«فيهبط من عقبة طوى في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، عدة أهل بدر، حتى يأتي المسجد الحرام، فيصلي عند مقام ابراهيم أربع ركعات، ويسند ظهره إلى الحجر الأسود، ثم يحمد الله ويثني عليه، ويذكر النبي ويصلي عليه، ثم يتكلم بكلام لم يتكلم به أحد من الناس، فيكون أول من يضرب على يده ويبايعه جبرئيل وميكائيل.»[٣]

ويبدو من الروايات أن بطلاً جريئاً من أهل بيته أو من أصحابه، يشق غمار الناس في المسجد الحرام، وينتصب ما بينهم قائماً داعياً إلى الإمام المهدي بالاستماع إليه، ومقدّماً له:

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٠٦/٥٢ وانظر مصادره.

(٢) ظ: علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٢٢٠ وانظر مصادره.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٠٧/٥٢.

فعن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، أنه قال:
«فيقوم رجل فينادي:
أيها الناس، هذا طلبتكم قد جاءكم يدعوكم إلى ما دعاكم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال: فيقومون، فيقوم هو بنفسه (أي الإمام المهدي) فيقول: أيها الناس: أنا فلان ابن فلان ابن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم، أدعوكم إلى ما دعاكم نبيّ الله.
فيقومون إليه ليقتلوه، فيقوم ثلاثمائة ونيف فيمنعونه.»[1]

ولما كان انتظار الظهور وشيكاً لدى المسلمين، فالرواية تصوّر مدى تطلّع الناس لرؤية الإمام المهدي عليه السلام، فيقفون لرؤيته من جهة، ويقوم أعداؤه لقتله من جهة أخرى، فيمتنع عليهم ذلك لحماية أصحابه له.

ويبدو من الروايات أن بداية ظهوره لأهل مكة بخاصة يكون مساء يوم الجمعة ليلة العاشر من المحرم، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:
«ويخرج قائمنا أهل البيت يوم الجمعة.»[2]

وحينما تتم له الاستقلالية، بالسيطرة على الحرم وعلى مكة، تكون تلك الليلة ليلة عمل وتخطيط لصباح اليوم التالي، وهو يوم السبت العاشر من محرم الحرام، وبه يكون الظهور المتكامل، كما عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «يخرج القائم يوم السبت يوم عاشوراء، اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام.»[3]

ويصف الإمام محمد الباقر عليه السلام كيفية ذلك القيام:
«كأني بالقائم يوم عاشوراء يوم السبت، قائماً بين الركن والمقام، بين يديه جبرئيل ينادي: البيعة لله.

---

(١) المصدر نفسه/ ٥٢/ ٣٠٦.
(٢) الصدوق/ الخصال ٢/٣٩٤.
(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٨٥/٥٢.

فيملأها عدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً»[١]

فكما قام جده الإمام الحسين بالسيف مجاهداً، فكذلك حفيده الإمام المهدي عليه السلام في قيامه بالسيف، ومن المسجد الحرام يوجه خطابه للعالم، فيسمعه كل قوم بلغتهم، في خطبة تكون آية في البلاغة، وذروةً بجزيل العبارة وتحديد الهدف وإضاءة البيان، بما لا عهد به للعالم في مضامين الخطاب.

والذي يميل إليه البحث في نصّ الخطبة وفقراتها المدويّة، ما رواه خالد الكابلي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، ففيها تفصيل دقيق وتبليغ كافٍ، وبها حيوية نابضة بالاحتجاج، تقصر عنها لغة المتكلمين، ولا يرقى لمستواها أدب الاحتجاج فيما يناسب هذا المقام العظيم الذي يدعو إليه الإمام المنتظر، فقد طبقّت المفصل، وأعربت عن المهمة الكبرى التي سينهض بها، كونه وريث الأنبياء والمرسلين بعامة، وأولي العزم منهم بخاصة.

يقول الإمام محمد الباقر عليه السلام مقرراً:

«والله لكأني بالقائم وقد أسند ظهره إلى الحجر، ثم ينشد الله حقه، ثم يقول:

يا أيها الناس، مَنْ يحاجّني في الله؟ فأنا أولى الناس بالله.

يا أيها الناس، مَنْ يحاجّني في آدم؟ فأنا أولى الناس بآدم.

يا أيها الناس، مَنْ يحاجّني في نوح؟ فأنا أولى الناس بنوح.

يا أيها الناس، مَنْ يحاجّني في إبراهيم؟ فأنا أولى الناس بإبراهيم.

يا أيها الناس، مَنْ يحاجّني في موسى؟ فأنا أولى الناس بموسى.

يا أيها الناس، مَنْ يحاجّني في عيسى؟ فأنا أولى الناس بعيسى.

---

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٢٧٤ + النعماني/ الغيبة/ ٢٨٢.

يا أيها الناس، مَنْ يحاجّني في محمد؟ فأنا أولى الناس بمحمدﷺ.
يا أيها الناس، مَنْ يحاجّني في كتاب الله؟ فأنا أولى الناس بكتاب الله.
ثم ينتهي إلى المقام فيصلي ركعتين.»(١)

وفي العياشي «ثم ينشد الله حقّه» وقد رواه عبد الأعلى الحلبي عن الإمام الباقر.(٢)

وفي خطاب ثانٍ، أو إضافة إلى الخطاب الأول، أنه يقول:

«يا أيها الناس إنّا نستنصر الله ومن أجابنا من الناس، وإنّا أهل بيت نبيكم محمدﷺ، ونحن أولى الناس بمحمد، فأنا بقيّة من آدم، وذخيرة من نوح ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمد.

ألا ومن حاجّني من (في) سنّة رسول الله، فأنا أولى الناس بسنّة رسول الله.

تقول الرواية: فيجمع الله عليهم أصحابه، ثلاثمائة وثلاثة عشر، فيبايعونه بين الركن والمقام.

ومعه عهد من رسول اللهﷺ، قد توارثته الأبناء عن الآباء.»(٣)

وليس جديداً في النقد التحليلي للتاريخ أن الإمام في ظرفٍ عصيب جداً، وأن الغالبية العظمى من الناس قد ابتعدوا بتفكيرهم عن الإسلام، وإذا بالإمام في عشية وضحاها يسيطر على الحرم ومكة المكرمة، في حين أن القوى العالمية قد استُنفِرت لحماية الحكم في الحجاز، وجدّت في مقاومة الإمام ودعوته الخطرة على عروشهم وسلطانهم، فالمتبادر للذهن وسير الأحداث أن يكون الإمام قد أعدّ العدّة الكافية من الأنصار والأتباع والمؤيدين سوى هؤلاء الأصحاب الثلاثمائة وثلاثة عشر، ولا

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣١٥/٥٢.
(٢) العياشي/ التفسير ٥٦/٢.
(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٣٨/٥٢.

يمانع البحث من توافر القوة الرادعة لدى الإمام، فاليماني بجيشه وقدراته قريب من الحجاز ودعوته في تصاعد والتئام، والممهدون لدولة الإمام في استنفار قيادي، والعالم بأسره قد تناهت إليه أخبار الإمام، واستبشر المسلمون الغيارى بظهوره الشريف، إذن والحالة هذه فلابدّ من موجات بشرية تتدافع بين يدي ركب الإمام عليه السلام الزاحف نحو تحرير مكة المكرمة، هذا التحرير المثالي الذي لم تسفك فيه قطرة دم واحدة.

فالمرجّح أن هؤلاء القادة الثلاثمائة والثلاثة عشر قد انضمّ إليهم آلاف المؤيدين والأنصار ممن يشكلون الغطاء البشري لحماية هذه الثورة العارمة، وهي بأول تحركها التغييري.

نعم هنالك عنصر غيبي يتحكم بالنصر والتأييد، ولكنه لا يمنع من الاعداد الأمثل في ظل هذا الصراع العالمي، إذ تصفو له مكة تماماً، وهو ينتظر آية الخسف بالبيداء بجيش السفياني،

وتحدث آية الخسف «فيقيم في مكة ما شاء الله أن يقيم.»(١)

وفي مكة المكرمة تبدأ الإصلاحات الجذرية بالعودة إلى الإسلام من ينابيعه الأولى، ويطهّر مكة من رجس الحكّام الظلمة، فيقطع أيدي بني شيبة سدنة الكعبة المعظّمة، ويسميهم سرّاق الله أو سرّاق الكعبة، ولا يبعد أن يكون ذلك إشارة لحكّام الحجاز بعامة من باب تسمية الكلّ باسم الجزء.

فعن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «أما إن قائمنا لو قد قام لأخذ بني شيبة، وقطع أيديهم، وطاف بهم وقال: هؤلاء سراق الله.»(٢)

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام، أنه قال:

«.... وقطع أيدي بني شيبة، وعلقّها بالكعبة، وكتب عليها: هؤلاء

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/ ٣٣٤.
(٢) الكليني/ الكافي/ ٤/ ٢٤٣.

سراق الكعبة.»[١]

ويتحدث لسان الروايات أن الإمام عليه السلام ينتقم من أعداء الله انتقاماً كبيراً، فلا يعطيهم إلاّ السيف.

فقد روى عبد الله بن المغيرة عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«إذا قام القائم من آل محمد صلوات الله عليهم، أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم خمسمائة أخرى، حتى يفعل ذلك ست مرّات.

قلتُ: ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟

قال: نعم، منهم ومن مواليهم.»[٢]

ودلالة هذا الإجراء أن هؤلاء هم أساس الفتنة والإنحراف في الحجاز، وهم من الإصرار والعناد بحيث لا ينفع معهم إلاّ القتل.

ومن إجراءاته في مكة المكرمة إعادة المسجد الحرام إلى ما كان عليه، وتحويل مقام إبراهيم إلى الموضع الذي كان فيه.

فقد روى أبو بصير عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال:

قال أبو عبد الله عليه السلام:

«إذا قام القائم عليه السلام هدم المسجد الحرام حتى يردّه إلى أساسه، وحوّل المقام إلى الموضع الذي كان فيه...»[٣]

ويبدو من هذا أن المسجد الحرام سيوسع أكثر من هذا، ويردّ إلى أساسه الذي خطّه إبراهيم عليه السلام، وذلك بهدم جداره أولاً، وببناء جدارٍ آخر على أساسه الأول.

وفي عهده المبارك سوف تتسع حركة الحجاج إلى بيت الله الحرام

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٤١١.

(٢) المصدر نفسه/ ٤١١.

(٣) المفيد/ الإرشاد/ ٤١١.

وتبلغ عشرات الملايين، ومعنى هذا ازدحام الناس حال الطواف وعند الحجر الأسود بالذات، فيتخذ الإمام إجراءً يقضي بأداء الطواف الواجب، والتخفيف من الطواف المستحب، وقد وردت الرواية بهذا عن الإمام الصادق عليه السلام:

«أول ما يُظهر القائم من العدل أن ينادي مناديه: أن يسلّم صاحب النافلة لصاحب الفريضة الحجرَ الأسودَ والطوافَ.»(١)

ولا تعرض الروايات إلى مشاهد العمل الإصلاحي والعمراني في مكة، إذ قد يوكل أمر ذلك إلى الوالي الذي سيعينه في مكة، ثم يتحرك من مكة إذا بلغ أصحابه العقد، وهو عشرة آلاف، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«... ويقيم في مكة حتى يتم أصحابه عشرة آلاف نفس، ثم يسير منها إلى المدينة.»(٢)

وقد لحظ الإمام محمد الجواد عليه السلام هذا العدد وعبّر عنه بالعقد، فقال: «..فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف خرج بإذن الله.»(٣)

فعدة أصحابه في الظهور ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً في مكة «فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الأرض أظهر أمره.»(٤)

وهو مروي عن الإمام الجواد عليه السلام ضمن الحديث السابق.

ويخرج من مكة إلى المدينة بعشرة آلاف كما في الرواية.

ولدى مغادرته مكة المكرمة، وهو في طريقه إلى المدينة المنوّرة يتناهى إلى سمعه مقتل عامله على مكة، فيعود إليها لقتل المقاتلة

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٧٤/٥٢ وانظر مصدره.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٤١١.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ١٥٧/٥١.

(٤) المجلسي/ بحار الأنوار ١٥٧/٥١.

فحسب، كما في الرواية عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«يبايع القائم بمكة على كتاب الله وسنة رسوله، ويستعمل على مكة، ثم يسير إلى المدينة، فيبلغه أن عامله قتل، فيرجع إليهم، فيقتل المقاتلة، ولا يزيد على ذلك.»(١)

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«يدعوهم (يعني أهل مكة)بالحكمة والموعظة الحسنة فيطيعونه، ويستخلف عليهم رجلاً من أهل بيته، ويخرج يريد المدينة، فإذا سار منها وثبوا عليه، فيرجع إليهم، فيأتونه مهطعين مقنعي رؤوسهم، يبكون ويتضرعون ويقولون:

يا مهدي آل محمد التوبة التوبة!! فيعظهم وينذرهم ويحذّرهم، ويستخلف منهم خليفةً ويسير.»(٢)

وهنا تكون مكة قد أذعنت بعد الاضطراب، وسلّمت للإمام، وقد ألقى الله الرعب في قلوبهم، ومنح القوة والعزيمة لأوليائه، ليخوض بهم غمار الأحداث المقبلة.

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٣٠٨.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٣/١١.

تحرير المدينة والسيطرة المتكاملة على الحجاز

يتوجه الإمام المهدي عليه السلام بعد استقرار الحياة في مكة، إلى المدينة المنورة، وتشير الروايات أن خروجه من مكة إلى المدينة يكون بعد وقوع الخسف في البيداء بجيش السفياني، ويكون صدى هذا الخسف مدوّياً في العالم، لأنه يلتهم جيشاً كبيراً ذا عدة وعدد فلا يبقى منهم نافخ نار.

وفي خروج الإمام إلى المدينة يرفع راية رسول الله المغلّبة، فعن الإمام الباقر عليه السلام وهو يذكر خروجه من مكة: «ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، عامداً إلى المدينة حتى يمرّ بالبيداء، حتى يقول:

«هذا مكان القوم الذين خسف بهم».[1]

ويكون خروج الإمام المهدي عليه السلام لتحرير المدينة المنوّرة في أهبة متكاملة وقوة منظور إليها، فعن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«و ما يخرج إلاّ في أولي قوة، وما تكون أولو القوة أقلّ من عشرة آلاف.»[2]

ويبدو أن فلول جيش السفياني، وطواغيت قريش، وأئمة الكفر

---

(١) العياشي/ التفسير ٢٦١/٢.

(٢) الصدوق/ كمال الدين/ ٦٥٤/٢ + الحر العاملي/ إثبات الهداة ٤٩١/٣.

والضلال في المدينة المنورة، يتأهبون جميعاً للقاء الإمام المهدي، وأن الإمام قد يخوض معركة ظافرة ضد هؤلاء وهؤلاء، حتى تتمنى قريش أن علياً عليه السلام هو قائد الجيش ولو إلى لحظات معينة تقدّر بجزر جزور، لأن أمير المؤمنين معروف بالعفو والتسامح، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام:

«يدخل المدينة فتغيب عنهم عند ذلك قريش، وهو قول علي بن أبي طالب عليه السلام: (والله لودّت قريش أن لي عندها موقفاً واحداً جزر جزور، بكل ما ملكته، وكل ما طلعت عليه الشمس.)

ثم يُحدث حدثاً (يعني الإمام المهدي) فإذا هو فعل ذلك!!

قالت قريش: آخر جوابنا إلى هذا الطاغية!! فو الله لو كان محمدياً ما فعل، ولو كان علوياً ما فعل، ولو كان فاطمياً ما فعل!!

فيمنحه الله تعالى أكتافهم، فيقتل المقاتلة، ويسبي الذريّة.

ثم ينطلق حتى ينزل الشقرة، فيبلغه أنهم قد قتلوا عامله، فيرجع إليهم، فيقتلهم مقتلة ليس قتل الحرّة إليها بشيء!!

ثم ينطلق يدعو الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.»[1]

وفي هذه الرواية المهمّة عدة دلالات تاريخية وعسكرية واجتماعية يمكن للبحث إجمالها بالنقاط الآتية:

١. تشير الرواية إلى اختفاء قريش من المدينة المنورة، لدى دخول الإمام المهدي عليه السلام لها محرراً وفاتحاً، كأن يغادرون إلى القرى والقصبات والجبال المحيطة بالمدينة، خوفاً من بطش الإمام بهم، والاقتصاص منهم.

٢. تتمنى قريش وطواغيتها في المدينة المنورة لو أن أمير المؤمنين عليه السلام كان على رأس الجيش المقاتل، وذلك حينما يرون حاكمية الإمام

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٤٢/٥٢.

المهدي عليه السلام بالعدل والقصاص والانتقام من أعداء الله والحكم الصارم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، إذ أن أمير المؤمنين عليه السلام، كان يسوسهم بالمنّ والعفو عند المقدرة.

٣. أن الإمام المهدي عليه السلام يقوم بعملية كبرى في نظرهم، تلك العملية لها تأثيرها الفاعل في تفكير القوم واهتماماتهم!! ولا تفصح الرواية عنها بأكثر من التعبير أنه عليه السلام «يُحدِثُ حدثاً» وهو أمر مجهول الأبعاد، ولكنه يثير عواطفهم وحماسهم، ويذكي فيهم روح القتال حتى يقولوا بكل صلف وجراءة: أخرجوا بنا إلى هذا الطاغية!!

٤. إن الحدث الهام الذي يحدثه الإمام يخرجهم عن طورهم الطبيعي في الانفعال وتقدير الأمور، فيدعوهم إلى الاستنكار الصارخ الشديد فيفتعلون القول الزور: بأنه ليس محمدياً، ولا علوياً، ولا فاطمياً.

٥. ثم تقوم معركة دامية بينه وبين قريش وأتباعهم، فيمنحه الله تعالى أكتافهم، فيقتل المقاتلة، ويسبي الذريَّة.

٦. إن الإمام عليه السلام ينصب من قبله عاملاً على المدينة، ويتجه شطر العراق، هو أو جيشه، وينزل بمنطقة في الطريق تسمى «الشقرة» وتتناهى الأنباء للإمام بأن أعداءه في المدينة المنورة قد أجهزوا على عامله وقتلوه، فيكر راجعاً إلى المدينة، فيقتل منهم مقتلة عظيمة، ليس قتل «الحرّة» بالنسبة لها بشيء.

ووقعة الحرّة كانت في السنة الثانية والستين من الهجرة، أثر ثورة المدينة التي قادها عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، ضد الحكم الأموي، بإذكاء من ابنة أمير المؤمنين العقيلة زينب عليها السلام، فاستولت على المدينة وأخرجت بني أمية منها، فأرسل يزيد إليها جيشاً سورياً

مدرباً على الفتك والقتال الدموي، ولعله مكوّن من رجال المهمّات الخاصة بقيادة مسلم بن عقبة المريّ، فقضى على ثورة المدينة قضاءً كاملاً، وانتقم من رجال الثورة انتقاماً وحشياً، ودمّر المدينة المنورة تدميراً تاماً، واستباحها الجيش ثلاثة أيام، يقتلون وينهبون ويرتكبون الفواحش، وذهب ضحيتها المئات من القتلى، واستؤصل من بقي من البدريين والمهاجرين والأنصار، ثم كان تجديد البيعة ليزيد بن معاوية على أنهم عبيد ليزيد باستثناء زين العابدين عليه السلام.[1] والمماثلة بين الحدثين كثرة القتلى ليس غير.

٧. يبدو أن الوضع الأمني يكون مستقراً في المدينة بعد هذه الأحداث حيث يتمكن الإمام من دعوة الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يكون ذلك إلاّ بعد الانتهاء من تصفية المناخ الاجتماعي لتتهيأ الأذهان لاستقبال أوامر الإمام، وتستعد لقبول تعليمات الشرع بعد الإندراس.

هذه الرواية بالإضافة إلى دلالاتها المتقدمة تصرّح بأن الإمام يخوض حربين في المدينة المنورة، الأولى ضد فلول جيش السفياني، والثانية بعد قتل عامله، وتكون ضد طواغيت الأمة من قريش وأتباعها، وينتصر الإمام أخيراً انتصاراً صاعقاً تخمد به أنفاس الطغاة، وتخرس الألسن المعادية، وبذلك يفتح الله عليه بتحرير الحجاز على يديه.

وينبغي الإشارة هنا أن بتحرير الحجاز يتم إحراز النصر المؤزر في عدة جهات أهمها:

أولاً: اليمن، وقد ظهر فيها اليماني وأمسك زمام الحكم، ورايته أهدى الرايات، وكما سبق فقد يأخذ توجيهه المباشر من الإمام

---

(١) ظ: تفصيل الثورة عند المؤلف/ الإمام الحسين عملاق الفكر الثوري/ ٢٧٩ ٢٨٤.

المهدي عليه السلام أولاً بأول، ويسيطر على القبائل العربية، ويسعى إلى تحرير العقول بهدي الإمام وصدق دعوته.

ثانياً: إيران إذ تتحدث الروايات العديدة عن قيام نظام إسلامي فيها، يوالي الإمام المهدي عليه السلام، ويبعث إليه بالبيعة، وأهمها رواية ذات مغزى صلب عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا، ولا يدفعونها إلاّ إلى صاحبكم (يعني الإمام المهدي)قتلاهم شهداء، أما أني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر.»[1]

ودلالة هذه الرواية، ودلالات روايات أخرى متقاربة في هذا الطرح، وجميعها تتحدث عن قيام دولة بإيران تمهد للإمام المهدي عليه السلام من حيث الأهداف العامة، وأنهم لا يدفعون برايتهم إلاّ للإمام المهدي عليه السلام.

واتحاد الدولتين اليمانية والإيرانية في المقاصد الإسلامية، مما يسهل على الإمام مهمته الأساسية ببعث الإسلام من جديد.

ثالثاً: العراق، ويكون مهيئاً لاستقبال الإمام المهدي، كون الغالبية العظمى من أوليائه تكون في العراق، وقد يكون الحكم فيه لاتباع الإمام، فتضغط القواعد الشعبية عليه لتسليم الراية للإمام، رغم تواجد الخوارج عليه، وكثرة أعدائه التقليديين من النواصب والعلمانيين، ويدعم هذا الملحظ من ناحيتين:

الأولى: تمكن الخراساني من تعقب فلول جيوش السفياني الذي تحمل بالسبايا، فيقاتله ويستنقذ السبايا عائداً إلى الكوفة، ويبعث

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥١/٨٣.

بالبيعة للإمام.

الثانية: احتمال ضعف الحكومة العراقية آنذاك بعد أحداث السفياني له، ودخول الخراساني بجيشه، مما يهيئ للإمام سرعة الاستيلاء على العراق.

وهنا تجدر الإشارة أن الفتح المبين للإمام بهذه السرعة المذهلة في الحجاز، والاستيلاء الصاعق على العراق ـ كما سيأتي ـ إنما يتم بعون الله تعالى وتوفيقه، وبنصر إلهي خارق للأسباب الطبيعيّة، فمضافاً إلى الإعداد التعبوي من قبل الإمام في جيشه وأصحابه وأنصاره وأوليائه، فإن المنطقة تضجّ بأعداء أهل البيت الذين لا يحصون كثرة، وتتواجد فيها القواعد العسكرية الضخمة، وأساطيل الدول الكبرى البحرية والجويّة، وتتوافر أجهزة الاستخبارات العالمية، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون العامل الغيبي والإعجازي مما تجابه به هذه القوى العظمى!! هذا الملحظ يحاول البحث الآتي تسليط الضوء عليه.

طبيعة النصر الإلهي للإمام المهدي

لم يكن النصر الذي أحرزه الإمام المهدي عليه السلام في قتاله أعداء الله ورسوله باستعمال السلاح وحده، سواء أكان هذا السلاح تقليدياً أم متطوراً بكافٍ لصد هجمات تلك القوى الشريرة دون التأييد الإلهي الحاسم، ويصحبه أو يواكبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضةً، ويتخلله مجادلة أهل الضلال ومحاججة رؤوس الطغيان.

إن الطبيعة البشرية في العدوان والادّراع بالباطل تأبى إلا أن يجابهها الإمام بالقوة والكفاح المسلح، وتكون سيرته في هذا الضوء هي التكليف الشرعي الوحيد، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [يسير] في أمته باللين والمنّ، وكان يتألف الناس، والقائم يسير بالقتل ولا يستتيب أحداً! بذلك أمر في الكتاب الذي معه، ويلٌ لمن ناواه.»[1]

وهذا النهج القتالي كتب للإمام في عهد من جدّه رسول الله كما في الروايات.

وعليه فإن إعداد الجيش، وتهيأة المعدّات الحربية، وبناء أسس

(١) النعماني/ الغيبة/ ١٢١.

المجتمع المقاتل، وإظهار القوة المتصلبة، كل أولئك من مستلزمات حرب الإمام.

إلاّ أن جانباً غيبياً يمدّ الإمام بأسباب وقوى خارقة تتحدث عنها الروايات، وبالإضافة إلى ما تقدم يكتب للإمام النصر المؤزر.

فعن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال:

«إذا ظهر القائم عليه السلام، ظهر براية رسول الله، وخاتم سليمان، وحجر موسى وعصاه.»[١] ويأتي دور الملائكة في النصر بما لا يستطيع البحث تحديد دوره أو تعريف ماهيته، ولكنه الزلزال الشامل الذي يهدّ عروش الظالمين:

فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«لو قد خرج قائم آل محمد لنصره الله بالملائكة المسوّمين، والمردفين، والمنزلين، والكروبيين، يكون جبرائيل أمامه، وميكائيل عن يمينه، وإسرافيل عن يساره، والرعب مسيرة شهر أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله، والملائكة المقرّبون حذاءه.»[٢]

وقد أضيف إلى الملائكة بدرجاتها الرفيعة، وواجباتها المختلفة مدرك الرعب السائر من جهاته الأربع مسيرة شهر، فتضطرب مشاعر الجيش المقابل للإمام، ويهتز كيانه هزاً عنيفاً، فيوحي بالقلق والخيبة والفشل، وفي هذا كله من النصر المعنوي للإمام عليه السلام ما تعرفه الجيوش المقاتلة في إحداث الأثر النفسي سلباً وإيجاباً بين جيشين متقاتلين، فالأثر السلبي الغامر لأعداء الإمام يسلمهم إلى الهزيمة، والأثر الإيجابي لجيش الإمام يكلله بالنصر والفتح المبين.

وقد ورد التصريح بانتصار الإمام المهدي عليه السلام مؤيداً بثلاثة جيوش:

---

(١) النعماني/ الغيبة/ ١٤٥ + المجلسي/ بحار الأنوار /٥٢/ ٣٥١.

(٢) النعماني/ الغيبة/ ١٢٢ + المجلسي/ بحار الأنوار/ ٣٤٨/٥٢.

غيبية وبشرية ونفسية، كما ورد ذلك عن الإمام في قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ﴾[١]

قال: «هو أمرنا، أمرَ الله أن لا نستعجل به، يؤيده بثلاثة أجناد: بالملائكة، والمؤمنين، والرعب.»[٢]

وهنا يتجلى وجه المشابهة في مثل هذه الحال ما بين الإمام المهدي عليه السلام وجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في مجابهة الطواغيت في قوة فعلية هي السيف، وفي قوة معنوية هي الرعب، فقد ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«وأما شبهه في جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فخروجه بالسيف، وقتله أعداء الله تعالى وأعداء رسوله، والجبّارين والطواغيت، وأنه ينصر بالرعب، وأنه لا تردّ له راية.»[٣]

وهناك روايتان مهمتان فيهما الإبانة عن الإعداد والحذر واليقظة والحراسة للقائد في الميدان بصورة طبيعية يتخذها الإمام دريئة احتياطية، شأن العسكريين المتمرسين، وكلاهما يرويهما الحافظ نعيم بن حمّاد المروزي (ت ٢٢٧ هـ) في كتابه «الملاحم والفتن» وهو من أقدم النصوص في الموضوع، فمؤلفه شيخ البخاري (ت ٢٥٦ هـ)وقد عاصر الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي عليهم السلام، فهو إذن لا يتهم بوضع شيء من عندياته بحق الإمام المهدي لأنه ليس إمامياً.

فقد ذكر ابن حمّاد أن الإمام المهدي عليه السلام، حينما يدخل القدس الشريف، يكون حرسه اثني عشر ألفاً.»[٤]

---

(١) سورة النحل/ ١.

(٢) النعماني/ الغيبة ١٢٨ + المجلسي/ البحار ٣٥٦/٥٢ .

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٢١٨/٥١ .

(٤) ابن حمّاد/ الملاحم والفتن/ ١٠٦ .

وهذا العدد يحكي عن عظم حجم جيش الإمام، وهو يزحف لتحرير القدس، فإذا كان الحرس بهذا العدد فما بالك بالجيش المقاتل؟

والرواية الثانية يشير فيها أن «حرسه ستة وثلاثين ألفاً، على كل طريق لبيت المقدس إثنا عشر ألفاً.»(١)

ومعنى هذا أن حرس الإمام المهدي عليه السلام، يتكوّن من ثلاث مجموعات رئيسية، كل مجموعة تشكل فريقاً عسكرياً في إثني عشر ألف من المقاتلين والحماة والانضباط العسكري.

إن هذه الأعداد من الحرس الخاص للإمام عليه السلام، مما يوحي بالرعب والهلع في أفكار أعدائه، فإذا أضفنا لذلك القدرات الهائلة التي يتمتع بها جيش الإمام، أنها تسجل انتصارات باهرة في كل الميادين، خرجنا بحصيلة ظهور الإمام البارز في شتى المستويات، وهذا ما يوقفنا على الحديث الشريف الذي أورده البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، ويقاتلون حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون.»(٢)

وليس من الصعب انطباق هذه الرواية على الإمام المهدي وأصحابه، نظراً للظهور الذي يحققونه بما لا سابقة للتاريخ فيه، والمراد تاريخ الدولة الإسلامية، ويعضده ما رواه مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناواهم.»(٣) .

ومن النصر الإلهي للإمام أن تهز أعداءه أنباء إنصاراته الكبرى في كل الميادين، فينهزمون بين يديه دون قتال، ويلوذون بالفرار، أو يؤمنون به

---

(١) المصدر نفسه/ ١٠٧.

(٢) البخاري/ الجامع الصحيح ٢٦٣/٤.

(٣) مسلم/ الصحيح ١٥٢٣/٣.

انبهاراً بكونه النموذج الأرقى للبطولة والجرأة والإقدام، فيستسلمون أو يسلمون دون حرب، وقد يكون ذلك بمساعدة مباشرة من المسيح عليه السلام حينما يهبط إلى الأرض متابعاً الإمام المهدي عليه السلام، ومؤمناً بل مؤتماً به، فقد ورد في الأخبار أن الإمام يفتتح بعض المدن الأوربية بالتكبير.(١)

ومعنى هذا إطرّاح القتال جانباً، ويكون الفتح بمجرد التكبير لا بالهجوم العسكري المسلّح، ويؤيده ما جاء بالرواية:

أن الإمام المهدي عليه السلام: «يفتح المدينة الرومية بالتكبير في سبعين ألفاً من المسلمين»(٢)

ومع هذا كلّه، فلا تظنن أن الإمام المهدي عليه السلام ـ وهو يقاتل أئمة الكفر العالمي، وطواغيت العصور المسلحة بالعلم والمعرفة والتقدم التقني ـ ينتصر عليهم تلقائياً، أو يحقق السبق العسكري دون معاناة ومجابهة وكفاح مستميت، فالحق أنه سيدير حرباً مريرة شعواء ضد أعدائه من الخوارج والنواصب، ومن الغربيين الناقمين على انتصاراته الصاعقة، حتى أن الإمام ليجابه بمعارضة شديدة، ويلقى من الناس ما لاقاه جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال:

إن صاحب هذا الأمر لو قد ظهر للقي من الناس مثل ما لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأكثر.»(٣)

أما المسلمون الذين يخرجون على الإمام، فتعود إليهم العصبية، ويعاني منهم الإمام الأمرّين، فهم يتأولون عليه القرآن وتلك محنة كبيرة، وهم يقاتلونه ـ بزعمهم ـ على القرآن وتلك محنة أكبر، ويقارب الإمام جعفر الصادق عليه السلام بين حالتي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم،

---

(١) ظ : السلمي الشافعي/ عقد الدرر/ ٢٥٢.
(٢) مصطفى الحسني/ بشارة المصطفى/ ٢٩٧.
(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٥٨/٥٢.

وهو يحارب المشركين، وحالة حفيده الإمام المهدي، فيقول:

«إن القائم يلقَ في حربه ما لم يلقَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأن رسول الله أتاهم وهم يعبدون الحجارة المنقورة والخشبة المنحوتة، وأن القائم يخرجون عليه، فيتأولون عليه كتاب الله، ويقاتلون عليه.»(١)

وأما الغربيون وغير المسلمين ممن تعصف بهم انتصارات الإمام عصفاً عنيفاً، فيتميزون غيظاً وحقداً وحنقاً على الإمام عليه السلام، ويضجّون من رايته وقد زحفت عليهم زحفاً، تهدم قلاعهم، وتسفه أحلامهم، وتجتاح بلادهم مما يدعوهم إلى لعن تلك الراية، فعن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

إذا ظهرت راية الحق لعنها أهل الشرق وأهل الغرب!!

قلت: مِمَ ذلك؟ قال: مما يلقون من بني هاشم.»(٢)

وهذا يعني أن على قيادة الإمام العسكرية كوكبة من الهاشميين تبلي بلاءً حسناً، أو سبق لها أن حكمت وقاومت الغرب والشرق معاً في أساليب شتى، قد يكون منها القتال الدامي!!

لهذا وسواه فإن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد حدبوا على نفي العفوية في انتصارات الإمام عليه السلام عن أصحابهم، وأظهروا لهم الحقيقة مجرّدة ناصعة.

فعن المفضّل بن عمر قال:

«سمعت أبا عبد الله (يعني الإمام الصادق) وقد ذُكر القائم عليه السلام، فقلت: إني لأرجو أن يكون أمره في سهولة!!

فقال: لا يكون ذلك حتى تمسحوا العرق والعلق.»(٣)

---

(١) المصدر نفسه ٣٦٣/٥٢ وانظر مصادره.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٦٣/٥٢.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٥٨/٥٢.

وكان أبوه الإمام محمد الباقر عليه السلام قد تحدث عن هذا الملحظ آنفاً، فعن بشير النبّال أنه قال لأبي جعفر عليه السلام:

«إنهم يقولون: إن المهدي لو قد قام لاستقامت الأمور!! عفواً ولا يهريق محجمة دم.

فقال الإمام محمد الباقر عليه السلام:

«كلاّ والذي نفسي بيده، لو استقامت لأحد عفواً لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أدميت رباعيته، وشجّ في وجهه، كلا ـ والذي نفسي بيده ـ حتى نمسح نحنُ وأنتم العَرَقَ والعَلَق. ثم مسح جبهته.»[1]

وهذا يوحي بشدائد وغمار ما يخوضه المهدي المنتظر إزاء ترويض المعارك الفاصلة بشكلها الإيجابي المؤثر.

أما الأسلحة التي يستخدمها الإمام عليه السلام، فقد تكون متطورة تطوراً هائلاً بحيث يتضاءل أمامه المجهود التكنولوجي والتقدم الصناعي بكل مكتشفاته ومعداته، فيتفوق عليه كماً وكيفاً، ويتحرك بأسلحة جديدة أكثر تطوراً، وأجدى فاعلية، وأسرع تأثيراً، وهذا هو المرجّح في البحث، إذ يهبُ الله له مفاتح العلوم، ويحلّ له مغالق الأمور ـ كما سيأتي في الروايات ـ فيبتكر ما يلائم حروبه من السلاح الجديد الصاعق.

وقد تكون معاركه بالسلاح التقليدي القديم، كأن تقوم ـ قبل ظهوره ـ حرب عالمية لا تبقي ولا تذر، ويكون السلاح النووي المدمّر على رأس الأسلحة فيها، فتنتهي معالم الحضارة القائمة، ويعود الإنسان إلى أسلحته البدائية، بعد أن تعود المصانع الحربية كتلاً من الحديد المتناثر هنا وهناك، أو ركاماً غير متجانس من المخلفات.

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٥٨/٥٢.

وترجيحنا للرأي الأول ينطلق من ظاهرتين:

الأولى: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]

فالآية توحي بتمكين الله تعالى لسكان الأرض بإعمارها، فتعمر بشكل رائع عجيب، وقد أخذت زخرفها وازينت للناظرين، حتى يظن أهلها قدرتهم المطلقة عليها في مناحي الحياة كافة، والعسكرية والصناعية والتقدم الحضاري من مفردات تلك الزخارف ومظاهر تلك الزينة، حين ذاك يأتي أمر الله.

الثانية: الإشارة في الروايات بل التصريح ـ كما مرّ وسيأتي ـ إلى استمرارية الحياة بإطارها العلمي المتنوع، وأنه سوف يتكامل بأتم وجه، حتى ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

إن قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون، وينظرون إليه وهو في مكانه.»[2]

وفي رواية أخرى: «فلا يبقى أهل بلد إلاّ وهم يظنون أنه معهم.»[3]

وهذا قد يؤول بالملحظ الإعجازي، ولا مانع منه، ولكنه قد يتحقق علمياً بما نشاهده اليوم من البث العالمي في أجهزة الفضاء العملاقة، ومشاهد التلفزيون المتطورة، وسيل الاختراعات الحديثة في أجهزتها الدقيقة التي تضم بين دفتيها ما يختزن بملايين المعلومات التي يمثل قسماً منها الانترنيت وتفريعاته.

---

(١) سورة يونس/ ٢٤.

(٢) الكليني/ روضة الكافي/ ٢٠١ + المجلسي ٣٣٦/٥٢.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٢٥/٥٢.

يضاف إلى هاتين الظاهرتين أن الروايات التي تتحدث عن النصر الساحق للإمامعليه السلام، والرعب المحيط بأعدائه من كل جهة وفي أي مكان، يوحيان بأن لدى الإمام من الإمكانات الحربية مالم يخطر على ذهن قادة العالم.

وبهذا السلاح المحتمل جداً، وبالاختراق الغيبي يسجل الإمام انتصاراته في الشرق والغرب.



الفصل الثاني

الإمام المهدي في العراق

دخول الإمام النجف الأشرف والكوفة.

الإمام المهدي في الكوفة الغرّاء.

الإمام يتخذ الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية.

الإمام في مجابهة الخوارج وأعداء الإسلام.

ازدهار الحياة في الكوفة والعراق.

دخول الإمام النجف الأشرف والكوفة

تشير الروايات إلى دخول الإمام المهدي عليه السلام إلى العراق عن طريق النجف الأشرف فالكوفة الغرّاء، وذلك بعد تحرير الحجاز كليّاً، وانضمام اليمن اليه بقيادة الرجل اليماني، وخروج الخراساني وقيام المعركة بينه وبين الخراساني، وتخليص سبايا الكوفة من الأسر على يديه.

ويكون ذلك كلّه تمهيداً استراتيجياً للإمام عليه السلام، يسهّل عليه اقتحام العراق بقواته العسكرية.

هذه الروايات على جانبين:

الأول: يشير إلى دخول الإمام إلى النجف الأشرف برّاً تحتضنه الملائكة بالصورة التي يرسمها الإمام محمد الباقر عليه السلام بأنه قال:

«كأني بالقائم على نجف الكوفة، وقد سار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة، جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، والمؤمنون بين يديه، وهو يفرق الجنود في البلاد.»[1]

وهذه الرواية صريحة بأن الإمام المهدي عليه السلام يتجّه إلى العراق ويدخله عن طريق النجف الأشرف.

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٣٧/٥٢ وانظر مصدره.

ولفظ «كأني» بروايات الأئمة عليهم السلام، يعني وقوع الحدث الذي يرونه قطعاً، فهو كالمشاهد القائم بالنسبة لهم عليهم السلام، ومعنى هذا أن دخول الإمام النجف الأشرف من الأمر المحتوم، ويكون دخوله فريداً في كيفيته، فهو محاطٌ بخمسة آلاف من الملائكة، جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، والمؤمنون مجندون بين يديه، والمراد بهم من يسير معه من العدة الثلاثمائة وثلاثة عشر، إلى الأنصار في العقد الذي هو عشرة آلاف، مضافاً إلى بقية الأتباع والموالين للإمام من بني هاشم في الحجاز، ومن أوليائه في جزيرة العرب، ومن أنصاره من اليمانيين، وسوى هؤلاء من الملتحقين بالإمام من الحجاز والخليج، ويكون هذا الدخول بريّاً.

الثاني: يشير أن الإمام المهدي أرواحنا فداه يدخل العراق جواً، ويهبط في النجف الأشرف، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾(١)

يقول الإمام الباقر عليه السلام بعد تفسيرها:

«ينزل القائم ـ يوم الرجفة ـ بسبع قباب من نور، لا يُعلم بأيّها هو، حتى ينزل ظهر الكوفة.»(٢)

هذه الرواية تشير أن الإمام يهبط جواً في ظهر الكوفة، وظهر الكوفة هو النجف الأشرف، ويكون موكبه مؤلفاً من سبع قباب من نور.

هذه القباب المضيئة السبع قد تكون من أنواع المركبات الفضائية التي تبدو إنارتها ليلياً، فيكون دخوله النجف الأشرف بها ليلاً، وفي حركة

---

(١) سورة الرحمن/ ٣٣.

(٢) العياشي/ التفسير ١/١٠٣.

سريّة، فيها تعتيم على المركبة التي هو فيها، فهي محاطة بالكتمان «لا يُعلم بأيّها هو».

وتلك احتياطات أمنية تمليها الضرورة القيادية، لأن في الكوفة وظهرها فصائل خارجة على الإمام، وروايات مشتبهة تضلل الناس عن الإمام، ولأن الإمام في استيلائه على الحجاز واستجابة أهل اليمن والخراسانيين له، قد اكتسب شهرة عالمية كبرى، فلا بد له، ـ والحالة هذه ـ من التحرك الحذر في سريّة تامة، لاسيما وهو في رحلة اختراقية ومن قطر إلى قطر.

وقد تكون هذه القباب السبع سرباً من الطائرات الجوية المتطورة يستعملها الإمام في تحركه هذا، وهو يغادر إقليمياً كبيراً إلى إقليم جديد، فيه أعداؤه وأولياؤه، وعليه الحذر من أعدائه، والمفاجئة السارّة لأوليائه.

وقد يكون هذا التحرك الجوي ظاهرة فريدة خصّ بها الإمام في عصره على سبيل الكرامة الإلهية، تسخيراً للسحاب بحمله مثلاً، كما سخّر الريح لسليمان عليه السلام، وقد يكون هذا التسخير الجوي على نحو إعجازي يفوق تصورنا الفعلي في إدراك حقائق الأشياء.

وللجمع بين الروايات يمكن القول: أن قوات الإمام الحربية وجحافله العسكرية سوف تتحرك براً، وعليها جمهرة من القيادات تدخل النجف الأشرف محاطة بالملائكة والأصحاب والأنصار والأولياء، والإمام نفسه وكوكبة من قيادته العليا على اتفاق مسبق في تحديد يوم الدخول للعراق، فيكون هو عليه السلام وكوكبة من قيادته يلتحقون بقواتهم جواً بهذه الصورة والله العالم.

ومن الطبيعي أن الإمام عليه السلام سيقوم بزيارة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام

شوقاً وتبركاً واعتداداً به، إلا أن الروايات ساكتة عن هذا الأمر في هذه اللحظات.

ومن هناك يشرف الإمام عليه السلام على تهيأة المناخ لإحلال الجيش وإسكانه، وتأمين احتياجاته الملحّة بالتخطيط الأولي لذلك حتى الاستقرار في الكوفة.

الإمام المهدي في الكوفة الغرّاء

ويدخل الإمام الكوفة جهاراً، ويحتفى بقدومه استبشاراً، وفي زحمة الاحتفاء به والاحتفال المدوّي بلقائه الشريف، يتوجه على الفور إلى جامعها الكبير، ويخطب فيه، ويحدث ذلك الخطاب ضجة كبرى في المناخ النفسي العام، ويتنفس المؤمنون الصعداء، ويهنئ أحدهم الآخر على هذا التوفيق العظيم بالتشرف والتعرّف على الإمام، ويتسع المقام للعواطف الولائية المخلصة، وتستشعر النفوس الاطمئنان، وتتجلى دهشة المشاعر بهذا اللقاء الكريم، وتلتقي الأحاسيس بالفرح الغامر، فتشيع البهجة بين الأحباء، والأولياء، في حين تتواجد في الكوفة ثلاث جبهات يعمل بعضها ضد الإمام، أو جبهة واحدة له من الأغلبية الجماهيرية الساحقة، واثنتان لأعدائه، ولكنها تستسلم للإمام بمشاهدة دلائل الإمام، أو بمجاهدة الإمام لهم، فقد روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«يدخل الكوفة (يعني الإمام المهدي) وبها ثلاث رايات قد اضطربت فتصفو له، ويدخل حتى يأتي المنبر فيخطب، فلا يدري الناس ما يقول من البكاء.[1]

ويستظهر الأستاذ علي الكوراني دام علاه أن هذه الرايات ثلاثة

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٩.

اتجاهات متضاربة فيما بينها، ويبدو أنها: الاتجاه المؤيد له عليه السلام، والاتجاه المؤيد للسفياني، والثالث: اتجاه الخوارج.(١)

وفي النصّ دلالة ضمنية أن موجة الفرح الشديد تملأ قلوب أهل الكوفة وحضّار المسجد لدى خطبة الإمام على منبرها:

«فلا يدري الناس ما يقول من البكاء» وهو بكاء الاغتباط والسرور بلقيا الإمام عليه السلام، والتشرّف بالنظر إلى تلك الطلعة السعيدة التي طالما تشوّقوا إلى رؤيتها، ولابد أن يكون الخطاب مؤثراً في مضامينه وتوجهاته، حينئذٍ تجيش العواطف الكامنة وتنطلق من مخبئها في الصدور، فتنهلّ الدموع من العيون تلقائياً، ويتعالى بكاء الفرح نشيجاً وأصداءً.

وهذا المظهر العاطفي الصارخ دليل الولاء المحض، وعنوان التطلّع التام لذلك اليوم المبارك الذي تنتظره قواعد الإمام وهو يخطب مبشراً بيوم الخلاص من على منبر جامع الكوفة.

وهذا ما يفسر لنا الرواية القائلة: أن أهل الكوفة الغرّاء أسعد الناس يومئذٍ بالإمام المهدي عليه السلام، فقد أورد السيد الأمين قدس سره عن كتاب «فضل الكوفة» لمحمد بن علي العلوي، بسنده عن أبي سعيد الخدري عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«يملك المهديّ أمر الناس... أسعد الناس به أهل الكوفة.»(٢)

ومعنى هذا أن المنطقة التي تشتمل عليها الكوفة بحدودها الجغرافية تاريخياً، تكون سعيدة بتواجد الإمام المهدي عليه السلام بين ظهرانيها، وما يجدده ويحدثه فيها من مشاريعه الحيوية الكبرى التي سيتحدث عنها

---

(١) ظ : علي الكوراني/ عصر الظهور/ ١٤٧.

(٢) محسن الأمين الحسيني العاملي/ المجالس السنية/ ٥/ ٤٤٢.

البحث في موقعه.

وينبغي التنبيه أن الكوفة السعيدة بالإمام عليه السلام، ليست هي هذه البلدة الصغيرة وحدها، وإنما تمتد حدودها الجغرافية والسكانية من بداية نهر الشنافية في الديوانية حتى صحراء النجف وتوابعها كافة، والى الحلة ونواحيها، وحتى كربلاء المقدسة وأطرافها، وهي مساحة واسعة جداً، هذا إذا كان المراد الكوفة وقصباتها، إمّا إذا أطلقت الكوفة ـ كما في لسان الروايات ـ وأريد بها العراق، كما هو المتعارف أن تسمى الأقطار بأبرز مدنها، فالكوفة إذن هي العراق من أقصاه إلى أدناه، وهو المتبادر إلى الذهن، وقديماً سميت هي والبصرة بالعراقين.

ويبدو أن الإمام المهدي عليه السلام ينزل أولاً في ظهر الكوفة (النجف الأشرف) ويبدأ بعمليته الجهادية من هناك، فيفرق قواته العسكرية في خطط منظمة في أمصار العالم، ومعنى هذا أن الإمام يتخذّ النجف الأشرف منزلاً موقتاً له لغايات عسكرية، فالرواية تقول:

«.... أنه ـ عليه السلام ـ يسير من مكة حتى يأتي الكوفة، فينزل على نجفها، ثم يفرّق الجنود منها في الأمصار.»(١)

وبعد هذه المهمة يتخذ الكوفة مقراً دائمياً كما عن الإمام محمد الجواد عليه السلام أنه قال: «ثم يرجع إلى الكوفة فيكون منزله فيها.»(٢)

والملفت للنظر حقاً أن الإمام عليه السلام في عملية النزول والتصرف وافتتاح هذه القصبات ـ وفيها بعض أعدائه يتربصون به ـ يكون مسدداً بالإمداد الإلهي الذي لا يفسر إلا بعناية ربانية خاصة، تكون فيها أسباب النصر سماوية المصدر، فيما تهبط عليه ملائكة بدر بالتأييد أو المشاركة، فعن الإمام الباقر عليه السلام:

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٩.

(٢) محسن الأمين/ أعيان الشيعة ٤/ق٣/٥٢٨.

«كأني بقائم أهل بيتي قد أشرف على نجفكم هذا (وأومأ بيده إلى ناحية الكوفة) فإذا هو أشرف على نجفكم نشر راية رسول الله، فإذا نشرها انحطت عليه ملائكة بدر.»(١)

وحينما يسأل الإمام عليه السلام عن ماهية هذه الراية، يقول: «عودها من عمد عرش الله، وسائرها من نصر الله لا يهوي بها على شيء إلاّ أهلكه الله.»(٢)

والرواية ذات تعبير كنائي في أبعادها، واستعمالات مجازية في ألفاظها، توحي جميعاً بالنصر المبين الذي لا تردّه أية قوة.

وتشير بعض الروايات إلى نوع خاص من المركبات المجهولة الهوية يمتطيها الإمام عليه السلام بعد لبسه لدرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا امتطاها الإمام، وانتفض بها أضاء بنوره أقطار الأرض، فعن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«كأني بالقائم عليه السلام على ظهر النجف: لابساً درع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيتقلص عليه، ثم ينتفض بها فتستدير عليه، ثم يُغشى الدرع بثوب استبرق، ثم يركب فرساً له أبلق، بين عينيه شمراخ ينتفض له، لا يبقى أهل بلد إلاّ أتاهم نور ذلك الشمراخ، حتى يكون آيةً له، ثم ينشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا نشرها أضاء لها ما بين المشرق والمغرب.(٣)

وكل هذه الألفاظ تعبير عن أجهزة متطورة إمّا علمياً وإمّا إعجازياً، تنير تارة لأهل كل بلد، وتضيء الكرة الأرضية في راية ينشرها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويعم ضوؤها ما بين المشرق والمغرب، ويبدو للبحث أن هذه الأجهزة تكون إعجازية لأن الله عزّ وجلّ يجعلها آية للإمام، أمّا الابتكارات

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٦٢/٥٢.
(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٦٢/٥٢.
(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٩١/٥٢.

العلمية فليست بإعجاز.

ولأمير المؤمنين في المعنى نفسه: «كأنني به قد عبر من وادي السلام إلى مسيل السهلة على فرس محجل له شمراخ يزهر.»[١]

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٩١/٥٢.

الإمام يتخذ الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية

يبدو أن الإمام المهدي عليه السلام بعد نزوله الموقّت في النجف الأشرف، يتخذ الكوفة مقراً له حتى يظهر عليها وعلى العراق جميعاً، ومن ثم يتخذ الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية.

فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام متحدثاً عن الإمام المهدي حين يأتي الكوفة، يقول: «ثم يأتي (الكوفة) فيطيل بها المكث ما شاء الله حتى يظهر عليها.»[1]

وغاية هذا المكث الطويل كما في لمح الرواية أن يظهر عليها ظهوراً بيّناً منظوراً إليه، فلا يختلف عليه أحد، ولا تجبهه معارضة تذكر، ولا تقف أمامه قوة عسكرية مهما عظمت، وهذا يدلّ بالضرورة أن الإمام يسعى جاهداً لإزالة كل الظواهر السلبية التي تقف حائلاً دون تقدمه في إرساء دعائم الدولة الجديدة، وذلك يقتضي النضال الدموي الحثيث، والجهاد الفعلي الذي لا يلين.

والروايات تشير أن الإمام المهدي عليه السلام في نزوله الكوفة الغرّاء، سوف يتتبع أصحاب الفتن ورؤوس الضلال، ووعاظ السلاطين، وعلماء السوء، ممن يكيدون للدين، ويتلاعبون بالشريعة المقدسة وفق

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٢٤/٥٢ وانظر مصدره.

أهوائهم، وتبعاً للرغبات.

ونضال الإمام عليه السلام في هذا المجال يتجلى بعدة ظواهر:

الظاهرة الاولى: يقوم الإمام المهدي عليه السلام بإنزال أقسى العقوبات التشريعية فيمن يتأولون الشريعة، ويكذبون على الله ورسوله، بما لم ينزل به الله سلطاناً، فعن أمير المؤمنين أنه قال:

«.... عند ذلك يقوم قائمنا، فيقدّم سبعين رجلاً يكذبون على الله ورسوله فيقتلهم، ثم يجمعهم على أمر واحد.»(١)

ويبدو أن هؤلاء السبعين من أكابر من غيّروا وبدّلوا وأَزادوا في دين الله مما ليس فيه أو منه، فهم يمثلون أصل الفتنة بين الناس، ومن الطبيعي أن الإمام عليه السلام إذا قضى على الأصل باستئصال دابر الكَذَبَة والمشعوذين ممن يكذبون على الله ورسوله، أن يجمع الله الناس على أمر واحد.

الظاهرة الثانية: أن الإمام عليه السلام يقوم بمجاهدة دعاة السوء ومحاور الشرّ، وفصائل الثورة المضادّة لتحركه الإلهي، ويتفرغ لعناصر التسلط الدنيوي والمفسدين في الأرض، وذلك بمعارك مسلحة يسفك فيها دماء أعداء الله، حتى لا يُبقي من المضلّين أحداً، وتعدّ معركته هذه من أكبر المعارك التطهيرية في الكوفة، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «إذا قام القائم سار إلى الكوفة فيخرج منها بضعة عشر آلاف أنفس (نفس)، يدعون «البترية» عليهم السلاح، فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة!! فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم، ثم يدخل الكوفة فيقتل كل منافق مرتاب، ويقتل منافقيها حتى يرضى الله عزّ وعلا.»(٢)

ويلاحظ في هذا النصّ ثلاثة أمور:

(١) المجلسي / بحار الأنوار ١١٥/٥٢.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٣٨/٥٢.

الأول: أن هؤلاء البترية مسلحون، وهم بأعداد هائلة، ويرفضون قدوم الإمام فضلاً عن استقباله قائلين له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في بني فاطمة.(١)

الثاني: أن الإمام عليه السلام، يضع فيهم السيف حتى يستأصلهم استئصالاً مبرماً، فلا ينجو منهم أحد.

وهذا الإجراء العنيف بهذه الآلاف الضالة المضلة، كونهم دعاة الفساد في الأرض، وقد رفضوا جهاراً قبول الإمام في مشروعه الإلهي، فهم يشكلون عقبة كبرى في طريق إقامة دولة الإسلام، وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، فلابد من الإثخان في الأرض، والقضاء الصارم لفسح المجال أمام الدعوة إلى الله أن تأخذ موقعها الكريم في حياة الأمة، وإزالة العقبات المانعة من الطريق.

الثالث: أن الإمام عليه السلام لا يكتفي بهذه المعركة الفاصلة، حتى يدخل الكوفة فيقتل فيها كل منافق مرتاب مضافاً إلى ذلك، بل يقتل المنافقين كافة حتى يرضى الله تعالى، وهذا ما يفسر لنا فلسفة الرواية السابقة من إطالته المكث في الكوفة حتى يظهر عليها والظهور هنا يعني أن الكوفة تصفو له بعد مجابهة الخارجين عليه، والمنافقين مَنْ هم على خط السفياني، بالقتال الدامي، وهذا يعني أن أعداء أهل البيت سوف يتجمعون في الكوفة من العراق كله لدى سماعهم بنبأ دخول الإمام للكوفة، ويدلّ على ذلك ـ وقد اتخذ الكوفة عاصمة للدولة الإسلامية ـ ما هو أشدّ مما وقع كما في نص رواية للإمام الصادق عليه السلام، تؤكد أن القبائل العراقية تعلن مقاومتها وعداءها السافر للإمام فيهدر الإمام دماءهم، يقول الصادق عليه السلام

---

(١) يذهب بعض العلماء أن البترية؛ هم أولئك الذين يتظاهرون بحب أهل البيت وولايتهم عليهم السلام، ولكنهم لا يتبرأون من أعدائهم، فكأنهم بتروا الأمر، والله العالم.

«يتوجه إلى الكوفة فينزل بها، ويبهرج دماء سبعين قبيلة من قبائل العرب.»[1]

ومعنى هذا أن المنحرفين عن الخط الإسلامي والخارجين على الإمام طوائف عديدة بألوف الرجال، حتى أنها تضم من بينها سبعين قبيلة من القبائل العربية، فيهدر الإمام دماءهم ويحكّم السيف فيهم، ولا يستبقي منهم نافخ نار.

ومع كل هذا نجد الإمام عليه السلام، وقد ابتلي بمقاومة المعارضة لخطّ أهل البيت عليهم السلام، فتخرج عليه بين الآونة والأخرى خارجة عليه، رغم تصفيته لعناصر الضلال والدجل الديني، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال:

«بينا صاحب هذا الأمر قد حكم ببعض الأحكام وتكّلم ببعض السنّة، إذ خرجت خارجة من المسجد يريدون الخروج عليه، فيقول لأصحابه: انطلقوا!! فيلحقونهم بالتمّارين (محلة بالكوفة) فيأتون بهم أسرى، فيأمر بهم فيذبحون، وهي آخر خارجة تخرج على قائم آل محمد.»[2]

وهذه الجماعة الخارجة قد أثيرت بما صدر عن الإمام من الأحكام، في ضوء الكتاب والسنّة، مما لم تحتمله مدارك هؤلاء لابتعادهم عن حضيرة الإسلام، فأوقدت بهم حميّة ونخوة جاهلية ضد الإمام، ولا جواب لهؤلاء عند الإمام إلا السيف.

ومع هذه الآليات ذات الاعتبار في النظر العقلي، نجد الإمام في مجابهة مستمرة مع الخارجين علية، وفي صدام دائم مع العقلية البدوية التي تعاصره، وهي تحسب أن ما يقوم به من الأمر، وما يحققه من القضاء الإلهي جديداً عليها في كل الأبعاد، فقد روي عن الإمام محمد

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٢٨٤.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٤٥/٥٢.

الباقر عليه السلام، أنه قال: «يقوم القائم بأمر جديد، وقضاء جديد، على العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف...»(١)

ويبدو أن الانحراف عن خطّ الإمام من قبل فصائل الخارجين عليه، قد تأثر بحوادث السفياني، وما استباحه جنده في الكوفة قبل قدوم الإمام، وقبل تحريرها من ربقة أعداء الله، فعن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام متحدثاً عن المهدي بما روي عنه:

«ثم يسير حتى ينتهي إلى القادسية، وقد اجتمع (الناس) بالكوفة، وبايعوا السفياني.»(٢)

والرواية تؤكد وجود أتباع للسفياني ومبايعين له في الكوفة.

بيد أن الإمام يطهّرها من دنس هؤلاء، ويقضي على أنصار السفياني، فلا تبقى منهم باقية.

وهنا يبدأ تجمع أولياء الإمام المهدي بصورة مكثفة في الكوفة، بل ويتوافد عليها أصحاب الإمام وأعوانه من شتى بقاع العالم، وتكون الكوفة عامرة بهؤلاء الأولياء، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام:

إذا دخل القائم الكوفة لم يبقَ مؤمن إلا وهو بها أو يجيء (يحنّ) إليها.»(٣)

وهذا التواجد المكثّف إنما يتم بعد الهزّات العالمية المتكررة، التي تحدثها أنباء انتصارات الإمام الباهرة لأعدائه وأوليائه على حدّ سواء ولكنه متباين، أما الأعداء فلا يزالون في غيظهم وحنقهم من تمكين الله للمهدي عليه السلام في الأرض.

وأمّا الأولياء، فإنهم بعد حالة الترقب والانتظار، يهبّون للالتقاء

---

(١) المصدر نفسه ٣٥٤/٥٢.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٨٧/٥٢.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٣٠/٥٢.

بالإمام عند تحريره الكوفة، فيكون هنالك تجمعهم الهائل وتتسع الكوفة في بنيانها وسكانها على ما سيأتي، ويكون المناخ لأتباع أهل البيت عليهم السلام مهيئاً نفسياً واجتماعياً وعسكرياً ليكون الجمع المؤمن في الصورة من قضية الإمام الكبرى لتحقيق قوله تعالى في الوعد الصادق:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[1]

---

(١) سورة التوبة/ ٣٣.

الإمام في مجابهة الخوارج وأعداء الإسلام

ومع تدافع موجات النصر الحاسم التي ترافق مسيرة الإمام القيادية في عاصمته الكوفة الغرّاء ومدنها، والعراق وقصباته بعامة، فقد تشذّ المارقة، وتتحرك عليه الخارجة من هنا وهناك.

وكأن تجمع القوى المضادّة لثورته العارمة تحاول بشكل وآخر عرقلة المسيرة الظافرة!! وأنى لهم ذلك، والإمام يقابل أيّ تحرّك مشبوه بالقوة والفتوة حيناً، وبالكفاح المسلح حيناً آخر، وبالإجراءات الصارمة الحديّة سوى ذلك.

والإمام بهذا التوجه الجريء إنما يصفّي شذّاذ الآفاق، ويقضي على بقايا الأحزاب، فيبيد الرؤساء ويطفئ النائرة في صولات جهادية لا تكلّ ولا تملّ، فليس لهم إلا السيف.

ففي رواية عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«ليس شأنه إلا السيف، ولا يستتيب أحداً، ولا تأخذه في الله لومة لائم.»[1]

وقد يختلط الحابل والنابل لدى مقاتليه، فيتخذ الإمام خطة تميز بين أعدائه وأوليائه لدى القتال، وهو مبدأ جديد في عمليات الإمام

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٣٥٤ .

العسكرية، إذ يدعو عليه السلام اثني عشر ألف رجل من جيشه الموالي له، فيلبسهم زيّاً موحّداً، ويأمرهم أن يدخلوا مدينة من مدن الأعداء والخارجين عليه، أو الكافرين والمنافقين، فيقتلوا كل من لم يكن لابساً مثلهم فيفعلون.(١)

كما أن الإمام في هذا الكفاح الدامي، قد يعمد إلى التجمعات المضادّة غير البريئة فيفرقها تفريقاً، كما فرّق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين اتخذوا مسجداً ضراراً، وكذلك يفعل الإمام المهدي عليه السلام، ففي رواية أبي بصير عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«إذا قام القائم عجل الله فرجه سار إلى الكوفة فهدم بها أربعة مساجد»(٢)

هذا القرار في تنفيذه يعني أنّ هذه المساجد يسيطر عليها المبتدعة في الدين، والتي اتخذها القيّمون عليها إرصاداً للمؤمنين، ولم تؤسس على التقوى.

والإمام في العراق يتابع القوى الحاقدة على ثورة الإسلام، فيقضي على مؤامراتهم ومخططاتهم قبل التنفيذ أو عنده، فهنالك خارجة ذات تجمّع كبير جارف تخرج عليه من قرية مغمورة من قرى شهربان في بعقوبة (ديالي) يتنادى بها لفيف من ههنا وهنا، فيكونون عشرة آلاف مقاتل، فيرسل الإمام قائداً مظفرّاً من قواده فيبيدهم عن آخرهم، كما جاء ذلك برواية أبي بصير عن أحد الصادقين عليهما السلام، قال:

ثم لا يلبث (المهدي) إلاّ قليلاً حتى تخرج عليه مارقة الموالي برميلة الدسكرة، عشرة آلاف... فيدعو رجلاً من الموالي فيقلده سيفاً، فيخرج إليهم فيقتلهم حتى لا يبقى منهم أحد.»(٣)

---

(١) المصدر نفسه ٣٧٧/٥٢ وانظر مصادره.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٤١٢.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٣٣/٥٢.

ويؤيد هذه الرواية بالملحظ نفسه رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام متحدثاً عن الإمام المهدي عليه السلام، ومخاطباً بعض العراقيين:

«... فتخرجون عليه برميلة (الدسكرة) فتقاتلونه فيقاتلكم فيقتلكم، وهي آخر خارجة تكون.»[١]

وللتاريخ أقوال: كنت حينما أقرأ هذه الرواية وما يؤيدها ينتابني العجب والاستغراب، وأقول في نفسي: أهالي بعقوبة أناسٌ مسالمون، عرفوا بالطيبة والهدوء طيلة تاريخ العراق السياسي، فكيف يتجمع في قرية أو بلدة منها آلاف المقاتلين، ويخرجون على الإمام المهدي عليه السلام؟ حتى إذا ابتلينا بموجات الإرهاب المتلاطمة من قبل الحاقدين وأعداء الإنسانية، وقد سجلت في محافظة ديالى رقماً قياسياً، وعملوا الأفاعيل التي يندى لها الجبين، وعمدوا إلى ارتكاب الفجائع والفظائع بمسمع وبمشهد من العالم، وما زالوا كذلك حتى اليوم، لا يرحمون صغيراً ولا كبيراً، ويقتلون الشيوخ والنساء والأطفال، ويقصفون المنازل والديار، ويهلكون الحرث والنسل، مع شدة القبضة عليهم، وتعقب الدولة لهم، وضجيج الأهالي منهم، حينذاك أدركت مغزى هذه الروايات، وعلمت أن ذلك سرٌ من أسرار آل محمد صلوات الله عليهم.

ومهما يكن من أمر، فإن أمثال هذا المناخ الذي يجابه الإمام المهدي عليه السلام، يفسر لنا عمق الالتفاف ضد ثورته التغييريّة الشاملة من قبل الفئات المستفيدة بأنظمة الطواغيت، والجهات التي تعادي الإسلام ومشروعه الكبير، وتنصب العداء لأهل البيت عليهم السلام بشتى الأساليب، حتى أنه يلاقي من العنت واستغفال السذج من الناس ما ينوء به كاهل المصلحين، وذلك أن أعداءه يتأولون القرآن عليه، فعن الإمام

---

(١) المصدر نفسه /٥٢/٣٧٥.

الصادقعليه السلام، أنه قال:

«إن القائم يلقى في حربه مالم يلقَ رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، لأن رسول الله أتاهم وهم يعبدون الحجارة المنقورة والخشبة المنحوتة، وإن القائم يخرجون عليه، فيتأولون كتاب الله ويقاتلونه عليه.»(١)

ولا ينفع القوم حجاج منطقي يدور مع الحق حيثما دار، ولا سبيل معهم إلى الحكمة والموعظة الحسنة، فهم يرفضون ذلك كله، ويتنمرون للإمام فلا يعطيهم إلا السيف كما تصرح بذلك الروايات.

فإذا رأى بعض أبناء عمومته وولد أبيه هذا الحزم الصارخ في إبادة أعداء الإسلام يخامره الاضطراب نفسياً، ويعبّر عن دهشته مرتبكاً بين يدي الإمام، فعن الإمام الصادقعليه السلام، أنه قال:

«يقبل القائم حتى يبلغ السوق، فيقول له رجل من ولد أبيه: إنك لتجعل الناس إجفال النعم، فبعهد رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، أو بماذا؟ قال: وليس في الناس رجل أشدّ منه بأساً، فيقوم إليه رجل من الموالي ويقول له:

لتسكتن أو لأضربن عنقك:

فعند ذلك يخرج القائم عهداً من رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم.»(٢)

وفي رواية أخرى أن القائل للعلوي ـ كما عن الإمام محمد الباقر ـ «والله لتسكتن أو لأضربن عنقك» هو المولى الذي يتولى البيعة للإمام، وحينما يخرج الإمام له عهداً من رسول الله بإملائه وخطّ عليعليه السلام فيقرأه يقول:

«جعلت فداك، أعطني رأسك أقبّله فيعطيه رأسه، فيقبل بين عينيه، ثم يقول: جدد لنا بيعة، فيجدد له بيعة.»(٣)

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٦٣/٥٢.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٨٧/٥٢.

(٣) المصدر نفسه ٣٤٣/٥٢.

فكأنه بعد أن رأى برهان الإمام اعتبر أن هذا الاعتراض مما يقدح ببيعته له، فجدد البيعة.

وتشير الروايات أن المدة الزمنية التي يقاتل فيها الإمام المهدي عليه السلام الخوارج والمَرَدَةَ ودعاة الكفر والضلال تستمر ثمانية أشهر، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام: «بأبي ابن خيرة الإماء، لا يعطيهم إلا السيف هرجاً هرجاً موضوعاً على عاتقه ثمانية أشهر.»[1]

ويبدو أن هذه المدّة كافية للقضاء على المؤامرات المشتركة، وقادرة على تنقية الجو العام أمام زحفه المقدس لإقامة دولة العدل.

---

(١) ابن أبي الحديد/ شرح نهج البلاغة ١٧٨/٢.

ازدهار الحياة في الكوفة والعراق

وتزدهر الحياة في الكوفة الغرّاء بخاصة وفي العراق بعامة بعد سيطرة الإمـام على مدن العراق وقصباته، فلا خوارج عليه، ولا فئات معادية، ولا تجمعات مضـادّة، فيطيب له المقام في الكوفة بتخطيط مثالي خالٍ من التعقيد الذي تجري عليه جمهرة الحكومات الظالمة، بما يتحدث عنه الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

دار ملكه الكوفة، ومجلس حكمه جامعها، وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة، وموضع خلواته الذكوات البيض من الغريين....»(١)

هذا النصّ تفصيلي على إجماله، فالكوفة عاصمة الإمام المهدي عليه السلام، كما كانت عاصمة جده أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ومجلس حكمه وقضاؤه بين الناس والفصل في الخصومات ومركز القيادة: جامع الكوفة، وخزانة الدولة وغنائم المسلمين: مسجد السهلة وموضع خلواته في الإخبات إلى الله عزّ وجلّ، والإنابة إليه تعالى، وممارسة عباداته الربانية في النجف الأشرف، وهو بين الذكوات البيض

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٣/١١.

وهي عبارة عن ثلاثة تلول صغيرة تحيط بحرم أمير المؤمنين عليه السلام، وهي جبل الرحمة في البراق وعليه مسجد الطريحي اليوم، وجبل الديك وهو في نهاية شارع الشيخ الطوسي في محلة المشراق، وجبل «شرف شاه» كما يسمونه منذ أدركناه نسبة إلى السيد شرف شاه الحسيني، وهو بين محلتي العمارة والحويش مما يلي مسجد الهندي حتى يقارب الصفا «مرقد صافي صفا».

والغرّيان مفرد الغري، وهو النجف الأشرف.

والملفت للنظر أن في الرواية نفسها حديثاً شيّقاً عن امتداد الكوفة وامتدادها طولياً بما يقارب المائة كيلو متر، أو عرضياً في المساحة العامة، وفي الرواية تصريح بإعمار كربلاء المقدسة روحياً وإعلامياً وعالمياً، فيصبح لها شأن من الشأن.

يقول الإمام الصادق عليه السلام عن الكوفة الغرّاء:

«والله لا يبقى مؤمن إلا كان بها، وحواليها، (وفي رواية أو يجيء إليها، وفي أخرى أو يحنّ إليها، ولتصيرن الكوفة أربعة وخمسين ميلاً، ولتجاورّن قصورها قصور كربلاء، وليصيّرنّ الله كربلاء معقلاً ومقاماً تختلف إليه الملائكة والمؤمنون، وليكونن لها شأن من الشأن»[1]

ويبدو من هذا أن حركتي الإعمار والإسكان وتخطيط الأحياء والمدن، وتوافر القرى والبساتين، وإحياء الأرض الموات سيكون مطرّداً في أطراف الكوفة الكبرى ونواحيها وأطرافها، لتشمل مساحات واسعة من الأرض، وها نحن نلاحظ بوادر ذلك في الزمن الحاضر اليوم (شعبان/ ١٤٢٩ هـ)في الإعمار والاتساع للكوفة شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، وهو ما تؤكده في المنظور القريب رواية أخرى للإمام الصادق عليه السلام: «وتتصل

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ١١/٥٣.

بيوت الكوفة بنهري كربلاء والحيرة.»(١)

وروي مسنداً إلى حبة العرني رضوان الله عليه قال:

خرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحيرة فقال:

«لتتصلن هذه بهذه (وأومأ بيده إلى الكوفة والحيرة) حتى يباع الذراع فيما بينهما بدنانير.»(٢)

والمراد بالدنانير بلغة ذلك العصر هي الدنانير الذهبية، وتنكيرها في الرواية يوحي بكثرتها وغلاء الأثمان.

وهذه الرواية كبقية الروايات التي تتحدث عن حقيقة مستقبلية تؤكد حياة التخطيط الحصري للمدن، ولم يكن بالحسبان آنذاك هذا الامتداد الجغرافي الكبير، ولا هذا الاستيطان السكاني المكثّف في عصر الأئمة عليهم السلام، إلاّ أن مصداقية مظاهره اليوم في سبيلها إلى تحقيق هذا الملحظ الغيبي الدقيق، فقد اتصلت الكوفة الغراء ـ اليوم ـ بالنجف الأشرف، وامتدت بوادر الإعمار وبناء الديار نحو الحيرة جنوباً، واتجهت نحو كربلاء المقدسة شمالاً، وبدأت أسعار الأراضي بالارتفاع ارتفاعاً كبيراً حتى عادت الأرقام بالتصاعد إلى مبالغ خيالية، لو صُرّح بها قبل ألف عام لكان ذلك من الهذيان الذي لا يصدق، ولكنه الحق الذي انطلق من ملحظ إعجازي في لمح الغيب البعيد.

وإذا تجاوزنا هذه الظاهرة فيما سيحدث في الظهور المبارك فإننا سنقف على ظاهرة حضارية لها أهميتها في الإنعاش الاقتصادي، وتلك هي مشاريع الري والإصلاح الزراعي واستصلاح الأراضي، فإنها ستأخذ دورها الإيجابي في حيّز التنفيذ مما يؤثر تأثيراً مباشراً في مجال الازدهار العراقي، وهنالك عدة روايات تشير إلى ذلك، فعن الإمام محمد

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٢٨٠.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/ ٣٧٤.

الباقر عليه السلام أنه قال: «.... ثم يأمر (أي المهدي) من يحفر من مشهد الحسين عليه السلام نهراً يجري إلى الغريين حتى ينزل الماء في النجف، ويعمل على فوهته القناطر والأرحاء.»(١)

وهذا يعني الحدب على إرواء الأراضي في الصحراء وانتشار الزراعة واصطفاف الحقول والبساتين، وهو يعني استثمار الأيدي العاملة في الجهد وإحياء الموات، فيتقلص ظل البطالة.

واستغلال الثروة المائية إحدى مهمات دولة الإمام العالمية، حتى تؤتي الأرض أكلها، وتؤمن حياة الناس بمزيد من المؤن والضرورات الغذائية، فعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«.... وتزيد المياه في دولته، وتمدّ الأنهار، وتضاعف الأرض أكلها.»(٢)

وفي إفاضات مهمة على هذا المنحى تتحدث رواية أخرى عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«يخرج - في آخر أمتي- المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة.»(٣)

ويوالي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالبشائر لأمته في عصر الإمام المهدي، ليشدّها تطلعاً لذلك العصر الذهبي الذي تستشعر به الأمان بعد الذعر والاضطراب، وتنعم بالخيرات والبركات بعد البؤس والحرمان، فعن أبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«تنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم يتنعموا مثلها قط، ترسل

---

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٢٨١ + الأمين/ أعيان الشيعة ٤/ق٣/٥٢٨.

(٢) السلمي السافعي/ عقد الدرر/ ١٤٩.

(٣) المصدر نفسه/ ١٤٤.

السماء عليهم مدراراً، ولا تدع الأرض شيئاً من نباتها إلاّ أخرجته.»[١]

ولا تحسبن ذلك خاصاً بالعراق وحده، بل تشمل هذه النعم أقطار الدنيا كافة في ظل قيادته الحكيمة، وببركة وجوده على الأرض حاكماً ومتمكناً ووارثاً.

وقد أكّد أمير المؤمنين عليه السلام هذا الأثر في معالم الحكم الإلهي، فقال:

«..... ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها... حتى تمشي المرأة لا تضع قدميها إلاّ على النبات.»[٢]

وهذا يعني إحياء الأرض الموات، فتعود البراري الجرداء جناتٍ تجري من تحتها الانهار، حتى يستوعب ذلك الاحياء تلك الصحاري فتصبح نضرةً في أشجارها وأثمارها وخيراتها وعطائها.

بل ويبارك الله تعالى في المحاصيل بما يضاعفه بمنّة وكرمه حباءً وتفضلاً، فعن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال:

«ويزرع الإنسان مدّاً يخرج له سبعمائة مدّ كما قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[٣][٤].

والمدّ مكيال متعارف عليه في صدر الإسلام، ويقدّر بثلاثة أرباع الكيلو، أو يزيد على ذلك قليلاً.

وتوحي هذه الروايات الشريفة مضافاً إلى الفهم الأولي بدلائل أهمها: إباحة الملكية الفردية، وإعطاء الحرية للإنسان فيما يزرع، ونصبه سيداً

---

(١) المصدر نفسه/ ١٤٠ أخرجه عن الطبراني في المعجم الكبير.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٢/٣١٩.

(٣) سورة البقرة/ ٢٦١.

(٤) السلمي الشافعي/ عقد الدرر/ ٢٠٠.

على أرضه، والأصل في ذلك ما روي عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: «من أحيا أرضاً مواتاً فهي له.»(١) وعليه قول الامام محمد باقر عليه السلام:

«أيّما قوم أحيوا شيئاً من الأرض وعَمَروها، فهم أحقّ بها وهي لهم.»(٢)

وفي ظل هذا الإنماء والاستثمار يحدث الإمام المهدي عليه السلام تغييراً جذرياً في حياة الناس، فالإنفجار السكاني في دولته المرتقبة بحاجة إلى الشوارع الفارهة والميادين العامة، لتحلّ مشكلة الكثافة البشرية، باستيعابها مثلاً بتأمين الطرق على الوجه الأتم، لذلك نلمس الحلول الفعلية مواكبة لمتطلبات عصر الازدهار، فمن أوائل ما تنهد به دولة الإمام الأمر بتوسعة الطرق العامة إلى ستين ذراعاً عرضاً، وذلك أهم عمل يقضي على مشكلة المرور ووسائط النقل.

ومن ثم يكون العمل على تأمين هذه الشوارع من الاعتداء على الحق العام باستغلالها لمصالح فردية، فيأمر الإمام بهدم كل شرفة وجناح خارج نطاق البيوت، ويأمر بغلق كل النوافذ التي تطلّ على الآخرين، وإلغاء ما يسمى بـ «حرية الشبابيك» التي تسمح لعائلة ما وشبابها بالاطلاع على ما في بيوت الناس، لأن في ذلك مظنّة للفساد وتدهور للأخلاق.(٣)

ونظراً لاتساع الكوفة بأهلها، وتوافد الناس على النجف الأشرف وعليها لدى الظهور المبارك، فقد ورد أن الإمام المهدي عليه السلام، يصلي الجمعة الأولى بجمع كثيف لا يتسع له المسجد فـ «يبني في ظهر الكوفة (النجف الأشرف) مسجداً له ألف باب.»(٤)

---

(١) الحر العاملي/ وسائل الشيعة ٣٢٧/١٧.

(٢) المصدر نفسه ٣٢٧/١٧.

(٣) ظ: الطوسي/ الغيبة/ ٢٨٣ وانظر القزويني/ الإمام المهدي/ ٦٢٣.

(٤) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٣٠/٥٢.

فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام متحدثاً عن السبب في بناء المسجد الكبير هذا، قال:

«فإذا كانت الجمعة الثانية، قال الناس:

يا ابن رسول الله، الصلاة خلفك تضاهي الصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمسجد لا يسعنا، فيخطّ مسجداً له ألف باب يسع الناس.»(١)

وهذا التحديد لكبر المسجد بأن له ألف باب، إما أن يكون جارياً على الحقيقة فهو ذاك، وإما أن يكون تعبيراً مجازياً عن عظم مساحة المسجد.

وبناء هذا المسجد الكبير يأتي تلبية لمطالب الناس، وما تمليه ضرورة تهيأة المكان الذي يتسع لهم، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام ورد النص الآتي:

«فإذا كانت الجمعة الثانية سأله الناس أن يصلي بهم الجمعة، فيأمر أن يخط له مسجد على الغري، ويصلي بهم هناك.»(٢)

وهذا المشروع قد استفاضت به الروايات، ولا مانع من قبولها، فالمهدي حينما يظهر ويستقر بالكوفة ملايين الناس بإزاء قصده، فيزداد الإقبال منهم على الصلاة بإمامته، ويضيق بهم مسجد الكوفة على كبره، فعن المفضل بن عمر، قال:

سمعت أبا عبد الله عليه السلام (يعني الإمام الصادق) يقول:

إذا قام قائم آل محمد عليه السلام بنى في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب، واتصلت بيوت أهل الكوفة بنهري كربلاء..»(٣)

وتعليقاً على هذه الروايات، يقول الأستاذ علي الكوراني:

---

(١) المصدر نفسه ٣٣١/٥٢.

(٢) المفيد/ الإرشاد ٤٠٩.

(٣) المفيد/ الارشاد ٤٠٩.

«وتصبح الكوفة والسهلة والحيرة والنجف وكربلاء محلاتٍ لمدينة واحدة يتردد ذكرها على ألسنة شعوب العالم وفي قلوبهم، ويقصدها القاصدون من أقاصي المعمورة ليلة الجمعة، ويبكّرون لأداء صلاة الجمعة خلف الإمام المهدي في مسجده العالمي ذي الألف باب بين الكوفة وكربلاء، فلا يكاد الواحد يحصل على موضع صلاة بين عشرات الملايين القاصدة.»(١)

وهذا يعني تفاعل المنطقة مع العالم، واندماجها مع شعوبه، ونشاط السياحة الدينية، وانتعاش الاقتصاد الإقليمي، فضلاً عن العوائد الأخرى في الدين والسياسة والاجتماع.

كما يدلّ على استجابة شعوب الأرض للإمام عليه السلام، وحرصهم على الصلاة خلفه، والاستزادة من التشرف بلقياه عن كثب، والاستماع إليه قائداً ومرشداً وموجهاً وإماماً مفترض الطاعة فيما يتفوه به من خطب الجمعة.

وقد سبق القول أن الإمام يهدم أربعة مساجد في الكوفة لأسباب تتعلق بمتطلبات الحفاظ على الأمن العام من جهة، وتفريق القوى العاملة فيها ضد ثورة الإمام التغييرية.

كأن تكون مقراتٍ للتجمع المشبوه، بيد أن الإمام عليه السلام «يبني أربعة مساجد أخرى في الكوفة، ومسجداً ذا خمسمائة باب في الحيرة، يصلي فيها نوابه.»(٢)

وهذا ما يفسر لنا إقبال الناس على الصلاة باعتبارها عمود الدين، ويعبّر لنا في الوقت نفسه عن اهتمام الإمام بهذا الغرض عملياً، ويترجم لنا بأمانة ما عليه الإمام وأصحابه الأبرار وشيعته المنتجبون من الالتزام

(١) علي الكوراني/ عصر الظهور/ ١٤٨.
(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٧٤/٥٢ وانظر مصدره.

الكامل بأولى الشعائر وأسماها رتبة عند الله تعالى، وهو ما يشير إليه الإمام الصادق عليه السلام، بقوله:

«كأني أنظر إلى القائم عليه السلام وأصحابه في نجف الكوفة... قد أثّر السجود بجباههم، ليوث النهار، رهبان الليل.»(١)

وفي ختام هذا المبحث نشير إلى انفتاح الناس عليه بإعطاء المفروض من الحق الشرعي، فتتجمع لديه الأموال فيعطي كل ذي حق حقه، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال «تخرج له الأرض أفلاذ أكبادها، ويحثو المال حثواً، ولا يعدّه عدّاً.»(٢)

ويكون الإمام عليه السلام بهذا قد أمّن الحياة الاقتصادية في العراق، كمّا أمّن الحياة السياسية، ليتجه بعد هذا إلى الشام لتحرير بيت المقدس.

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٨٦/٥٢.

(٢) المصدر نفسه ٦٨/٥١.



الفصل الثالث

الإمام المهدي في الشام الكبرى

الذعر يمتلك السفياني وحلفاءه.

عناصر التأييد الغيبي للإمام المهدي.

تحرير القدس الشريف على يد الإمام.

نزول المسيح عيسى بن مريم من السماء.

الهدنة والحرب بين الإمام والأوربيين.

الذعر يمتلك السفياني وحلفاءه

يلوح من الروايات أن السفياني بعد هزيمته في العراق، وخسف بيداء المدينة بجيشه، يستقر به المقام في الشام، ويبدأ طغيانه بالانفجار، وتسول له نفسه الإتيان بأفظع الوقائع بين الأفراد والجماعات، فيتعقب أولياء أهل البيت عليهم السلام بالتصفية الجسدية، ويطارد الأشخاص بحسب الأسماء الدالة على التشيّع!!

فيقتل ـ كما في الرواية ـ كلّ من كان اسمه: محمد وعلي وحسن وحسين وفاطمة وجعفر وموسى وزينب وخديجة ورقية، بغضاً وحنقاً لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.[١]

ويواصل بقسوة لا مثيل لها اضطهاد المؤمنين، ويستبيح حرماتهم، ويخمد أصواتهم، فلا معارضة ولا احتجاج ولا مُنكِر.

وتبلغه انتصارات الإمام المهدي الباهرة، وفتوح البلدان، وخضوع البلاد العربية وإيران له، فيجنّ جنونه.

وفي ردّة فعل مباشرة، يعتكف السفياني على شرب الخمر والمعاصي، ويدعو إلى الإباحية علناً، ويأمر بممارسة الجنس والفجور

---

(١) ظ: الحائري/ إلزام الناصب ٢/٢٠٠.

في الميادين العامة.[١]

ويفجأ الناس جبرائيل بالنزول على صخرة بيت المقدس، فيصيح في أهل الدنيا ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[٢]

ويقول في صيحته: يا عباد الله اسمعوا ما أقول: إن هذا مهدي آل محمد خارج من أرض مكة فأطيعوه.»[٣]

وبعد قتل السفياني للأصهب والأبقع، تكون سيطرة السفياني على الشام تامة، وذلك بدعم مباشر من الصهيونية العالمية وأوربا، فيكثر فيها الفساد والنكال والاستبداد، ويبدأ الخراب يستولي على قصبات من الشام، فتتوالى الهزّات الأرضية، ويُخسف بجملة من قراها، وتسقط طائفة من مسجد دمشق الأيمن، عدا الحروب الداخلية والتدخل الأجنبي، ففي الرواية:

«ويقبل أخوان الترك حتى ينزلوا الجزيرة، ومارقة الروم حتى ينزلوا الرملة.»[٤]

ويبدو أن هذه القوى تتواجد لنصرة السفياني وتأييده، والجزيرة ما بين الموصل والشام، والرملة بلدة في فلسطين.

ويستهتر السفياني بالقيم والمبادئ والقوانين حتى يغلي الزيت، ويقذف بالأطفال فيه، عدا مظاهر القتل والاستهتار الأخرى، ففي رواية عن أمير المؤمنين أنه قال واصفاً علّو السفياني وطغيانه في الأرض:

«ثم يدور الأمصار والأقطار، ويقتل أهل العلم، ويحرق المصاحف، ويخرّب المساجد، ويستبيح الحرام، ويأمر بضرب الملاهي والمزامير في

---

(١) ظ: الحائري/ إلزام الناصب ٢/٢٠٠.
(٢) سورة الإسراء/ ٨١.
(٣) ظ: الحائري/ إلزام الناصب ٢/٢٠١.
(٤) النعماني/ الغيبة/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

الأسواق، والشرب على قوارع الطرق، ويحلّل لهم الفواحش، ويحرّم كل ما افترضه الله تعالى من الفرائض، ولا يرتدع عن الظلم والجور، بل يزداد تمردّاً وعتواً وطغياناً... ثم يبعث فيجمع الأطفال، ويغلي لهم الزيت..»(١)

إن هذا المسلك الشاذ في انتهاكات السفياني يوحي بتلاشي أبسط مبادئ حقوق الإنسان عنده وعند القوى الغربية المساندة له، والتي تصاب بالذعر هي والسفياني نفسه من أنباء انتصارات الإمام المهدي عليه السلام.

وفي قبال هذا المنحى الذي يتخذه السفياني سبيلاً، نجد الشعوب الإسلامية في ذروة فرحتها الغامرة، وهي تساند الإمام المهدي عليه السلام في حركته التحررية للأمة، ويتملك بعضها الحماس حتى لتكاد تطيح برموز الطغيان في الشام، ولكن الشام ـ يومئذٍ ـ في منعة من الدول الأوربية وإسرائيل، وهم يتدرعون بالسفياني واجهة لهم، وإن كان الهلع يأخذ منهم مأخذاً عظيماً، فالغرب يتأهب لمواجهة الإمام المهدي عليه السلام، ويبدو أنه لا يباشر القتال حينما تبدو له بعض الدلائل والآيات على يد المهدي عليه السلام، فعن أمير المؤمنين عليه السلام متحدثاً عن ذلك:

«وتقبل الروم إلى ساحل البحر عند كهف الفتية، فيبعث الله الفتية من كهفهم مع كلبهم، منهم رجل يقال له: مليخا وآخر حملاها، وهما الشاهدان المسلمان للقائم.»(٢)

وقد ذكر الاستاذ علي الكوراني بما استنتج من الروايات:

«أن المهدي عليه السلام يرسل جيشاً لقتال الروم عند أنطاكية، ويرسل معه بعض أصحابه، فيستخرجون تابوت السكينة من غار بأنطاكية، وفيه نسخة التوراة والإنجيل الأصليتين.

(١) السلمي الشافعي/ عقد الدرر/ ٩٤.
(٢) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٢٧٥/٥٢.

ويبدو أن إظهار هذه الآية للغربيين عمل من الإمام المهدي لتحييد قوات الغربيين في المنطقة عن المشاركة في معركة القدس.

وقد ورد أن هذه القوات (قوات الروم) تنزل هناك إثر النداء السماوي في شهر رمضان، وأن الله تعالى يظهر لهم أهل الكهف آية.»(١)

وإذا استبعدنا مشاركة الروم عموماً بمعركة أنطاكية، فالبحث لا يستبعد مشاركة مارقة الروم في معركة القدس دعماً للسفياني، ودفاعاً عن الصهاينة.

وإذا علمنا أن الغربيين هم الخلفاء الفعليون لإسرائيل، فإننا لا نستبعد أن يخوضوا الحرب جنباً إلى جنب مع اليهود في معركة الإمام المهدي عليه السلام لتحرير القدس.

وينبغي الإشارة أن الشعوب الغربية شيء، وحكّامها شيء آخر فقد يتواكب تأييد الشعوب الأوربية للإمام المهدي عليه السلام مع تأكيد السيد المسيح على ذلك، ولما يظهر على يديه من الدلائل والبراهين على صدق الدعوة.

وهنا يبدأ التلاقح الفكري والعقائدي بين الأوربيين والمسلمين، لما يراه الغربيون من مؤازرة السيد المسيح عليه السلام للإمام المهدي عليه السلام لاسيما بعد صلاته خلف الإمام، وبذلك تعود الشعوب الأوربية إلى وعيها وهي ترى موقف المسيح المشرف، فتتجاوب مع الشعوب الإسلامية في تأييدها المطلق لثورة الإمام المهدي العالمية.

أما اليهود فيزدادون ذعراً لدى سماع نبأ انتصارات المهدي، وتجاوب أعداد هائلة من الأوربيين معه بعمل متواصل من المسيح عليه السلام، فيبدأ عملهم الحثيث في إعداد القوى العسكرية الضخمة بمساعدة الغرب،

---

(١) علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٢٣٧.

وذلك لمواجهة الإمام وهو يتوجه إلى الشام، للقضاء على السفياني أولاً، ولتحرير القدس وفلسطين كلها ثانياً، لترتفع من جديد في فضائها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

في هذا الجو الساخن المتوتر، يكثر الحديث بين الناس عن الإمام المهدي عليه السلام، وعن ظهوره المبارك، وعن حركته المظفرة، وعن سيطرته على الحجاز، وعن افتتاحه للعراق، وعن التحاق اليمن وأجزاء من الخليج به، وعن بعث الخراسانيين بالبيعة له، ويضاف إلى ذلك كله أنباء جيشه المنتصر وأعداده الهائلة، وعن تسلحه الذي يناسب ظروف الحرب الجديدة.

وحينما تتحدث الروايات عن قيامه عليه السلام بالسيف، فقد يكون السيف تعبيراً عن القوة المهيأة لخوض الحرب مع الخارجين عليه بشتى أنواع السلاح ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1]

والإمام يعدّ ما يستطيع من قوة فقد يكون لديه من الأسلحة المتطوّرة ما يقف معه الغرب ذاهلاً، وقد يتسلح بأجهزة حديثة ومركبات ومدرعات لا يصل إليها حدّ التصور الطبيعي، وقد يبرز الإمام بمعجزة كونية تسقط عن الحساب كل الافتراضات المطروحة!! فما يدرينا ما هو نوع الأسلحة التي يستخدمها الإمام!! وما يدرينا ما هي القوة البشرية التي ينتصر بها الإمام عدداً وإعداداً وهو في طريقه لتحرير القدس؟

وما يدرينا ما هو تأثير العالم الغيبي في انتصارات الإمام المذهلة؟

وهنا ينبغي لنا في حدود الطاقة إلقاء الضوء على عناصر التأييد الغيبي للإمام المهدي عليه السلام قبل الخوض في تفصيلات تحرير القدس، والقضاء على السفياني.

---

(١) سورة الانفال/ ٦٠.

عناصر التأييد الغيبي للإمام المهدي

العالم الغيبي لا يقف عند حدّ، وتأثيراته في سير الأحداث لا تحاط بمنظور، فهو عالم مترامي الأطراف نجهل أغلبه، ولا يتسع التفكير البشري لاستيعاب عناصره، وقد تتجلى بعض مظاهره بالصحيح من الروايات المأثورة، ونحن نؤمن بالغيب باعتبارنا مسلمين إيماناً مطلقاً، فقد أوحى الله تعالى لنبيه ﷺ من أنباء الغيب الماضية والمستقبلية ما اقتص خبره القرآن العظيم، في تاريخ الأمم والأنبياء والرسل والشعوب، وقد أفاض عليه مما سيحدث في مستقبل الأيام، وقد تحقق ما أخبره به، وسيتحقق ما قدّر الله كونه مما أخبر به نبيه، وما أفاض به نبيه ﷺ على أوصيائه شفوياً، أو تدوينياً، والروايات حاشدة في هذا المقام.

تشير هذه الروايات أن الإمام المهدي عجل الله فرجه، سيؤيد تأييداً غيبياً في انطلاقه لتحرير العالم من الظلم والجور والاعتساف، ويهيئ له من الأسباب ما لا يخطر على ذهن بشر، ويمدّه بقوى غيبية لا حدود لها، وهذا لا يمانع من استعماله عليه السلام متطلبات العدد والاعداد ومستلزمات

التنظيم والتخطيط لإحراز النصر.

وقد سبق لنا القول أن الإمام ينصر بالرعب، والرعب ظاهرة نفسية تمتلك على الامم مشاعرها وعواطفها رهبة، فتستجيب تلقائياً لذلك الهاجس الداخلي الذي يهزها من الأعماق، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«القائم منصورٌ بالرعب، مؤيد بالنصر.»(١)

يضاف إلى هذا عنصر نفسي آخر يخترق العواطف ويحتل مكانه من القلب، وهو عنصر الحبّ الذي يلقيه الله في قلوب العباد للإمام المهدي عليه السلام، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

«المهدي محبوب في الخلائق، يطفئ الله به الفتنة الصمّاء.»(٢)

وهذا الحبّ قضيّة داخلية تتعمق في الإنسان بأسبابها، والناس بطبيعتها الإنسانية المحضة تحبّ من يسعى في مصلحتها، وأية مصلحة أسمى من رفع الجور عنهم وإحلال العدل في ربوعهم، مضافاً إلى تلك الهيبة القدسية التي يمتلكها المعصومون عليهم السلام، والإمام المهدي آخرهم، فتنجذب بهذا وبغيره مشاعر الخلائق بالمحبة الاستغراقية للإمام المهدي عليه السلام، وهو ابتهاج بشري شامل يتحقق لدى الظهور المتكامل، بل هناك ـ بنعمة الله تعالى ـ ما هو أعجب في مظاهر الغبطة والفرح فيما رواه حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«يفرح به أهل السماء والأرض والطير والوحش، والحيتان في البحر.»(٣)

فإذا ظهر القائم نشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي تحمل رمز النصر

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ١٩١/٥٢.

(٢) عبد الله شبر/ بشارة الإسلام/ ١٨٥.

(٣) المتقي الهندي/ البرهان في علامات مهدي آخر الزمان/ ٥٢٨/٢.

وسرّ الظفر، وهي على حد تعبير الإمام الصادق عليه السلام:

«ما هي والله من قطن ولا كتّان ولا قزّ ولا حرير... لا ينشرها أحد حتى يقوم القائم، فإذا قام نشرها.... ويسير الرعب قدامها شهراً، وورائها شهراً، وعن يمينها شهراً، وعن يسارها شهراً.»(١)

ويضاف إلى هذه الراية بتأثيرها الغيبي العتيد ما تحدث عنه الإمام محمد الباقر عليه السلام بقوله: «إذا ظهر القائم عليه السلام ظهر براية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخاتم سليمان، وحجر موسى وعصاه.»(٢)

ومن التأييد الغيبي في أبرز عناصر حيازته لمواريث الأنبياء، ودلالته بمخابئ الكتب السماوية كما أنزلت، وتكون بين يديه دليلاً وهادياً، وينشرها بين أهلها لتكون الحكم الفصل بينه وبين أهل الكتاب، ويكون استخراجها ببرهان إلهي، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام:

«.... ويستخرج التوراة وسائر كتب الله عز وجل من غارٍ بأنطاكية ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن.»(٣)

وهذا يعني وقوعه من قبل الله تعالى على الكتب في أصولها الأولى سليمة من التحريف الذي أدخله عليها الأحبار والرهبان والمستحفظون عليها من أهل الكتاب.

ومن التأييد الغيبي للإمام المهدي عليه السلام، أن يتمنى الناس ظهوره وتعجيل فرجه، لما يحلّ بهم من الويلات والحروب، وما يعتصرهم من الجور والطغيان، وما يحبط بهم من الفتن والمحن، كما في رواية ابن

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٦/٥٢ .

(٢) النعماني/ الغيبة/ ١٤٥ .

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٣٥١/٥٢ .

حمّاد: «فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه»[١]

والطلب إنما يكون بالبحث عنه، فهم يبحثون ويتساءلون ويتعقبون الحديث عن المهدي، فإذا أدركوا طلبهم هداهم الله ببركته.

ومن أبرز عناصر التأييد الإلهي للإمام عليه السلام، نزول المسيح عيسى بن مريم من السماء، وصلاته خلف الإمام بما أجمع عليه المسلمون تصريحاً ومضموناً بما يحقق لنا في رواية ذلك التواتر المعنوي، فعن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«كيف بكم (أنتم) إذا نزل عيسى بن مريم فيكم، وإمامكم منكم.»[٢]

وما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، وإماماً مقسطاً، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجرية.... ولا يقبل غير الإسلام، وتكون الدعوة واحدة لله رب العالمين.»[٣]

فإذا علمنا أن المسيح إنما يصلي خلف الإمام المهدي عليه السلام، تأكّد لنا إن دعوته ودعوة صاحب الزمان واحدة، فلا يقبل المسيح إلا الإسلام، وينقض مرتكزات المسيحيين المحرّفة، فتكون الدعوة واحدة منهما لله ربّ العالمين، بل هناك ما هو أبلغ من هذا أثراً وأشد منه وقعاً، وهي أن الإمام يحتج على المسيحيين بعيسى بن مريم كونه تابعاً ومؤيداً له، وقد جاء على لسان الرواية ما يحتمل أن المسيح أيضاً يحتج عليهم بالإمام المهدي، كما هو ظاهر منها:

«وبه (أي المهدي) عيسى بن مريم يحتج على الروم.»[٤]

---

(١) ابن حمّاد/ الملاحم والفتن/ ٨٦ النسخة الخطية.

(٢) البخاري/ الجامع الصحيح ٢/٢٥٦.

(٣) ابن حمّاد/ الملاحم والفتن/ ١٦٢.

(٤) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٢/٢٢٦.

وهذا الاحتجاج يكون عقلياً ومنطقياً وبديهياً بوقت واحد، وشواهد ذلك كثيرة أهمها في النظر العقلي صلاة المسيح خلف الإمام بما تكاد تجمع عليه الأمة، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «..... وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه..»(١)

وعن الإمام أبي محمد الحسن بن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال:

«أما علمتم أنه ما منّا أحد إلاّ وتقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم عليه السلام الذي يصلي روح الله خلفه.»(٢)

وقد أكد هذين الحديثين الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنه قال:

«...... وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه، فتشرق الأرض بنور ربّها.»(٣)

وهذا الحدث في صلاة المسيح خلف الإمام المهدي له أهميته الكبرى عند المسيحيين، ويعطف على المهدي عليه السلام قلوبهم، ويرونه تبعاً للمسيح عليه السلام بأنه المنقذ الأعظم، ويأتي إيمانهم به إيماناً بالسيد المسيح، والقرآن يتحدث عن إيمانهم جميعاً هم واليهود بالمسيح آنذاك قبل موته عليه السلام، قال تعالى:

«وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً.»(٤)

وقد تحدّث الإمام الباقر عليه السلام عن هذا الإيمان بما روي أنه قال، عن السيد المسيح وهبوطه الأرض وصلاته خلف الإمام:

«ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا

---

(١) الصدوق/ إكمال الدين/ ٣٢٢.

(٢) المصدر نفسه/ ٣٠٨.

(٣) الكليني/ أصول الكافي/ ١/٣٣٤.

(٤) سورة النساء/ ١٥٩.

نصراني إلاّ آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهدي.»[١]

وللمفسرين في تأويل الآية وجوه يختار منها البحث الوجه الأول الذي أورده الطبرسي، واختاره أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)قال: «أي ليس يبقى أحد من أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلاّ ويؤمنن بالمسيح قبل موت المسيح إذا أنزله الله إلى الأرض وقت خروج المهدي في آخر الزمان.... فتصير الملل كلها مِلةً واحدة وهي ملة الإسلام الحنيفية دين ابراهيم...

وعن شهر بن حوشب أن الحجّاج قد أعيته هذه الآية، فقال له في تفسيرها: إن عيسى بن مريم ينزل قبل القيامة للدنيا، ولا يبقى أهل ملّةٍ يهودي أو نصراني أو غيره إلا آمن به قبل موت عيسى، ويصلي خلف المهدي.

قال له الحجاج: ويحك أنى لك هذا؟ ومن أين جئت به؟

قال: قلت حدثني به الباقر محمد بن علي الحسين بن علي بن أبي طالب!!

قال الحجّاج: جئتِ بها ـ والله ـ من عين صافية.»[٢]

وهذا التفسير إنما يتم إذا كان الضمير عائداً على المسيح في موته، أما إذا كان الضمير عائداً على الكتابي في موته، فيكون المعنى ـ والعلم عند الله ـ لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ويؤمن بالمسيح قبل الموت!! وذلك عند زوال التكليف، فهو منه إقرار حيث لا ينفع الإيمان إذا لم يكن مؤمناً من ذي قبل، ولكنه خلاف الظاهر والهدف من الآية.

والشيء الذي يدعو إلى الإبانة والإظهار ـ لما يكتنفه من الغموض ـ أن اليهود والنصارى لا يعرفون المسيح صورة وشكلاً وجسماً!!

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٣٠/١٤ وانظر مصدره.

(٢) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان ١٣٧/٢.

فكيف تتم معرفته؟ حتى يؤمن به الجميع.

ومن الطبيعي أن علم ذلك عند الله تعالى!! ويمكن إلقاء الضوء على معرفتهم له بأحد أمرين:

الأول: أن نزول المسيح عليه السلام يكون آية إعجازية خارقة يصحبها إعلان في السماء يسمعه أهل الأرض: أن هذا هو المسيح بعينه، فلا يبقى أحد إلا اعتقد ذلك، وبذلك يعرفه أهل الأرض جميعاً.

الثاني: أن معرفته تكون عن طريق الإمام المهدي عليه السلام بما يظهر على يديه من الدلائل والآيات بحيث يصدقه أهل الكتاب في معرفة المسيح، والإقرار به دون ريب أو شبهة.

وقد تكون معرفته بآية أخرى لا يهتدي العقل إلى إدراكها، كما أن رفعه إلى السماء كان لحكمة قد لا نحيط بأبعادها، وقد يكون من أبعادها ادخاره ليوم الظهور المبارك، أو تأييد الإمام المهدي عليه السلام في حركة التغيير الاجتماعي الكبرى.

ويرى الأستاذ علي الكوراني «أن الحكمة من رفعه إلى السماء وتمديد عمره، أن الله تعالى ادّخره ليؤدي دوره العظيم في هداية أتباعه وعبّاده، في مرحلة حساسة من التاريخ يظهر فيها المهدي عليه السلام، ويكون النصارى أكبر قوة في العالم، ويكونون أكبر عائق أمام وصول نور الإسلام إلى شعوب العالم، وإقامة دولته وحضارته الإلهية.

ولذا فإن من الطبيعي أن تعمّ العالم المسيحي تظاهرات شعبية وفرحة عارمة، ويعتبرون نزوله لهم في مقابل ظهور المهدي عليه السلام في المسلمين.»[1]

ولا مانع من قبول هذا التعليل لا باعتباره الحكمة كلّها من إطالة عمر

---

(١) علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

المسيح ورفعه إلى السماء، بل نعتبر ذلك أحد وجوه العناية الإلهية التي تحفّ بالمهدي عليه السلام.

واستبشار العالم المسيحي بنزول المسيح من السماء يقتصر على المؤمنين منهم، والمؤمنون لا يعتبرون ذلك في مقابل ظهور المهدي في المسلمين، بل يعتبرونه تأكيداً جازماً على صحة مبادرات الإمام المهدي في الدعوة وإقامة الدولة، لاسيما أنهم يرون المسيح وزيراً وداعياً للمهدي وإلى جنبه، فنزوله عليه السلام قد يكون لإقامة الحجة عليهم، والحجة قائمة حينئذٍ لانخراط المسيح نفسه في سلك القادة الداعين إلى الحق مع الإمام عليه السلام.

أمّا الغربيون المنحرفون عن خطّ المسيح عليه السلام كالعلمانيين والوجوديين والمشركين فيمثلون اتجاهاً معاكساً لمسيرة المسيح، ويبدأون بالدعاية المضللة ضده، فيشكلون قوة جديدة في الساحة للتصدي إلى المهدي وعرقلة مسيرته في أغلب الظن، فيلتقون بأعدائه، وينضمون إلى جيش السفياني وإسرائيل في المعركة القائمة بينهم وبين الإمام في فلسطين، وهم «مارقة الروم» كما سبق بيانه، وذلك أن المهدي والمسيح عليهما السلام في هذا الانطلاق التوحيدي الهادف يشكلان خطراً مباشراً على سياسة الحكّام الغربيين، فيستشعرون انحسار تاريخهم السياسي، وتلاشي المطامع الاستعمارية الكبرى، على يد الدولة الجديدة.

وبهذا يحدث الانفصام والتفكك في العلاقة بين قادة الغرب وشعوبهم، فكما تعم الشعوب الفرحة الغامرة بنزول المسيح عند ذاك، فكذلك تعم القادة المرارة والأسى والإحباط، وبذلك يفترقان.

ومن آثار التأييد الغيبي وأبرز عناصره أن يحدق الملائكة المقربون بالإمام المهدي عليه السلام لدى توجهه للعراق مثلاً، وبإبادة الجيش بخسف

البيداء على يد جبرائيل بأمر الله، وبنصرة الملائكة للإمام بمختلف مهماتهم ومراتبهم فيكون «جبرائيل أمامه، وميكائيل عن يمينه، وإسرافيل عن يساره، والملائكة المقربون حذاءه، «كما هي الرواية عن الإمام محمد الباقر عليه السلام.»[1]

وهنالك من العناصر الغيبية في التأييد والتسديد الإلهي للإمام المهدي عليه السلام ما يظهر في حينه، وفي مستويات أخرى قد لا يتوصل إليها البحث، ويكون ذلك التأييد مضافاً لقوة الإمام البشرية والعسكرية والأعداد المنظور، هو القوة الضاربة الكبرى لإقامة حكم السماء في الأرض إن شاء الله تعالى.

---

(١) ظ: النعماني/ الغيبة/ ١٢٢ + المجلسي/ بحار الأنوار ٣٤٨/٥٢.

تحرير القدس الشريف على يد الإمام

تتحدث الروايات بلغة الجزم والقطع أن الإمام المهدي عليه السلام، بعد تحريره العراق من الطواغيت والخوارج وفصائل الردّة، يتجه إلى الشام لتحرير القدس الشريف من الدنس الصهيوني السياسي والاستيطاني، فعن حذيفة بن اليمان مرفوعاً:

«إن المهدي يبايع بين الركن والمقام، ويخرج متوجهاً إلى الشام، وجبرئيل على مقدمته، وميكائيل على ساقته...»[١]

وهذا صريح في حالتين، الأولى: مبايعته بين الركن والمقام، وهي مسألة اجتماعية، الثانية: توجهه إلى الشام ـ والمراد بالشام في لغة الروايات سوريا والأردن وفلسطين ولبنان ـ وعلى مقدمة جيشه روح القدس جبرائيل، وعلى الرجّالة والمشاة ميكائيل.

وليس المراد بذلك الترتيب، وإنما الأخبار عن حالتين.

وسيقود معركة كبرى في الشام على ما سيأتي ويتوجه بعدها لبيت المقدس.

فعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

يخرج رجل من أمتي، يعمل بسنتي، ينزل الله له البركة من السماء، وتخرج له الأرض بركتها، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يعمل

---

(١) السيوطي/ العطر الوردي/ ٦٤.

سبع سنين على هذه الأمة، وينزل بيت المقدس.»[١]

أما كيفية هذا التوجه إلى الشام ففي الروايات إجمال له، ويستشعر في بعضها التفصيل لدى الإمعان بها، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام متحدثاً عن مسيرة الإمام إلى الشام، بأنه يصلها بجيوشه ويعسكر في «مرج عذراء» وهي قرية تابعة لدمشق فيها قبر الصحابي الشهيد حجر بن عدي الكندي هو ورفاقه الأبرار الذين استشهدوا في حب أمير المؤمنين، تبعد هذه القرية عن دمشق حوالي ثلاثين كيلو متراً.

والإمام عليه السلام في عدة كبيرة حينما يعسكر فيها، والسفياني بوادي الرملة.

تقول الرواية: «ثم يسير (يعني المهدي) حتى يأتي العذراء هو ومن معه، وقد التحق به ناس كثير، والسفياني يومئذٍ بوادي الرملة، حتى إذا التقوا، وهو يوم الإبدال، يخرج أناس كانوا مع السفياني من شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويخرج ناس كانوا مع آل محمد إلى السفياني فهم من شيعته حتى يلتحقوا بهم، ويخرج كل أناس إلى رايتهم، وهو يوم الإبدال.

قال أمير المؤمنين: ويقتل يومئذٍ السفياني ومن معه حتى لا يدرك منهم مخبر، والخائب يومئذٍ من خاب من غنيمة كلب.»[٢]

والرواية كما ترى دخلت في خطوط رئيسية، دون الدخول في تفصيلات هذه المقدمات التي تنتهي بنتائجها إلى قتل السفياني.

والإمام عليه السلام بحكم تكليفه الشرعي ودبلوماسيته العالية، يجري ـ بحسب الروايات ـ شيئاً من المفاوضات المهمة مع السفياني إلقاءً للحجة عليه، عسى أن يرتدع من ضلاله ويعود إلى رشده، وذلك قبل المعارك

---

(١) الداني/ سنن الداني /١٠٠.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٢٢٤.

الفاصلة في الشام وفي فلسطين. إذ يقول الإمام بلطفه وأصالته الإنسانية ومرونته الاجتماعية المثلى:

«أخرجوا الي ابن عمي حتى أكلّمه، فيخرج إليه فيكلمّه فيسلّم له ويبايعه، فإذا رجع السفياني إلى أصحابه ندّمته كلب فيرجع ليستقيله، فيقتتل هو وجيش السفياني على سبع رايات، كل صاحب راية منهم يرجو الأمر لنفسه، فيهزمهم المهدي.»(١)

ويستفاد من هذه الرواية عدة أمور:

١. أن الإمام المهدي عليه السلام يستدعي السفياني للتفاوض معه بالتعبير عنه بابن العم، فهاشم وأمية أخوان، وهو تعبير حاول به الإمام تليين الموقف المتأزم، عسى أن يظفر بشيء.

٢. أن الإمام بهذا الاستدعاء أراد إلقاء الحجة على السفياني عسى أن يستجيب له، واستجاب فعلاً، بعد أن اعتبر بهزائم جيشه في كل من الحجاز والعراق وحتى الشام التي لم يستطع السيطرة على حدودها إذ دخلها المهدي عليه السلام ورابط في مرج عذراء دون أية مقاومة.

٣. أن السفياني عاد إلى جيشه وقيادته وكبرى قبائله الملتحقة به، وأخبرهم بتسليمه للإمام، فندّمته (كلب) وهي من قبائل العرب المساندة للسفياني، على تسليمه للإمام، فينصاع إلى إرادتها، فيأتي الإمام فيستقيله فيقيله.

٤. ويعبأ الإمام المهدي جيوشه في قبال جيوش السفياني، فيهزمهم الله هزيمة منكرة، ولكن الروايات لا تتحدث عن وقائع تلك المعارك، وإنما تعطي النتائج.

---

(١) علي الكوراني/ عصر الظهور ٢٤٠ عن ابن حماد في الملاحم والفتن.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال:

«فيغضب الله على السفياني، ويغضب خلق الله لغضب الله تعالى، فترشقهم الطير بأجنحتها، والجبال بصخورها، والملائكة بأصواتها، ولا تكون ساعة حتى يهلك الله أصحاب السفياني كلّهم، ولا يبقى على الأرض غيره وحده، فيأخذه المهدي، فيذبحه تحت الشجرة التي أغصانها مدلاّة على بحيرة طبرية.»[(١)]

وفي رواية أخرى حول السفياني أن الإمام محمد الباقر عليه السلام، قال:

«فيأمر الإمام به ـ أي السفياني ـ فيذبح على بلاط باب إيليا.»[(٢)]

وبلاط باب إيليا، عبارة عن صخرة عند مدخل مدينة القدس.

وهذا القتال الذي ينتهي بالقضاء على السفياني، هو المشار إليه بالقتال بين المسلمين واليهود وحلفائهم من الغربيين، وينتهي بتحرير بيت المقدس على يد القوات المسلحة الإسلامية بقيادة الإمام المهدي عليه السلام، فعن الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم هذا يهودي خلفي فتعالَ فأقتله...»[(٣)]

وفي هذه المعركة يكون جيش الإمام المهدي عليه السلام، جيشاً كبيراً مدرباً على مختلف الأسلحة، وفي معنوية قتالية عالية، وبحماية مكثّفة للإمام المهدي تقدر بأثني عشر ألف فارس، كما أورد ذلك ابن حماد في رواية يرفعها تقول:

«ينزل رجل من بني هاشم بيت المقدس، يكون حراسه إثنا عشر

---

(١) ظ: علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٢٤١ وانظر مصدره.

(٢) السلمي الشافعي/ عقد الدرر/ ٨٥.

(٣) ابن حنبل/ المسند ٤١٧/٢.

ألفاً.»[١]

بل في رواية أخرى يرويها هو نفسه، تقول عن الإمام:

«حرسه ستة وثلاثون ألفاً، على كل طريق لبيت المقدس إثنا عشر ألفاً.»[٢]

هذه الروايات تدل على تكاثر جيش الإمام المهدي عليه السلام، كما تدلّ على اليقظة والحذر التاميّن، بحيث يوفّر الحماية الهائلة للإمام، حتى يستوعب ذلك الطرق الرئيسية المؤدية للمسجد الأقصى.

وإذا كانت الحماية بهذا العدد الكبير جداً، فما بالك في كثرة جيش الإمام عليه السلام، ذلك الجيش المرابض والمقاتل على طول جبهة تمتد من مرج عذراء وتنتهي بالقدس، وتشمل فيما تشمله عدة قصبات ذكرت منها الروايات دمشق، والقدس، وعكّا، وطبريّة، وصور، والرملة.

إن اجتياح هذه المدن والموانئ والعواصم وسواحل البحر، عدا مالم يذكر من أسماء النواحي والبلدان، يحتاج إلى قوة متوازنة، وفرسان مؤهلين، وقادة عسكريين، ومعدات حربية، وأسلحة متطورة يستخدمها جيش الإمام في مجابهة الغرب وإسرائيل وجيش السفياني وحلفائه من العرب والقبائل وحكّام المنطقة.

والمرجّح في الأمر الطبيعي بعيداً عن الملحظ الإعجازي أن الإمام يستعمل أحدث الأسلحة وأعظمها، ولا مانع أن تكون لديه عدة معامل تنتج ذلك، ولا مانع من شرائها من دول محايدة، ولكن الذي يتدبر مجرى الأحداث يقطع بأن الإمام في كل شؤونه غير محتاج لأية صفقة أو مساعدة من أية جهة، وقد يأتي بأسلحة فتاكة لا تخطر على بال، فالتقدم العلمي في عصر الامام يبلغ الذروة في الابتكار والاكتشاف والاختراع

(١) ابن حماد/ الملاحم والفتن/ ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه/ ١٠٧.

ببركة توجيهه ورعايته للعلم والعلماء في كل الفنون التي تقدم للإنسانية أطروحة مثالية، فإذا أضفنا لهذا كله تلك العناية الربانية التي تواكب الإمام منذ اللحظات الاولى للظهور، وحتى معارك التحرير الكبرى، علمنا بالضرورة عظمة الامكانيات الطبيعية وظواهر الخوارق الكونية.

أمّا كيفية إدارة هذه المعركة في تحرير القدس وفلسطين كلها من براثن الصهيونية، فلا تتحدث عنه الروايات إلا بشكل مقتضب فيه كثير من الرموز، وكثير من الغموض، مما يدلنا إجمالاً أن نوعية هذه المعركة في سيرها النضالي يختلف عما تعارف عليه العالم في إدارة المعارك، والمتبادر للذهن أن الدول الأوربية تزجّ بقواها كافة في المعركة، وتتعامل مع الحدث بجديّة فائقة باعتباره قضاءً مبرماً على كيان إسرائيل، وتهديداً مباشراً للهيمنة الاستعمارية على العالم، وإنذاراً لعروش الطواغيت بالإطاحة والإندثار، فإنهم لا يدّخرون شيئاً من قواتهم البرية، ولا قواتهم المحمولة جواً، ولا أساطيلهم المنتشرة في البحار، إلاّ زجّت به في المعركة الفاصلة، كما هي فرضية التعاون المسلح بين الحلفاء.

وإذا نظرنا إلى القرآن العظيم في تحدثه عن طبيعة إفساد اليهود مرتين في الأرض من خلال قوله تعالى:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾(١)

فقد بعث الله تعالى في إفساد اليهود الأول عباداً نسبهم إلى نفسه، تعظيماً لشأنهم، ووصفهم بالبأس الشديد، فجاسوا خلال الديار، وكان ذلك من الوعد الحق الكائن لا محالة.

ثم ردت الكرة لليهود على المسلمين، وأمدّهم الله تعالى بالأموال والبنين وجعلهم أكثر نفيراً، فلم يشكروا نعمة الله عليهم فما أحسنوا، وأفسدوا في الأرض ثانية، فسلط الله عليهم أولئك المسلمين الذين دخلوا المسجد أول مرة، وقيض بلطفه وعدله معاً من يتم على يديه تأديبهم وإهلاكهم، وأنهم كما في الرواية المعتبرة:

«المهدي وأصحابه، وأنهم قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون وتراً لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إلا قتلوه.»(٢)

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قرأ قوله تعالى:

﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.(٣)

قال: هو القائم وأصحابه أولو بأس شديد.»(٤)

وهذا يعني المبعوثين في المرة الثانية، هم من سنخ المبعوثين في المرة الأولى، وكلاهما يتصفان بالعبادية لله وبالبأس الشديد.

هذا قد تحقق علوهم في الأرض، واستكبروا استكباراً، وأمدّهم الله بالأموال والأولاد، وأصبحوا أكثر نفيراً، ولم يتحقق هذا لبني إسرائيل إلاّ في عصرنا الحاضر، ولديهم من القدرات الهائلة والأسلحة المتطورة والأموال الكثيرة والجيش المدرّب المقاتل ما يهدد المنطقة بأسرها، حتى

(١) سورة الإسراء/ ٤ـ٨.

(٢) الكليني/ الكافي/ ٢٠٦/٨.

(٣) سورة الإسراء/ ٥.

(٤) العياشي/ التفسير ٢٨١/١٤١/٢.

ليمكن اعتبار إسرائيل فيما هم عليه اليوم من الدول الكبرى.

ولو أنا قلنا قبل مائة عام مثلاً أن الله سيحرر القدس الشريف من اليهود ويعود بها للمسلمين على يد الإمام المهدي عليه السلام، لقيل لنا مالكم كيف تحكمون؟ وها هي القدس بيد العرب والمسلمين!! فكيف يحررها وهي بيد أهلها من أهل القبلة؟ وكانت النتيجة الاستهزاء والسخرية، على أننا الآن ننقل ما هو مزبور مسطور في الروايات التي تمتد عبر ثلاثة عشر قرناً من الزمان، وهي تنظر في عواقب الأمور، فهكذا خلقت دولة إسرائيل بجهود الماسونية والصهيونية العالمية، وقد تمت في أيامنا سيطرتها على القدس، بل هي تنادي في المحافل الدولية أن تكون عاصمة لإسرائيل!!

إن ما يجري اليوم هو من أنباء الغيب الذي حدثتنا به روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهي الحق بعينه فهل من مذكّر.

وهذه الروايات الشريفة تشير أن الإمام المهدي عليه السلام بعد تحريره للقدس وامتلاكه لحكمها وبسط نفوذه فيها، يمتلك زمام الأمر كله، وتذعن اليهود والغربيون وسواهم لقيادته، فيقوم بإعمار الحرم القدسي بناءً جديداً يلفت الانظار ويعجب الخلق فقد أورد شيخ البخاري ابن حمّاد الرواية الآتية:

«ينزل خليفة من بني هاشم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، يبني بيت المقدس بناءً لم يُبْنَ مثله.»(١)

والإعمار والبناء لا يكون عادة إلا بعد استقرار المناخ السياسي، وتوافر الأمن الداخلي وإحلال السلام، بحيث يتفرغ القادة للإعمار والتطوير، ويتفرغ به الشعب للعمل المثمر.

---

(١) ابن حماد/ الملاحم والفتن/ ١١٠.

وهكذا يحرر الإمام القدس، وينتصر انتصاراً مذهلاً، وتتحطم القوى العملاقة وهي تدبّ دبيب النمل خضوعاً واستسلاماً لهذا القائد المظفّر، ولا تستطيع المقاومة إلا بحدود ضئيلة لا تذكر، فقد هزتها أنباء الانتصارات المتتابعة للإمام، وقد امتلك الرعب عليهم مشاعرهم، وانفرجت الشقة متباعدة بينهم وبين شعوبهم، وسادت في الأرض حالة من التساؤل المستمر عن المهدي وسيطرته على أزمّة الأمور، يتخلل كل ذلك تبلور الوعي بصدق دعوته، فتستريح الضمائر لذلك، وتطمئن إليه، ويكون نزول المسيح من السماء عاملاً مهماً في استشعار الحقائق، وتنعطف الشعوب الغربية عليه، ويؤدي رسالته في تخفيف حدة التوتر لدى الأوربيين تجاه الإمام، وهو ما سنلقي عليه بعض الضوء.

نزول المسيح عيسى بن مريم من السماء

حينما يمتلك الرعب قلوب اليهود وحلفاءهم من الغربيين من انتصارات الإمام المهدي عليه السلام لدى تحرير القدس، وقد أخذت المخاوف تنتابهم، والاضطراب النفسي يعاودهم، وإذا بهم يفجأون بالمسيح عيسى بن مريم ويهبط من السماء إلى الأرض بالصورة التي أوضحناها آنفاً، وإذا به يصلي خلف الإمام المهدي عليه السلام مأموماً، ويكون لديه من المقربين المبجلين، فيذهل هذا الحدث الضخم وهذا التوافق العجيب كلاً من اليهود والنصارى ودول الغرب والشرق.

وهذا مما أجمع عليه المسلمون لتواتر أحاديثه حتى عاد من الثوابت التي لا تتحول، يقول الإمام محمد الباقر عليه السلام في نزول المسيح:

ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملة يهودي ولا نصراني إلا آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهدي.»[1]

وهذا الحديث مما يفسر لنا قوله تعالى:

﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار/ ١٤/٥٣٠.

شَهِيدًا ﴾(١)

وقد أوضحنا فيما سبق دلائل الآية مفصلاً، وفيها إشعارا بعدة أمور:

أن عيسى عليه السلام حيّ لم يمت.

أن المراد عند بعض المفسرين إيمان أهل الكتاب بالمسيح عند نزوله في آخر الزمان من السماء إلى الأرض.

أن الآية ظاهرة في أن عيسى يكون شهيداً على أهل الكتاب، وأنهم يؤمنون به قبل الموت.

أن كونه شهيداً عليهم هو جميع أهل الكتاب، ولازمه أن لا يتوفى إلاّ بعد الجميع، وهذا يعني كونه حياً بعد، ويعود إليهم ثانياً حتى يؤمنوا به.»(٢)

وقد بيّنا آنفاً الاحتمالات في كيفية هذا النزول وتصديق أهل الكتاب به دون ريب.

وهنالك رواية تفصيليّة عن دخول الإمام المهدي عليه السلام وصلاة السيد المسيح عليه السلام خلفه، تروى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ويدخل المهدي عليه السلام بيت المقدس، ويصلي بالناس إماماً، فإذا كان يوم الجمعة وقد أقيمت الصلاة: نزل عيسى بن مريم بثوبين مشرقين حمر، كأنما يقطر من رأسه الدهن، رَجُلُ الشعر، صبيح الوجه، أشبه خلق الله عزّ وجلّ بأبيكم ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام، فيلتفت المهدي فينظر عيسى عليه السلام، فيقول لعيسى:

يا ابن البتول، صلِّ بالناس، فيقول: لك أقيمت الصلاة، فيتقدم المهدي عليه السلام فيصلي بالناس، ويصلي عيسى عليه السلام خلفه، ويبايعه.»(٣)

---

(١) سورة النساء/ ١٥٩.

(٢) ظ: الطباطبائي/ الميزان في تفسير القرآن ١٣٥/٥.

(٣) السلمي الشافعي/ عقد الدرر/ ٢٧٤.

أما الروايات عن طريق أئمة أهل البيت بنزول عيسى عليه السلام وصلاته خلف الإمام المهدي عليه السلام فقد بلغت حدّ التواتر، فالإمام محمد الباقر عليه السلام حينما نص على الأئمة الإثني عشر، قال:

«..... الثاني عشر الذي يصلي عيسى بن مريم عليه السلام خلفه.»[(١)]

وعن الإمام محمد الباقر عليه السلام في رواية يقول بها لخيثمة:

«وحتى ينزل عيسى بن مريم من السماء... ويصلي بهم رجل منا أهل البيت، ألا ترى أن عيسى يصلي خلفنا وهو نبي إلاّ ونحن أفضل منه.»[(٢)]

وقد أورد الكراجكي القول: «ومما نقلته الشيعة وبعض محدثي العامة: أن المهدي عليه السلام إذا ظهر أنزل الله تعالى المسيح فإنهما يجتمعان. فإذا حضرت صلاة الفرض، قال المهدي للمسيح: تقدّم يا روح الله، يريد تقدّم للامامة، فيقول المسيح، أنتم أهل بيت لا يتقدمكم أحد، فيتقدم المهدي عليه السلام، ثم يصلي المسيح خلفه.»[(٣)]

إن نزول عيسى بن مريم من السماء إلى الأرض، يعتبر بحد ذاته حدثاً عالمياً تخضع له الأعناق، وتذهل بين يديه أمم الدنيا كافة، وليس بعيداً أن تكون معرفته والقطع به أنه المسيح، إحدى دلائل الإمام المهدي عليه السلام، ومن إمارات أخرى قد لا يدركها العقل البشري، لذلك يكون هذا الحدث في حدّ ذاته آنذاك أحد أعاجيب الدنيا، فالإجماع العالمي كونه المسيح عيسى بن مريم من الآيات الكبرى التي سيحققها الله تعالى، وصلاته خلف الإمام المهدي عليه السلام آية أخرى.

ومن الطريف الاستدلال على نزول المسيح بقوله تعالى:

---

(١) الصدوق/ كمال الدين ٣٣١/١.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٤٨/١٤.

(٣) الكراجكي/ كتاب التفضيل/ ٢٤.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[١]

فقد روى البغوي: «قيل للحسين بن الفضل: هل تجدون نزول عيسى في القرآن؟ قال: نعم، قوله تعالى: وكهلاً، وهو لم يكتهل في الدنيا وإنما معناه وكهلاً بعد نزوله من السماء.»

قال الطبرسي: «وذلك أن المسيح رفع إلى السماء وعمره ثلاث وثلاثون سنة، وذلك قبل الكهولة.»[٢]

أما موضع نزول المسيح عليه السلام، فقد اختُلِفَ فيه عند الرواة والمؤرخين وأصحاب الملاحم، فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«ويكون نزوله على المنارة البيضاء التي بشرقي جامع دمشق»[٣]

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام توحي بأنه ينزل في القدس.[٤]

وعن جابر بن عبد الله الانصاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

أنه ينزل عند طلوع الفجر ببيت المقدس.[٥]

وعن كعب قال: ينزل عيسى بن مريم عند المنارة التي عند باب دمشق الشرقي[٦]

وأورد ابن حمّاد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنه ينزل بباب اللد.[٧]

وأورد مسلم بن الحجاج عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أن المسيح ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق.[٨]

---

(١) سورة آل عمران/ ٤٦.

(٢) ظ: الطبرسي/ مجمع البيان ٢/٢٩٥.

(٣) بدائع الزهور/ ١٨٩.

(٤) ظ: السلمي الشافعي/ عقد الدرر/ ٢٧٤.

(٥) ظ: الداني/ سنن الداني/ ١٤٣.

(٦) علي الكوراني/ المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي/ ٦٥٧.

(٧) ظ: ابن حماد/ الملاحم والفتن/ ١٦١.

(٨) مسلم/ الصحيح ٢/٥٦٧.

ويرى الأستاذ علي الكوراني دام مجده أنه:

«لم يحدد أي حديث عن أهل البيت مكان نزول عيسى عليه السلام، وهذا يصحح احتمال نزوله في الغرب في إحدى عواصم أتباعه وعابديه كما نرجح.»[1]

وهنا يكون المسيح حجة على العباد في تأثيره على الشعب المسيحي في العالم، وتوعيته باعتناق الدين الإسلامي، فالشعوب المسيحية تكون مع المسيح فيما ينطق ويقرر ويقول، وليس من الضروري أن يكون الحاكمون كذلك، وقد تتمرد شعوبهم عليهم، إلاّ أن بعض الدلائل في الروايات تأثير المسيح في هدنة بينهم وبين المسلمين.

(١) على الكوراني/ المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي/ ٦٦٥.

الهدنة والحرب بين الإمام والأوربيين

لدى هبوط السيد المسيح عليه السلام من السماء إلى الأرض تستقبله الشعوب الأوربية بكثير من الاعتزاز والاعتداد، وقد يرى بعضهم أن هبوطه في مقابل ظهور الإمام المهدي عليه السلام، ولكن الأمر يختلف حينما يلمسون توجه المسيح عليه السلام تجاه الإمام المهدي عليه السلام، فتتغير المعادلة شيئاً ما، فعن كعب الأحبار في حديث يرفعه:

«.... ومن نسل علي القائم المهدي الذي يبدل الأرض غير الأرض، وبه يحتج عيسى بن مريم على نصارى الروم والصين.»[1]

وهذا الاحتجاج بما يظهره الله تعالى على يديه من الآيات والبينات التي تقيّم منزلة الإمام المهدي عليه السلام، فيبعث بها المسيح رسالة تذكيرية إلى الدول الأوربية، حينذاك يستشعر الغربيون وسواهم حراجة الموقف العسكري بالنسبة لهم، فهذا هو نبيهم بما يحملون له من الولاء، والإخلاص يحتج عليهم بالإمام المهدي، وهو يؤيده تأييداً مطلقاً مما يشكل عند الحاكمين الغربيين هواجس مقلقة، فتتجمع قواهم العسكرية، ويكونون على أهبة الاستعداد الحربي، فهم في حالة طوارئ

(١) النعماني/ الغيبة/ ١٤٦.

قصوى، وهم في ريب مما سيحدث بهم.

ويبدو أن الإمام المهدي بدبلوماسيته الفذة، وقيادته الإلهية المسددة يسعى جاهداً في جلبهم إلى حضيرة الاسلام، ويشعرهم بعدم جدوى الحرب ضده فهو المنتصر على كل حال، فيدعوهم إلى هدنة تحقن الدماء وتخفف وطأة التقابل العسكري القائم، ومن ورائه السيد المسيح في جهوده الجبارة، وهو يدعم الإمام في قواه كافة.

ففيما رواه أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه سأله عن أهل الذمة قائلاً:

«فما يكون من أهل الذمة عنده»؟

قال الإمام عليه السلام: يسالمهم كما سالمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون.»[1]

وتلك خطة تراعي حقوق الإنسان في المعتقدات، مازالت لا تسبب كيداً أو حرباً للإسلام، ولفتةبارعة من الإمام في إعطاء الحرية للغربيين بين يدي عمله الحثيث لامتلاك شعوبهم بمساعدة نبيهم عيسى بن مريم عليه السلام، وهو يعلن الولاء المطلق للإمام المهدي عليه السلام.

حينئذٍ يتعقل الأوربيون مدى تفكير الإمام، إما بضغط من شعوبهم، وإما بتأثير السيد المسيح، وإمّا نزولاً عند الأمر الواقع، فيقبلون بالهدنة حيناً، ثم يندمون على ما فعلوا فيغدرون، ففي حديث نبوي رواه العامة والخاصة أن بين المسلمين والروم أربع هدن!! الرابعة منها تدوم سنين، وإمام الناس يومئذٍ المهدي من ولده صلى الله عليه وآله وسلم.[2]

وفي رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنهم ينقضون اتفاق الهدنة، ولا يفون بالعهد المبرم، فيغدرون بعد تسعة أشهر، كما أورد ذلك الحديث

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٣٧٦/٥٢.

(٢) ظ: المصدر نفسه ٨٠/٥١.

«فيغدرون بكم في حمل امرأة.»[1]

ويتحرك الغربيون ومن والاهم من الدول الكبرى، ويخرجون من ديارهم في ثمانين راية، تحت كل راية اثنا عشر ألفاً من المقاتلين بما تتحدث به الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«... يأتون في ثمانين غاية (راية) في البر والبحر، كل غاية اثنا عشر ألفاً، فينزلون بين يافا وعكا.»[2]

وتشير بعض الروايات أن نزولهم يكون بين صور وعكا.[3]

وفي رواية ثالثة أن نزول الغربيين يكون بين أنطاكية والعريش كما عن حذيفة بن اليمان.[4]

ويكون بعد ذلك صلح بين الإمام المهدي عليه السلام وطاغية الروم بعد قتله السفياني.[5]

ويبدو أن هذه الحرب إنما تكون مع الأوربيين في الوقت الذي يساندون فيه السفياني وإسرائيل ضد الإمام المهدي، وحينما يقتل السفياني يسقط ما في أيديهم فيقبلون الهدنة.

والإمام عليه السلام لا يبدأ معهم بحرب، وإنما يأخذهم بالدلائل والبراهين كما عن أمير المؤمنين عليه السلام بما ملخصه:

أن الإمام المهدي يقيم الحجة على الروم قبل المعركة، ويرسل إليهم قوة فيها بعض أصحابه الخاصيّن، فيستخرجون أصحاب الكهف، ونسخ التوراة، ويحتجون عليهم.[6]

(١) ابن حمّاد/ الملاحم والفتن ٤٧٠/٢.

(٢) ابن حمّاد/ الملاحم والفتن ٤٧٠/٢.

(٣) المصدر نفسه/ ١٤٢.

(٤) ابن حمّاد/ الملاحم والفتن/ ١١٨.

(٥) المصدر نفسه/ ١٤٢.

(٦) الحسن بن سليمان الحلي/ مختصر بصائر الدرجات/ ٢٠١.

وحينما يغدر الروم وتسقط خيارات السلم التي أتاحها لهم الإمام، تبدأ الحرب عنيفة، وتقوم على قدم وساق، بعد أن تكون جيوش الغربيين قد اجتمعت بأعدادها المتكاثفة، وهو ما يشار إليه في الروايات: عند نزول الروم الرملة واختلاف كثير في كل الأرض.[١]

هنالك تبدأ حملات الإمام المهدي في الحرب والفتوحات، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «ثم يسير ومن معه من المسلمين، لا يمرّون على حصن ببلد الروم إلاّ قالوا لا اله الا الله فتتساقط حيطانه... ثم يسير إلى رومية.... فيكبر المسلمون ثلاث تكبيرات فتكون كالرملة على نشز، فيدخلونها فيقتلون بها خمسمائة ألف مقاتل، ويقتسمون الأموال حتى يكون في الفيء شيءاً واحداً...»[٢]

ولا مانع أن يكون التكبير في بداية المعركة مؤشراً على قيام الحرب، فيقاتل المسلمون الغربيين «ويقتل في رومية ستمائة ألف، ويستخرج منها حلي بيت المقدس والتابوت الذي فيه السكينة...»[٣]

وعن ابن حمّاد أن الإمام المهدي وجنوده «ينطلقون إلى أرض الروم فيفتحون حصونها ومدائنها بالتكبير... ويتكايلون يومئذٍ غنائمها كيلاً بالغرائر.»[٤]

وهذا كلّه يدلّ أن الإمام يتجه إلى البلدان الأوربية لتحريرها، ويتم ذلك إمّا بحرب غير متكافئة فتتغلب جيوش المهدي عليه السلام على جيوش الغربيين، وإمّا طواعية دون مقاومة تذكر، وهذا إنما يكون بثلاثة عوامل رئيسية هي:

---

(١) ظ: المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٥.

(٢) السلمي الشافعي/ عقد الدرر/ ١٣٩ و١٨٩.

(٣) القول المختصر/ ١٤ لابن حجر الهيثمي.

(٤) ابن حماد/ الملاحم والفتن ٤٩٢/٢.

١. التأييد الإلهي في عالم الغيب مما لا حصر له.
٢. اعتضاد الإمام المهدي عليه السلام بالمسيح.
٣. مباركة الشعوب الأوربية لهذا الفتح المبين.

وهنا قد يتجلى معنى دخوله تلك البلدان بالتكبير، إذ الاستجابة متوافرة للفتح والنصر، وأن المسلمين ومن دخل معهم من المسيحيين يستبشرون بالإمام المهدي وجنوده ويستقبلونهم بعاصفة من التكبير شعاراً، وبموجة طاغية من الترحيب تأييداً، وتنعطف عليه القلوب انعطافاً، وحينئذٍ تتحقق الرواية القائلة:

«يفتح المدينة الرومية بالتكبير في سبعين ألفاً من المسلمين.»[1]

وتضيف رواية أخرى للمدينة الرومية القسطنطينية والصين:

يفتح قسطنطينية وورومية والصين.»[2]

«ورومية هذه هي إحدى عواصم الغرب الكبرى كما عن ابن حمّاد:

«رومية التي يفتحها المهدي هي أم بلاد الروم.»[3]

وفي رواية أخرى أن الإمام المهدي عليه السلام:

«يتوجه إلى بلاد الروم، فيفتح رومية مع أصحابه»[4]

وبعد هذه الفتوح المتتابعة لبلاد الروم، تقول الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «ثم تسلم الروم على يده، ويستخلف عليهم رجلاً من أصحابه، وينصرف»[5]

وتتجه شرذمة من قادة أصحاب السفياني في خضمّ الأحداث

---

(١) عبد الله شبر/ بشارة الإسلام/ ٢٩٧.
(٢) المصدر نفسه/ ٢٥٨.
(٣) ابن حمّاد/ الملاحم والفتن/ ٦٤.
(٤) الحائري/ إلزام الناصب ٢/٢٢٥.
(٥) مصطفى الحسني/ بشار الإسلام/ ٢٥١.

إلى الروم، فيهددهم المهدي عليه السلام وأصحابه بضرورة إرجاعهم، وإلا فالحرب مرة أخرى، فيدفعونهم إليه عليه السلام، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام في قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾[1]

قال الإمام: «إذا قام القائم وبعث إلى بني أمية (أصحاب السفياني) فهربوا إلى الروم، فيقول لهم الروم: لا ندخلكم حتى تتنصّروا!!

فيعلقّون في أعناقهم الصلبان فيدخلونهم، فإذا نزل بحضرتهم أصحاب القائم طلبوا الإمام والصلح، فيقول أصحاب القائم: لا نفعل حتى تدفعوا إلينا من قبلكم منّا، قال: فيدفعونهم إليهم...»[2]

وهذا يعني تمكّن قيادة الإمام المهدي عليه السلام من فرض الإرادة وإنفاذ الأمر، بحيث لا يختلف الأوربيون عن تنفيذ طلبهم على الفور، وبذلك يعرف مدى ضعف الأوربيين أمامه، ومدى قوة الإمام وأصحابه، وذلك من مظاهر علوّ كلمة الله في الأرض.

يقول الأستاذ علي الكوراني دام علاه:

«يكون لهزيمة الغربيين الساحقة على يد الإمام المهدي عليه السلام في فلسطين وبلاد الشام آثار كبيرة على شعوب الغرب ومستقبله، ولابد أن الكلمة النافذة في الغرب تصبح للمسيح والمهدي عليهما السلام، فإن التيار الشعبي المؤيد لهما في الشعوب الغربية يكون قوياً بحيث يتسبب في إسقاط حكومات معادية لهما، وإقامة حكومات موالية تعلن انضمامها إلى دولة المهدي عليه السلام.»[3]

---

(١) سورة الأنبياء/ ١٢ ـ ١٣.

(٢) الكليني/ الكافي/ ٨/٥١.

(٣) علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٢٥٢.

ولدى انتهاء الإمام من تحرير الشام وافتتاح بيت المقدس والقدس، وتحرير فلسطين من إسرائيل، والسيطرة الفعلية على الغرب بمساندة السيد المسيح، وانتصاراته المدويّة في الآفاق، يكرّ الإمام عائداً إلى الكوفة الغراء، ليدير من هناك دولة الإسلام العالمية، وبذلك يستقبل العالم نمطاً جديداً من الحياة الإنسانية، لا عهد لهم به من ذي قبل.

الفصل الرابع

دولة الإسلام العالمية

تطبيع الأسباب في السيطرة على العالم.

حكومة الإمام المهدي (ع) وأحكامه.

سيادة الإسلام في دولة الإمام.

الدولة الجديدة والتكامل الإنساني.

تطوّر الحياة الاقتصادية والعلمية في دولة الإسلام العالمية.

كم هي مدة حكم الإمام المهدي للعالم؟

تطبيع الأسباب في السيطرة على العالم

بعد جمهرة الحروب التي يخوضها الإمام المهدي عليه السلام بأصحابه وقيادته العليا، وبملايين الأولياء والأتباع في العالم الإسلامي والدول الأوربية، وبعد النضال المستميت في مجاهدة الأمم المنحرفة، ومحاربة القيادات الضّالة، ومكافحة العناصر الغريبة عن الدين، والقضاء على الخوارج وأعداء الشعوب، سيكون العالم بإذن الله تعالى تحت سيطرة الإمام المهدي عجل الله فرجه، وستتلاشى عن الأفق سحائب الظلم والطغيان والجبروت، وسيلوح ذلك الكوكب الهادي داعياً إلى الله، فتشرق الأرض بنور ربّها، وتنطلق أساريرها بهجة بهذا النصر العظيم.

وكل ذلك إنما يتوافر بأمرين مهمّين:

الأول: تطبيع الأسباب للإمام المهدي عليه السلام بقوة إلهية تخترق معالم المستحيل، فتقرّب البعيد، وتبعّد القريب.

الثاني: تدرّع الإمام المهدي عليه السلام بآليةٍ بشرية عاملة، تمتلك العدّة المتطورة في فتح العالم وإخضاع الدول لقيادة الإمام.

وبذلك يتحقق الوعد الغيبي بسلطان الله في الأرض على يد

الإمام عليه السلام ثابتاً راسخاً متمكناً، فقد روي مسنداً عن أبي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «إذا تناهت الأمور إلى صاحب هذا الأمر، رفع الله تبارك وتعالى له كل منخفض من الأرض، وخفض له كل مرتفع منها، حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته!! فأيكم كانت في راحته شعرة لم يبصرها.»(١)

وهذا التعبير برفع المنخفض وخفض المرتفع تعبير كنائي بليغ عبّر به الإمام الصادق عليه السلام عن تطبيع الأسباب لصاحب هذا الأمر، وهو يوحي بتذليل الصعوبات بين يدي حكمه، فلا تبقى عقبة ما في طريقه، بل تكون الدنيا منبسطة كراحة الكفّ، فلا تخفى عليه خافية في الأقاليم، ولا تعزب عنه لفتة ما في الكون.

وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك، فإن الله تعالى بلطفه الخفيّ وإشاءته التي لا تقهر، يمكّن للإمام في الأرض تمكيناً عريضاً ويجعل العالم طوع إرادته، والدنيا في قبضته، بعد جهاد طويل ومعاناة شاقّة يثبت فيهما الإمام المقدرة الفائقة باستجابة الخلائق له، فقد روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«أما أن ذا القرنين قد خيّر السحابين، فاختار الذلول، وذخر لصاحبكم الصعب.

قال الراوي: قلت وما الصعب؟

قال الإمام: ما كان فيه رعد وصاعقة أو برق فصاحبكم يركبه!!

أما أنه سيركب السحاب، ويرقى الأسباب: أسباب السماوات والأرضين السبع»(٢)

---

(١) الصدوق/ كمال الدين/ ٦٣٢.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٣٢١/٥٢.

وتجوال ذو القرنين في الخافقين قد تحدث عنه القرآن الكريم في سورة الكهف، وقد أتاه الله تعالى من كل سبب، فأتبع سبباً، وقام بخوارق العادات وعجيب الإنجازات في ذلك التجوال الكبير والسياحة في الأرض، ومع هذا فحله وترحاله ونضاله العظيم كان على المستوى الأسهل قياساً لما يحققه الإمام المهدي عليه السلام، فقد اختار الله لقائم آل محمد المركب الصعب في تحركه العالمي، فعانى ما عانى، وقاسى ما قاسى من شدائد وابتلاءات، يصاحبها الرعد والبرق والصواعق تعبيراً عن شدة الوقع، واختراق الصعب، ومجابهة الأحداث الصلاب حتى يبلغ سبباً ويتبع سبباً، ويرقى إلى أسباب السماوات والأرضين، فيستقطب العوالم كافة كما أراد الله له ذلك.

ويبدو من الأحاديث أن هذا التوسع في الاستيلاء، والإمكانات في الاستيعاب الشامل للكون، مدّخر للإمام المهدي عليه السلام وحده، دون ذي القرنين أو سواه.

وفي تعبير آخر مقارب للأول ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله خيّر ذا القرنين السحابين الذلول والصعب، فاختار الذلول، وهو ما ليس فيه برق ولا رعد، ولو اختار الصعب لم يكن ذلك له، لأن الله ادخره للقائم عليه السلام.»[1]

وقد يشير هذا النص مضافاً إلى دلالته التسخيرية إلى مدى التقدم العلمي والحضاري على يد الإمام في عصره ذاك، حتى أنه ليتنقل في هذه العوالم المترامية الأطراف بقدرات هائلة، وبتكامل من الأسباب الطبيعية مضافاً إلى الأسباب الإعجازية.

إذ قد يخترق الآفاق بمركبات فضائية متطورة ذات أبعاد جديدة قد لا

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٣٢١/٥٢.

تصل أذهاننا إلى معرفة كنهها اليوم، وإن لاحت بوادر ذلك في المركبات الضخمة التي تتحدى الجاذبية وتخترق الغلاف الجوي الحاجز في طريقها إلى الكواكب السماوية العليا.

وما يتاح للإمام عليه السلام يتماشى مع ازدهار الحياة العلمية في عصره ـ كما سيأتي ـ وتنفتح قيادته المثالية على أعقد الصناعات والمعدات ابتكاراً واختراعاً، مما يعني أن عصره العظيم سيدخل التاريخ من أوسع أبوابه في مراحل متطورة من الاكتشافات والتقنيات العالية التي يبلغ بها الأسباب، وهو أمر ممكن في حدّ ذاته بدليل قوله تعالى:

﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴾(١)

فكيف إذا اقترن ذلك بالإرادة الإلهية في أمر الكينونة المطلقة للأشياء ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢)

وإذا أعطيت للإمام المهدي هذه القدرات الهائلة مقترنة بالتأييد الإلهي وأمر الكينونة المطلقة، تحققت السيطرة على العوالم جميعاً دون أدنى ريب.

وبذلك تنتشر ألويته خفّاقة في الكرة الأرضية، ويحقق الأمن والسلام والاستقرار الشامل، ويكون أصحابه بتعيين منه عليه السلام قادة العالم وحكّام الكون مع الاعتداد بهم وعلو منزلتهم في الدنيا والآخرة، فعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«كأني بأصحاب القائم وقد أحاطوا بما بين الخافقين، ليس شيء إلا هو مطيع لهم... حتى تفخر الأرض على الأرض وتقول: مرّ بي اليوم رجلٌ

---

(١) سورة الرحمن/ ٣٣.
(٢) سورة ياسين/ ٨٢.

من أصحاب القائم.»[١]

ويبدو أن العالم سيكون مهيئاً نفسياً وفكرياً لتقبل تعليمات الإمام عليه السلام بعد مشاهدة ما يجري على يديه من التكريم الإلهي، يضاف إلى هذا التقبّل متابعة الانفتاح الدقيق للفكر البشري في استقباله للحقائق الكبرى بعد غياب طويل للوعي الإنساني، في تقلّب ميدان الحياة بين مدّ وجزر، فهو عاطل فيما سبق عن ممارسة التفكير السليم، وفي شغل شاغل من الحروب والفتن، وإذا به يفجأ بهذا العالم الجديد، عالم الحرية الفردية والعدل الاجتماعي، حينذاك تحنّ إليه القلوب شغفاً، وترتبط به حباً وتعلقاً.

فعن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«المهدي محبوب في الخلائق، يطفئ الله به الفتنة الصمّاء.»[٢]

بل أن الإنسانية بأبنائها تعود إلى الفطرة النقيّة الخالصة، فتأوي إليه مؤمنة بقيادته العليا وأبوته الروحية للأمة.

فعن الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«تأوي إليه أمته كما تأوي النحلة إلى يعسوبها، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، حتى يكون الناس على مثل أمرهم الأول، لا يوقظ نائماً، ولا يهريق دماً.»[٣]

وإنما يكون ذلك بعد استقرار حياة الدولة العالمية، إذ تسود العدالة ويرتفع الظلم ويتعايش الناس بسلام.

وليس لدى البحث ـ علمياً ـ أي تردد في مبدأ سيطرة الإمام ـ أرواحنا فداه ـ على العالم أجمع، لأن طبيعة ثورته عالمية الدلالة،

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٣٢٧.

(٢) مصطفى الحسني/ بشارة الإسلام/ ١٨٥.

(٣) ابن حمّاد/ الملاحم والفتن/ ٩٩.

وليست إقليمية الهدف، ولأن رسالته امتداد للرسالات السماوية التي ختمت بالإسلام، ومعنى دولته العالمية يساوي دولة الإسلام «حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني، ولا صاحب ملة إلاّ صار إلى الإسلام» كما تقول الرواية.(١)

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال:

«..... حتى لا تبقى قرية إلا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، بكرة وعشياً.»(٢)

والذي يدعو ـ حقاً ـ إلى الدهشة والانبهار: ذلك التطويع الإلهي للموجودات في نقمتها على أهل الشرك والكفر، مع كره الكافرين والمشركين إجماعاً للإمام، ولكنهم يؤخذون بغتةً من بين أيديهم ومن خلفهم، بل من الجهات كافة فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنه قال:

«.... فإذا خرج القائم لم يبق كافرٌ ولا مشركٌ إلاّ كره خروجه، حتى لو أن كافراً أو مشركاً في بطن صخرة لقالت الصخرة:

يا مؤمن في بطني كافر أو مشرك فاقتله، فيجيئه فيقتله.»(٣)

وفي ضوء ما تقدم يبدو أن الديانات وهي شتى، تنصهر كلها في الإسلام، ولا يبقى صوت يذكر لدعاوى الإلحاد، ولا يُرى له موقع على وجه الأرض.

فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في هذا الصدد أنه قال:

«..... ويبلغن دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما بلغ الليل، حتى لا يكون شرك على

---

(١) البحراني/ المحجة البيضاء/ ٨٧.

(٢) المصدر نفسه/ ٨٦.

(٣) البحراني/ المحجة البيضاء/ ٨٦.

وجه الأرض.[١]

بل هناك في الروايات ما هو أكثر من هذا استظهاراً، وأبلغ منه إمتداداً لخط الإسلام، حتى يسلم الأوربيون أنفسهم، ويقبل الإمام إسلامهم، ويبني لهم المساجد ودور العبادة، ويستخلف عليهم من يتصدى لشؤونهم الدينية.

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«ثم تسلم الروم على يديه، فيبني لهم مسجداً، ويستخلف عليهم رجلاً من أصحابه، وينصرف.»[٢]

وهذا يعني تأثر المسيحيين بالإمام عليه السلام، نظراً منهم لأنفسهم، بعد تلقي الحجة أثر الحجة، وهذا الملحظ يمثل قمة الاستخلاف الموعود في الأرض.

وتهوي عروش الطغاة، وتطهّر الأرض من أرجاسهم، فتعود كسبيكة الفضة، ويكون الملك المطلق للإسلام وقد جاء ذلك في حديث للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«ولا يكون ملك إلاّ للإسلام، وتكون الأرض كفاتور الفضّة.»[٣]

وإذا تم استقطاب العالم على هذا النحو، فهو مما يؤدي بالضرورة إلى ظاهرتين، تبنى نتائجهما على تلك المقدمات.

الظاهرة الأولى: إعمار الأرض واستثمارها، وعودة الحياة الإنمائية إلى الأرض من جديد، ويكون ذلك بديلاً للخراب السابق.

الظاهرة الثانية: يكون الإيمان خالصاً لله عزّ وجلّ، وتختفي مظاهر الشرك والصنمية، وتصفو العبادة من دنس الإلحاد.

---

(١) العياشي/ التفسير ٢/٥٦.

(٢) مصطفى الحسني/ بشارة الإسلام/ ٢٥١.

(٣) ابن طاووس/ الملاحم والفتن/ ٦٦.

هاتان الظاهرتان يعبر عنهما الإمام محمد الباقر عليه السلام بقوله:

«لا يبقى في الأرض خرابٌ إلا قد عمر، ولا يبقى معبود من دون الله تعالى من صنم ووثن وغيره، إلاّ وقعت فيه نار فاحترق.»(١)

ويؤكد الإمام جعفر الصادق عليه السلام على ظاهرة الإخلاص في العبادة لله عز وجل حتى يكون الدين كلّه لله تعالى، في قوله:

«ولا تبقى في الأرض قطعة عُبد فيها غير الله عز وجل إلاّ عُبد الله عز وجل فيها، ويكون الدين كله لله ولو كره المشركون.»(٢)

وتواتر الأخبار إجماعاً يقرر لنا صورة فريدة في تطبيع الأسباب للإمام، وتسهيل كل عسير، وإبادة كل جبار عنيد، وإهلاك الشياطين، فعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، أنه قال: «... يسهّل الله له كل عسير، ويذلل كل صعب، ويقرّب كل بعيد، ويبيد به كل جبار عنيد، ويهلك على يده كل شيطان مريد.»(٣)

كل أولئك كفيل بأن يعيد للإسلام صفاءه ونقاءه كما بدأ في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحكم أمير المؤمنين عليه السلام، فيدرأ عنه ذلك التزييف التاريخي المشين الذي أحدثه طغاة الأمة، وبذلك يتحقق ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«سيميت الله به كل بدعة، ويمحو كلّ ضلالة، ويحيي كل سنة.»(٤)

وهذا غاية التمكّن في الأرض، وإقامة مؤشرات الدين الإسلامي في أنظمته بديلاً عن القوانين الوضعية المشوبة بالبدع والضلالات، وتطبيق عملي لمبادئ الإسلام في أبرز اهتماماته.

---

(١) الصدوق/ كمال الدين/ ٣٣١.

(٢) الكليني/ الكافي/ ١/٣٣٤.

(٣) الصدوق/ كمال الدين/ ٣٥٣.

(٤) الكليني/ الكافي/ ١/٤١٢.

كما أن سيرة الإمام المهدي عليه السلام، وتعامله بين الناس يحدثان انقلاباً مفاجئاً في سنن التعامل الجارية لدى اناس، ويحققان تغييراً جذرياً في حياة الأحكام الوضعية التي لا تمت إلى الإسلام بصلة، ويعود بالناس إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعن عبد الله بن عطاء قال: سألت أبا جعفر الإمام الباقر عليه السلام، فقلت: إذا قام القائم عليه السلام بأي سيرة يسير في الناس؟

فقال عليه السلام: «يهدم ما قبله كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويستأنف الإسلام جديداً.»[1]

وهذا ما يدعو البحث إلى الحديث ـ قدر المستطاع، وفي ضوء الأحاديث الشريفة ـ عن حكومة الإمام المهدي عليه السلام وأحكامه التي يدير بها شؤون الدولة.

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٢/٣٥٤.

حكومة الإمام المهدي وأحكامه

من مؤشرات آخر الزمان سيطرة الحكم الطاغوتي على العالم، وضياع الإسلام في البلاد الإسلامية وقلب مفاهيمه، وتفسير أحكامه تبعاً للهوى والمصالح السياسية، حتى يعود الدين غريباً كما بدأ غريباً، فحدوده معطلة وسننه لا يعمل بها، والقرآن لا يبقى إلا رسمه، ومؤدى هذه الظواهر أن المناخ الجاهلي هو المنتشر بالآفاق، وأن رياح الردّة عن الإسلام بواقعه الحقيقي هي التي تعصف بالأجواء، وحين ذاك تكون ثورة الإمام المهدي على العرف السائد حدثاً غريباً في المبادئ المتوارثة عند الشعوب، إذ ينادي بقيم ومثل جديدة، تقلب فيها الموازين المتناحرة في الاتجاهات والمبادئ، وتتأكد بقوة مفاهيم أخرى لا عهد لهم بها في ذلك العصر، فيدعو إلى الإسلام كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويبعث الإسلام حياً نابضاً بعد أن رثت معالمه، وينادي به شريعة ومنهاجاً حين اندرست آثاره، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«إن قائمنا إذا قام دعا الناس إلى أمر جديد كما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وإن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء.»(١)

وفي توجه الإمام الجديد، ندرك ما سيلاقيه من العنت والعداء كما لاقى رسول الله من الجاهلين أول الدعوة، وهذا ما تفرضه طبيعة الظروف المنحرفة عن الإسلام لدى الظهور المبارك.

فيقابل الإمام ذلك الزيغ بالعمل المضني والنضال الدامي، فيجعل القرآن إمامه في معارفه وتعاليمه وتشريعه، ويحيي السنة بثوابتها التي لا تتحول، فعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي، ويريهم كيف يكون عدل السيرة، ويحيي ميّت الكتاب والسنة.»(٢)

ويبعث الحركة في تشريعات القرآن بعد خمودها، ويطبق منهجه الأسمى في ضوئه، ويبدأ بتعليمه كما أنزل أول مرة، فعن جابر عن أبي جعفر الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ضرب فساطيط، ويعلم القرآن على ما أنزل الله عزّ وجلّ، فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم، لأنه يخالف فيه التأليف (المألوف).»(٣)

فإذا توافر التعليم الصحيح بأبهى مظاهره بدأ العمل تطبيقياً بأحكامه وفروضه كما عن الإمام محمد الباقر أنه قال:

«..... إن الدنيا لا تذهب حتى يبعث الله عزّ وجلّ رجلاً من أهل البيت، يعمل بكتاب الله، لا يرى فيكم منكراً إلّا أنكره.»(٤)

ويكون تعليم القرآن بأصوله قائماً على قدم وساق في حواضر

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٦٦/٥٢ وانظر مصدره.

(٢) شرح نهج البلاغة ٣٦/٤.

(٣) المفيد/ الإرشاد/ ٤١٣.

(٤) الكليني/ الكافي/ ٣٩٦/٨.

الإسلام لاسيما في مسجد الكوفة، إذ تتشكل هيئات تعليمية في دورات منظمة تعنى بتعليم القرآن، وقد تكون من التأهيل بحيث يوفد المتعلمون لاحقاً إلى الأقطار لأداء هذه المهمة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال:

«كأني أنظر إلى شيعتنا بمسجد الكوفة قد ضربوا الفساطيط يعلّمون القرآن كما نزل.»(١)

ويبدو أن تطبيق القرآن كما أراد الله له ديناً ودولة، يكون شديداً على الناس، فيختلفون فيه كما اختلف في الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾(٢)

قال الإمام: «اختلفوا كما اختلفت هذه الأمة في الكتاب، وسيختلفون في الكتاب الذي مع القائم الذي يأتيهم به ينكره ناس كثير، فيقدمهم فيضرب أعناقهم.»(٣)

والقرآن هو القرآن، فلماذا ينكره الناس في عهد صاحب الأمر، المرجح في هذا الموضوع أنه عليه السلام يأتي بالتنزيل مع التأويل الصحيح فينكرون ذلك، لما يطّلعون في التأويل من عوالم أهل البيت المجهولة لدى أغلب الناس.

وتعلل رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام سبب تسمية صاحب الأمر بالمهدي بأنه يهدي إلى القرآن، وهو أمر مضلول عنه كأحد المصاديق التي تشير إليها الرواية، فعن محمد بن عجلان عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال:

«إذا قام القائم دعا الناس إلى الإسلام جديداً، وهداهم إلى أمر قد

---

(١) النعماني/ الغيبة/ ٣١٧.

(٢) سورة هود/ ١٠.

(٣) الكليني/ الكافي ٨/ ٢٨٧.

دثر، فضلّ عنه الجمهور، وإنما سمي القائم مهدياً لأنه يهدي إلى أمر مضلول عنه، وسمي بالقائم لقيامه بالحق.»[١]

ولهذا فإن، معاناة الإمام في تطبيق أحكام القرآن والعود بالناس اليه، ستكون شديدة الأثر في الدعوة إليه، لأنه عليه السلام سيكون صارماً في تنفيذ المهمات الشرعية دون تردد وبكلّ جديّة معاملة الواثق الجريء، فلا يعطيهم إلا السيف، ففي رواية عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال: «ومن لم يُسلم ضرب عنقه، حتى لا يبقى في المشارق والمغارب أحد إلا وحّد الله.»[٢]

والملفت للنظر في الروايات شدة الإمام في أحكامه الصارمة مع قريش، وقد يكون المراد من قريش السائرين بركاب قريش، والمنتمين إلى كبريائهم وجبروتهم، والحاملين لأفكارهم تعنتاً وجاهلية، وقد يكون بهؤلاء وبقريش خاصة، إذ يُقابل الإمام بالتسفية والتكذيب والعناد كما قوبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال:

«لو يعلم الناس ما يصنع القائم ـ عليه السلام ـ إذا خرج لأحب أكثرهم أن لا يروه مما يقتل من الناس، أما إنه لا يبدأ إلاّ بقريش، فلا يأخذ منها إلا بالسيف، ولا يعطيها إلاّ السيف، حتى ليقول كثير من الناس:

ليس هذا من آل محمد، ولو كان من آل محمد لرحم.»[٣]

ولسائل أن يسأل عن شدّة هذه الأحكام لدى الإمام عليه السلام في حكومته: دليلها، شرعيتها، كيفيتها!!

وللإجابة عن هذا السؤال، يرى البحث أن الإمام المهدي عليه السلام في

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٤١١.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٣٤٠/٥٢.

(٣) النعماني/ الغيبة/ ٢٣٣.

قضائه على الفجرة والكفرة، إنما يتّبع في ذلك الحكم الواقعي الذي يلهمه الله إياه، فيسير في ضوئه، فللإمام ما ليس لغيره، وله أن يحكم بعلمه، فقد روى عبد الله بن عجلان عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال:

«إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله، حكم بين الناس بحكم داوود عليه السلام، لا يحتاج إلى بيّنة، يلهمه الله تعالى فيحكم بعلمه، ويخبر كل قوم بما استبطنوه، ويعرف وليّه من عدوه بالتوسم، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾[1][2]

وفي ذلك روايات كثيرة تحمل هذا المضمون، في كون الإمام عليه السلام يحكم بحسب علمه، كما حكم بذلك داوود عليه السلام، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داوود، ولا يسأل البينة.»[3]

وعن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«لا تذهب الدنيا حتى يخرج رجل مني، يحكم بحكومة آل داوود، ولا يسأل البيّنة، يعطي كل نفسٍ حقها.»[4]

وذلك أن الحقائق تتجلى للإمام كما هي، وتكشف له خبايا الضمائر والسرائر، فيغربل حسيكة النفاق، فيلتقط المنافقين على حين غرة منهم، وقد يكون بعضهم ممن هو في أعوانه بالفعل، فيقيم عليه حكم الله بهذا التجلي الفريد، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنه قال:

«بينا الرجل على رأس القائم يأمره وينهاه، إذ قال: أديروه، فيديرونه

---

(١) سورة الحجر/ ٧٥ ـ ٧٦.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٤١٣.

(٣) الحر العاملي/ وسائل الشيعة.

(٤) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٢/

إلى قدّامه، فيأمر بضرب عنقه، فلا يبقى في الخافقين شيء إلاّ خافة.»[١]

إن هذا النوع من الأحكام والقضاء الفصل جزء من ذلك العلم اللّدني الذي وهبه الله للإمام عليه السلام، فهو ينظر بنور الله تعالى، ويسير وفق خطة مرسومه لا يحيد عنها، وهي بعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أن المهدي يقوم إليه رجل من صلب أبيه معترضاً على أحكام القتل من المجرمين قائلاً للإمام عليه السلام:

«يا هذا ما تصنع؟ فو الله إنك لتجفل الناس إجفال النعم!!

أفبعهد من رسول الله؟ أم بماذا؟

فيقول القائم... إي والله إن معي لعهداً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... فيقرأ العهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول الرجل:

جعلني الله فداك: إعطني رأسك أقبله، فيعطيه رأسه، فيقبّل ما بين عينيه، ثم يقول: جعلني الله فداك، جدّد لنا بيعة، فيجدد لهم بيعة.»[٢]

وهذا الموقف من قبل أقرب الناس إليه، يمكن أن يؤول بأحد أمرين:

الأول: أن يكون يكون الغرض استراتيجياً لإشعار الناس: أن ما يقوم به الإمام إنما هو من صميم تكليفه الشرعي الذي لا مناص منه، وهو مأذون أو مأمور بإجرائه بعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعليهم التسليم المطلق بمثل هذا الواقع، ذلك لئلا يشك أحد منهم بماهية هذا القضاء أو شرعية تلك الأحكام.

الثاني: أن الرجل مع صلابة إيمانه قد اعترته الدهشة وأخذه الاضطراب النفسي وهو يرى الإمام يستأصل المئات قتلاً وتنكيلاً، فأراد الاطلاع على حقيقة الأمر بنفسه، ليدرأ عنها الشك والارتياب، وحينما يرى العهد المعهود للإمام من الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ينعطف على الإمام

(١) المصدر نفسه/ ٣٥٥/٥٢.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٤٣/٥٣.

فيقبل ما بين عينيه اعتذاراً واعتزازاً بوقت واحد، ويطلب تجديد البيعة لئلا تكون هذه المداخلة مما يتقاطع مع طاعة الإمام.

وهذا العهد من رسول الله صلى الله عليه وآله ذو شهرة واسعة في أحاديث قضاء الإمام الذي لا يستتيب أحداً من ذوي العقوبات المقررة، وهو ما يصرح به الإمام محمد الباقر عليه السلام بما روي أنه قال:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله (بعث) في أمته باللين والمنّ، وكان يتألف الناس، والقائم يسير بالقتل ولا يستتيب أحداً!! بذلك أمر في الكتاب الذي معه، ويل لمن ناواه.»(١)

وفي ضوء ما تقدم ندرك جزءاً يسيراً من فلسفة الإمام في حكومته وأحكامه، حتى تعلو كلمة الله في الأرض.

يقول الأستاذ علي الكوراني دام مجده.

«وقد يرى بعضهم في سياسة القتل والإبادة للظالمين التي يعتمدها الإمام المهدي عليه السلام أنها قسوة وإسراف في القتل!!

ولكنها في الواقع عملية جراحية ضرورية لتطهير الأرض من الطغاة والظالمين، وبدونها لا يمكن إنهاء الظلم من على وجه الأرض وإقامة العدل خالصاً كاملاً، والقضاء على أسباب المؤامرات الجديدة التي سيقوم بها بقاياهم فيما لو استعمل الإمام معهم سياسة اللين والعفو.»(٢)

إن هذا الاتجاه المستقيم الصارم في سياسة الإمام لا يمكن أن يؤول إلاّ بانقطاع الأمل عن إصلاح المجرمين، فلا حيلة للإمام عليه السلام إلا استئصالهم ليتفرغ إلى إدارة الأمة وقيادة الدولة في جو هادئ بعيد عن الإثرة والاستعلاء والإجرام، ويكون بعد ذلك العمل متواصلاً في تنظيم

(١) النعماني/ الغيبة/ ١٢١.

(٢) علي الكوراني/ عصر الظهور/ ٢٥٦.

الحكم والقضاء على أساس العدل المطلق، وذلك إما بتعليماته الخاصة لمبعوثيه في العالم، وإمّا بإشاءة إلهية تخترق نواقيس الطبيعة، وإما باستحداث أجهزة ذات كفاية عالية في البث والتلقي والإنصات، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً، يقول: عهدك في كفك، فإذا ورد عليك أمر لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك واعمل بما فيها.»[1]

وقد يتم هذا بالقانون الطبيعي والهاتف النقّال نموذج له، وإمّا بالطريق الإعجازي، وذلك مما يتوافر للإمام، وكلا الأمرين جائز.

(١) النعماني/ الغيبة/ ٣١٩.

سيادة الإسلام في دولة الإمام

إذا علمنا ـ كما سبق ـ أن الله تعالى يفتح للإمام مشارق الأرض ومغاربها، علمنا بالضرورة تمكينه في الأرض ووراثته لقيادة العالم كما أنبأ القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[1]

وهذا يوحي بالاستخلاف الموعود للذين استضعفوا في الأرض بقوله تعالى:

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾[2]

وهذه الوراثة وذلك الاستخلاف يكون بالجعل الإلهي، كما كان الأئمة أئمة بالجعل الإلهي لا بالتعيين البشري، وبهذا الجعل في الوراثة والاستخلاف والإمامة تقوم دولة المهدي، فقد روي عن الإمام الصادق في تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾[3]

---

(١) سورة الأنبياء/ ١٠٥.

(٢) سورة القصص/ ٥.

(٣) سورة التوبة/ ٣٣.

قال الإمام: «والله ما نزل تأويلها، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عليه السلام، فإذا خرج القائم لم يبقَ كافر بالله العظيم ولا مشرك...»(١)

والاستقراء التاريخي يؤيد هذه الرواية في تأويل الآية، إذ لم يكتب منذ عصر الرسالة حتى اليوم أن ظهر الإسلام على الأديان.

وفي تفسير الآية: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّـٰلِحُونَ﴾(٢)

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام في ثلاثة نصوص له:

قال: هم أصحاب المهدي في آخر الزمان.

قال: هم آل محمد.

قال: هم نحن.(٣)

وهذه الوراثة لا تعني الاستيلاء على بقاع الأرض فحسب، وإنما هي وراثة شاملة مستفيضة بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فهي تعني الظهور والتمكن وأداء فروض الرسالة، وتطبيق الإسلام، وإعلاء كلمة الله في الأرض، وسيادة الدين في دولته عليه السلام.

ولقد تحدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذي القرنين، وربط بينه وبين آل محمد، وقارن بينهما في التمكين العريض في الأرض، بما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«وإن الله مكّن له (يعني ذا القرنين) في الأرض، وآتاه من كل شيء سبباً، وبلغ المشرق والمغرب، وأن الله تبارك وتعالى سيجري سنته في القائم من ولدي، ويبلغه شرق الأرض وغربها، حتى لا يبقى سهل ولا موضع من سهل، ولا جبل وطئه ذو القرنين إلا وطئه، ويظهر الله كنوز الأرض ومعادنها، وينصره بالرعب يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٢٤/٥٢.

(٢) سورة الأنبياء/ ١٠٥.

(٣) البحراني/ البرهان في تفسير القرآن ٧٥/٣.

ملئت ظلماً وجوراً.»(١)

هنالك تظهر مصاديق الوعد الحق بقيام الدولة الإلهية النموذجية، تلك الدولة المثالية المنزهة أطرافها عن الظلم والاستبداد والجور، المطوّحة برموز الشرك والكفر والإلحاد، القائمة على التنزيه الخالص لله، وهو ما تشير إليه رواية حذيفة بن اليمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«فلا يبقى على وجه الأرض إلاّ من يقول: لا إله إلاّ الله.»(٢)

وفي ضوء ما تقدم يقول الأستاذ عدنان البكاء:

«إذا كان الله سبحانه برحمته لم يسمح في مرحلة التأسيس للرسالة الإسلامية بدءاً من صاحبها محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه حتى الحسن العسكري عليه السلام، تجاوز الوسائل العادية في الدعوة والمقابلة، فإن الأمر بالمهدي عليه السلام، الثاني عشر من الأوصياء لدى ظهوره ليس كذلك، إن الفسحة الزمنية التي أعطيت للناس ـ لتفكّر وتجرّب وتكشف في آيات الله وفي أنفسها وفي الآفاق، ثم لتتفاعل مع الرسالة في ضوء ذلك بمهل ـ كافية لتقطع العذر على من يأبى عناداً أن يسلم وجهه لله، فإن من المفهوم أن لا يترك الإمام مع ما لديه من العلم الذي يقيم به الحجة، والقوة التي يخضع بها العدو مجالاً لخيار وراء الإسلام.»(٣)

يضاف إلى هذا أن العالم ـ وقد شاهد الانتصارات الباهرة لقوات الإمام ـ سيذهل بكل المفاجآت التي ستحدث في التمكين من الأرض بكل معاني التمكين، ومن قبل هؤلاء القادة الميامين برصد غيبي وبتسديد رباني، فضلاً عن القوة وتوافرها في التسلح والإعداد والرجال في عصر الإمام سواءً أكان تقليدياً أو متطوراً، فإن ذلك كله سيكون بمثابة فرصة

---

(١) المجلس/ بحار الأنوار/ ٥٢/٣٢٣.

(٢) السلمي الشافعي/ عقد الدرر/ ٩٥.

(٣) عدنان البكاء/ الإمام المهدي المنتظر وأدعياء البابية والمهدوية/ ٢٨٦.

ذهبية للتأمل والتفكير في أسرار انتصارات كهذه لم تكن في الحسبان.

وطبيعي أن الفكر الواعي ـ وهو يتقدم في عصر الإمام بخطوات كبيرة نحو المعرفة والإدراك الكوني ـ سيتوصل إلى أن هذا المنقذ الفاتح إنما هو داعية للخلاص من الظلم والطغيان، وأن منهجه الرفيع بكل محاكماته ومشاهده ومعاركه إنما هو بنور من الإيمان، وبلمحٍ يقيني من الغيب، فيذعن تلقائياً إلى الأخذ بمبادئه وطروحاته بوحي من الاختيار التجريبي والفطرة النقيّة الخالصة من الشوائب العالقة، لأن تلك المبادئ وحدها هي التي ستحرره من قيود الظلم والاعتساف، وهي التي ستخلصه من براثن الجوع والفقر والاستعباد.

وفي هذا المنظور لا يبقى بديل للعالم إلاّ مواكبة خطى الإمام عليه السلام نحو التوحيد والتحرر وعبادة الله وحده لا شريك له.

حينذاك ينسلخ العالم من بؤر الحياة المادية الصرفة، ويتحرر من ربقة المذاهب البدوية الجافة، ويعي هذا المناخ الجديد الحافل بالمثل والمبادئ المزدهرة فيتفاعل معه روحياً وفكرياً.

إن هذه الاستجابة الواعية لدى شعوب العالم، ستهيئ تياراً زاخراً بالعواطف ومفعماً بالمحبّة لاستقبال الإسلام باعتباره المنقذ الأعظم للإنسانية من مظاهر التخلف وعصور الظلام، وهذا مما يساعد الإمام المهدي عليه السلام في بسط نفوذه على العالم، فتنضمّ الملايين الحاشدة تحت لوائه، وتسعى بين يديه للإطاحة بعروش الطغاة وسماسرة الظلم المبرمج.

وهنا يبدأ انهيار الحكومات الجائرة واحدة تلو الأخرى، وتتوطد راسخة أركان دولة الإسلام العالمية.

إن هذا التطور الكبير في انعطاف الشعوب على الإمام، وفي مساندته

بالفعل في تكامل المشروع الإلهي في الإنقاذ والخلاص، ومتابعته في إقامة الشعائر والسنن، يرجع إلى عوامل اساسية أهمها:

١. إن الإمام المهدي عليه السلام يقاتل قتالاً مريراً في سبيل إحياء السنّة وقد اندثرت وحرّفت حقائقها، ويعيدها كما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حية تنبض بالحس والحركة، بعيدة عن الجمود الذي ألصق بها من قبل علماء السوء.

وقد ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«المهدي من عترتي من ولد فاطمة، يقاتل على سنّتي كما قاتلت أنا على الوحي.»(١)

وبهذا القتال تخلص صفوة الكون من البشر لتعتنق الإسلام ديناً.

٢. بعد إعلان الإسلام نظاماً للحكم في دولة الإمام المهدي عليه السلام تتطهر الأرض من رجس النفاق وحكم الطاغوت وبقايا المرتدّين، فتكون السيادة للإسلام وحده بصريح الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«ولا يكون ملك إلاّ للإسلام، وتكون الأرض كفاتور الفضة.»(٢)

وفي الفقرة الأخيرة من الحديث الشريف تعبير بالكناية عن نقاء الأرض من المجرمين حتى تعود كسبيكة الفضة.

٣. إن الفتوحات المظفرة التي يحرزها الإمام عليه السلام بتوفيق من الله تعالى: «يفتح له المشارق والمغارب» ستكون عندها مثار إعجاب رعيل كبير من الناس، لأنهم يميلون بالفطرة إلى الفاتح العظيم، ويتعقبون أنباء انتصاراته، ويتخذونه مثلاً أعلى للاقتداء، فكيف إذا كان هذا الفاتح رمزاً للإنقاذ والخلاص.

٤. إن استيلاء المهدي على العالم الغربي بتأييد غيبي، وبمساعدة

---

(١) الكنجي الشافعي/ البيان في أخبار صاحب الزمان/ ٦٣.

(٢) ابن طاووس/ الملاحم والفتن/ ٦١.

السيد المسيح عليه السلام، يوحي بانبهار الغرب ودول أوربا بالمهدي والمسيح عليهما السلام، وإذا انضم العالم الغربي إلى العالم العربي والشرق الأوسط تحت قيادة الإمام عليه السلام، كان الإعلان عن سيادة الإسلام هو النتيجة المتوقعة من هذا التطاول في بقاع العالم.

٥. وفي المغرب العربي في إفريقيا، تشير بعض الروايات أن مصرياً ذا قيادة منظورة يخرج في حركة إصلاحية كبرى، وهو يدعو إلى الإسلام بقيادة آل محمد، وفي ذلك ورد النص الآتي:

«.... ويخرج (في مصر) قبل ذلك من يدعو لآل محمد.»[1]

ويؤيد مسير الإمام المهدي عليه السلام هو وأصحابه إلى مصر كما عن أمير المؤمنين:

«ثم يسيرون (أي المهدي وأصحابه) إلى مصر، فيصعد منبره، فتستبشر الأرض بالعدل، وتعطي السماء قطرها، والشجر ثمرها، والأرض نباتها، وتتزين لأهلها، وتأمن الوحوش حتى ترتعي في طرق الأرض كالأنعام.»[2]

ويبدو من الرواية أن الإمام المهدي عليه السلام يدخل إلى مصر عنوة ودون قتال، ليتخذها منبراً إعلامياً للإسلام، ومنها يطلّ على إفريقيا لتدخل في حضيرة حكمه الإلهي انفتاحاً على العالم الجديد.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الرواية تصرح بالنص:

«إن له علوماً مذخورة تحت بلاطة في أهرام مصر لا يصل إليها أحد قبله.»[3]

أمّا ماهية هذه العلوم وأهميتها فعلمه عند الله تعالى.

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٠٨/٥٢.
(٢) مصطفى الحسيني/ بشارة الإسلام/ ٧١.
(٣) الصدوق/ كمال الدين/ ٥٦٥.

٦. ويكون العامل الاقتصادي مؤثراً في حياة البشرية التي تبحث عن الحياة الحرة الكريمة في ظل اقتصاد مزدهر، يوفّر الاطمئنان نفسياً ومعاشياً، والإمام المهدي عليه السلام - كما في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - أنه «يحثو المال حثواً، ولا يعدّه عدّاً.»[1]

ويؤكد هذا الملحظ ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال:

«وتجمع إليه (أي المهدي) أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها، فيقول للناس تعالوا إلى ما قطعتم به الأرحام، وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم ما حرّم الله عز وجل. فيعطي شيئاً لم يعطه أحد قبله، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً، كما ملئت ظلماً وجوراً وشراً.»[2]

وإذا تم هذا تكون الموجات البشرية المتلاحقة قد دخلت في دين الله أفواجاً.

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٦٨/٥١.

(٢) المصدر نفسه ٣٥١/٥٢.

الدولة الجديدة والتكامل الإنساني

يقترن إقامة الدولة الإسلامية بقيادة الإمام المهدي عليه السلام، بتبلور ظاهرة جديدة على المجتمع المسلم في الفكر والعلم والتطور العقلي، حتى يتجلى التكامل الإنساني في الصفوة المختارة من أصحابه وأوليائه أولاً، ويمتد ذلك إلى الركب الإيماني السائر بخط الإمام في الشرق والغرب، ومنطق الروايات الغيبي يكاد أن يكون متضافراً في أصالة هذه الظاهرة وتطورها ببركة توجيه الإمام عليه السلام، فالأذهان تبدو وكأنها تتوقد ذكاءً، والعقول مفعمة إدراكاً، والقلوب تكاد تفيض خشوعاً وإيماناً، ذلك كله بما وهب الله تعالى لعباده من رجاحة العقل وكمال الأحلام، ويكون ذلك مواكباً للوعي التام والإدراك العميق، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد، فجمع به عقولهم، وأكمل به أخلاقهم (أحلامهم).»[1]

ولا تحسبن ذلك من وضع اليد على الرؤوس حقيقة، وإنما هو تعبير

(١) الصدوق/ كمال الدين/ ٦٣٢.

مجازي عن رعاية الإمام للبشرية، وامتلاكه بالقوة لا بالفعل ناصيتها، وذلك بترويض العباد على الإدراك المعرفي.

وهذا عام في البشر كافة، وهناك ما يخصص بأولياء الإمام من التكامل الإنساني، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنه قال:

«إن قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبينه بريد، يكلّمهم فيسمعونه، وينظرون إليه وهو في مكانه.»(١)

وذلك طريق لهداية الأسماع والأبصار إلى الحق بشكل مباشر، أما كيف يحدث ذلك فله مؤشران قائمان لا يختلف بهما اثنان:

الأول: الطريق الطبيعي المتعارف اليوم بوسائط نقل الصوت والصورة، كما هو الأمر في أجهزة التلفزة والفضائيات العالمية.

الثاني: الطريق الإعجازي في الرؤية والسماع الحقيقيين دون وسيلة علمية، وذلك من مختصات الله تعالى ويجريه على عباده المخلصين.

وما يقال هنا يقال نفسه فيما روي عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «إن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق.»(٢)

بقي القول: أن الطريق الطبيعي للرؤية والسماع يكون مشتركاً بين الناس ولا يخصّ المؤمنين وحدهم، فلذا يرى البحث أن في هذا الملحظ إشارة إلى البعد الإعجازي الخاص.

نعم هناك من الأحاديث ما يختص به المؤمنون من أولياء المهدي عليه السلام، كما هو ما يمتازون به في عصره، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «.... ويقذف في قلوب المؤمنين العلم، فلا

(١) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٢٣٦/٥٢.
(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٩١/٥٢.

يحتاج مؤمن إلى ما عند أخيه من العلم.»[١]

وهي ظاهرة فريدة بالاكتفاء العلمي الذاتي ببركة إمداد الإمام عليه السلام.

بل هنالك ما هو أعظم من ذلك دلالة في الفهم المعرفي بين المؤمنين والمؤمنات على حدٍ سواء، فعن حمران بن أعين عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال: «وتؤتون الحكمة في زمانه (زمن المهدي) حتى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.»[٢]

وهنالك في أحاديث أهل البيت عليهم السلام، إضفاء صفة التكامل الإنساني للقائلين بإمامته وغيبته فيما هم عليه من التوازن العقلي والفهم المركزي في رؤية الحقائق مجردة بما لا غبار عليه، وشك معه، فقد روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام، أنه قال لأبي خالد الكابلي: «تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من بعده.

يا أبا خالد: إن أهل زمان غيبته، القائلون بإمامته، المنتظرون لظهوره، أفضل أهل كل زمان لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والإفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسيف، أولئك المخلصون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً.»[٣]

وإذا بلغ الإيمان هذا المستوى من الإدراك للمنتظرين له، فما بالك بالإيمان المتكامل لدى ظهوره عليه السلام، في وزن الحقائق بالعقل السليم، والتوصل إلى استقراء العوالم المجهولة بإدراك معرفي دقيق، لاسيما فيما ينشره الإمام من العلم المخزون الذي يتم في استخراجه له عند دولته

(١) مصطفى الحسني/ بشارة الإسلام/ ٧١.

(٢) النعماني/ الغيبة/ ١٢٦.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار/ ١٢٢/٥٢.

الميمونة وقيامها، فهناك رواية فريدة ذات أبعاد هائلة بإزاء التكامل الإنساني ببركة الإمام وعمله الجادّ، تفسر لنا مدى ما وهبه الله للإمام المهدي عليه السلام من العلم الذي لا ينضب، فيفيضه في عصره، فعن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال: «العلم سبعة وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً، فبثها في الناس وضمّ إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً.»(١)

ولا شك أن المراد بهذا الحشد العلمي الكبير في نسبته إلى ما سبقه من علم الدنيا كلها، هو اشتماله الاستيعابي لمعاني العلوم ومصادرها كافة، واستصفاؤه لأصول العرفان عامة، فلا يقتصر ذلك على العلم الشرعي وحده، بل يتعداه إلى كل ما تحتاجه البشرية في حياتها الجديدة من المعارف العقلية والفكرية والصناعية والاقتصادية وبقية العلوم الأخرى.

وهذا ما يوحي فعلاً بأن الإمام بنشره لهذه الأطاريح الكبرى للعلوم الإنسانية والصرفة، إنما ينحو بذلك إلى إعداد العالم أجمع إعداداً تكاملياً يستغني به عن الاحتياج لأي نوع من الاستزادة العلمية، إذ تبلغ الأمم الذروة في الإدراك والتفتح على العلم بما لا مزيد عليه.

وإذ بلغ الناس هذا المستوى العظيم من التكامل العلمي فجدير بها أن تنظر إلى علم الإمام نفسه بدرجة أرقى متناهية، وذلك من باب أولى، وعلمه هو ذلك العلم اللدنّي الذي لا يحتاج معه إلى شيء من الدلائل وعوالم الإثبات، فقد روي أنه عليه السلام:

«ينصب له عمود من نور من الأرض إلى السماء، فيرى فيه أعمال

---

(١) القطب الراوندي/ الخرائج والجرائح/ ٢١٨.

العباد.»[١]

وقد سبق عن الإمام الصادق عليه السلام: أن الدنيا تكون عنده بمنزلة راحته طواعية وإرادة ورؤية.[٢]

واستشهد الإمام الصادق عليه السلام على مدى علم الإمام، بآيتين وهما:
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾[٣]

فقام الإمام بإزاء تطبيق المفهوم على أبرز المصاديق، فقال:

«إذا قام القائم عليه السلام لم يقم بين يديه أحدٌ من خلق الرحمن إلا عرفة: صالح هو أم طالح وذكر الايتين.[٤]

وفي هذا الضوء ينظر البحث إلى ما روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أن الإمام المهدي عليه السلام بعلمه اللّدني يخترق خفايا الأمور، «حتى انه يبعث إلى رجل لا يعلم الناس له ذنباً فيقتله، حتى أن أحدهم يتكلم في بيته فيخاف أن يشهد عليه الجدار.»[٥]

وبهذه الخوارق العلمية التي لم تجرِ بها العادة اليوم في سيرورة العلم اللامتناهي لدى البشرية، بما يفيضه الإمام المهدي عليه السلام، وبما يتمتع به هو بالذات من الخصائص التوقيفية، يخطو العالم في دولة الإمام إلى التكامل الإنساني الرفيع في مستواه ومعطياته، مما يشكل برهاناً مضيئاً على امتلاك الدولة الجديدة لكل مقومات الحياة، وهو ما يقود البحث إلى تسليط الضوء على تواتر النعم والخيرات، وتراصف الموارد الاقتصادية في إنعاش الإنسان، وتطوّر الحياة المعرفية الذي يرافق عصر

---

(١) الصدوق/ كمال الدين /٥٦٥.
(٢) المصدر نفسه/ ٥٣٢.
(٣) سورة الحجر/ ٧٥_٧٦.
(٤) الصدوق/ كمال الدين/ ٦٢٩.
(٥) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٣٩٠/٥٢.

الإمام، في إشارات موحية على سبيل المثال والإجمال، ليُستدل بما نذكر على مالم نذكر.

تطوّر الحياة الاقتصادية والعلمية في دولة الإسلام العالمية

لاشك أن الثورة الكبرى التي يقودها الإمام المهدي عليه السلام، منذ لمعان ظهوره المبارك، وبشائر قيام دولته العالمية، واستيلائه على الغرب والشرق، تؤكد حقائق جديدة في مضمار الحياة الإنسانية، فبعد معاناة البشرية من الفقر والقحط والمرض والإدقاع، وبعض تمنى بالتخلف في المسيرة الاجتماعية، وبعد ويلات الحروب المتطايرة بشررها هنا وهناك، وبعد الزلزال الكبير في الفتن والمحن والخوف الشامل الذي لا يقر معه للإنسان قرار، ولدى تقاطع الزعامات السياسية في المنهج والهدف والاستراتيجية، وعند تدهور العلاقات العامة بين الفرد والمجتمع وأئمة الكفر العالمي، وعند تسلط الطغاة على الشعوب بالإكراه والقسر، بما أنبأ عنه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه قال: «.... ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، فإن عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلوكم...»[1]

(١) الهيثمي/ مجمع الزوائد ٥/٢٣٨.

وهذا ما يفسر لنا طبيعة الاستخفاف بالناس والاستهانة بالأمة، فهي بين نارين: سل سيف البغي والعدوان وسفك الدماء لدى العصيان، وفتح باب الضلال والإضلال عن الحق والصراط المستقيم عند الإطاعة.

وهذا ما حدث بالفعل وسيحدث أضعافه في آخر الزمان بما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«يكون عليكم أئمة يملكون أرزاقكم، يحدثونكم فيكذبون، ويعملون ويسيئون العمل، لا يرضون منكم حتى تحسّنوا قبيحهم وتصدّقوا كذبهم، فأعطوهم الحقّ ما رضوا به، فإذا تجاوزوا، فمن قتل على ذلك فهو شهيد.»(١)

فإذا كان المسلمون يحيون في ظل أئمة وقادة يستحلون الكذب، ويرتكبون القبيح، ويمتلكون أرزاق الناس فيحتجبونها، ويسيء طغاتهم العمل، وهنا تبدو الصلابة في الموقف برفضهم، فإذا تجاوزوا ذلك إلى قتل الناس، فالمقتول شهيد بنصّ الرواية:

ويتفاقم بلاء الناس فيما بينهم وبين الحاكمين الظلمة، فلا يرتدعون إلاّ بظاهرة من ظواهر قيام الإمام المهدي عليه السلام بما روي عن الصادق عليه السلام، أنه قال:

«يزجر الناس قبل قيام القائم عليه السلام من معاصيهم بنار تظهر في السماء، وحمرة تجلل السماء...»(٢)

هذه الإرهاصات تقف بالحياة عند شاطئ الأمان ويوم الخلاص المرتقب، فتتفتح أبواب السماء بالخير المنهمر، وتخرج الأرض أرزاقها، وتنقشع سحب الفقر والجوع، وتبرز في الأفق علائم الانتعاش الاقتصادي في ظل عدالة تفرضها إرادة السماء في دولة العدل الإلهي،

(١) المصدر نفسه/ ٥/٢٢٨.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٤٠٨.

فعن أبي سعيد الخدري أن الرسول الأعظم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«يخرج المهدي في أمتي، يبعثه الله غياثاً للناس، تنعم الأمّة، وتعيش الماشية، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحاً.»(١)

فالأمة وهي تعيش أزمات الماضي ينقذها الله بالمهدي فيغيثها في الحاضر، ويتابع الله البركات وينزل الخيرات، ويهب الإمام من المال مالا يعدّ عدّاً، ويعضده ما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: «يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعدّه.»(٢)

وهو إيحاء بكثرة المال في عصره فيكتفي بتقسيمه بين الناس دون العدّ.

ويكون تقسيمه على السواء مراعاة للعدل الاجتماعي بمعاييره المثلى، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«إذا قام قائم أهل البيت: قسّم بالسويّة وعدل بالرعيّة.»(٣)

وأعطى الإمام عطاء من لا يخاف الفقر، فيقضي على ظاهرة الحرمان وعوالم الاضطهاد الاقتصادي، فعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال عن زمن المهدي:

«ويكون المال كدوساً، قال: يجيء الرجل إليه فيقول: يا مهدي أعطني أعطني!! قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمل.»(٤)

ولا يرفض الإمام عليه السلام طلب محتاج لكثرة ما في يده، ولعطفه الروحي على الناس، فعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم متحدثاً عن وفرة المال في عصر المهدي وكرم المهدي:

---

(١) مسلم/ الصحيح ٢٢٣٤/٤ طبعة دار الحديث.

(٢) السلمي الشافعي/ عقد الدرر/ ٢٢٨.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار/ ٣٥١/٥٢.

(٤) أحمد بن حنبل/ مسند أحمد ٢١/٣.

«والمال كدوس، فيقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ»[(١)]

ومن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام يصف حال المسلمين في الرخاء والغنى وشهامة الإمام المهدي عليه السلام ومروءته:

«وتخرج لهم الأرض كنوزها، ويقول القائم عليه السلام: كلوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية، فالمسلمون يومئذٍ أهل صوابٍ للدين...»[(٢)]

وعن بشر بن غالب الأسدي، وهو ينقل لنا شذرات ثمينة من إفاضات سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام في ولاء أهل البيت وحبّهم في ذات الله أو للدنيا فحسب، يقول سيد الشهداء:

«يا بشر بن غالب من أحبنا لا يحبنا إلا لله جئنا نحن وهو كهاتين، وقدّر بين سبّابتيه، ومن أحبّنا لا يحبنا إلاّ للدنيا، فإنه إذا قام قائم العدل، وسع عدله البر والفاجر.»[(٣)]

ويتولى الإمام تنظيم الحياة الاقتصادية تنظيماً دقيقاً لا نظير له، فتكون الأعطيات الضخمة نصف سنوية للمسلمين، وتكون المرتبات المنظمة نصف شهرية، أو يكون التموين الغذائي بالمواد العينية نصف شهري، وبذلك يضمن الإمام عليه السلام إتاحة الفرص بين يدي الناس بامتلاك أكبر كمية من المال والغذاء لسد الاحتياجات المعاشية دون انقطاع، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«كأني بدينكم هذا لا يزال موليّاً يفحص بدمه، ثم لا يردّه عليكم إلا رجل منا أهل البيت، فيعطيكم بالسنة عطاءين، ويرزقكم في الشهر

(١) الكنجي الشافعي/ البيان في أخبار صاحب الزمان/ ٥١٩.
(٢) الحسن بن سليمان الحلي/ مختصر البصائر/ ٢٠٧.
(٣) البرقي/ المحاسن/ ٦١.

رزقين...»[١]

وإذا علمنا أن هذين العطائين غير محدودين برقم معيّن، وأن هذين الرزقين غير مقيدين بكميّة مقننة في التقتير، فهما كرم غامر وسخاء مستفيض، أدركنا ما يصل إليه الإنسان المعاصر للإمام المهدي عليه السلام من الرخاء والازدهار الاقتصادي.

وتكون هذه الرفاهية في المرتّبات والأرزاق عامة وشاملة، فيغني الله كلاً من فضله، حتى لا يحتاج أحد إلى أحد، ولا يقبل مؤمن من مؤمن صلة، واستغنى جميع الناس، هذا المكسب العظيم يحدثنا به المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها... ويطلب الرجل منكم من يصله بماله، أو يأخذ منه زكاته، فلا يجد أحداً يقبل منه ذلك، واستغنى الناس بما رزقهم الله من فضله.»[٢]

ولا شك أن هذه التنظيمات الاقتصادية المثلى مما يحقق الاكتفاء الذاتي، ويضمن للإنسان حياته الحرّة الكريمة، ويكون جهده وكدّه بإزاء التطوّر نحو الأفضل في مجالات الحياة.

ومن البديهي عادة أن الإنسان المتكامل الإيمان أو من هو في سبيل تكامل إيمانه، إذا توافر له الأمن والأمان وفي دولة المهدي لا يأمن الإنسان وحده، بل تأمن الطيور في أوكارها، والسباع في غاباتها كما عليه الروايات[٣] واستقام لديه المورد الاقتصادي بأروع صوره فإنه يتجه بمشاعره وأحاسيسه نحو الصلاح المطلق، فإذا كان ذلك الاتجاه برعاية وليّ العصر وهدايته، كانت المهمة القصوى قد تحققت لديه، في بناء

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٥٢/٥٢ وانظر مصدره.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٤١٠.

(٣) ظ: الحاكم النيسابوري/ المستدرك ٥١٤/٤.

الشخصية على الإيمان والورع والتقوى، واتجه بكل القوى الفاعلة نحو الإنابة لله تعالى، وكان داعية جريئاً في ذات الله، واختفت الأمراض النفسية والعاهات عنه، وكان مثالاً بارزاً لما أنبأ عنه الإمام زين العابدين بقوله:

«إذا قام القائم أذهب الله عن كل مؤمن العاهة، وردّ إليه قوته.»(١)

علماً بأن الراوي لهذه الرواية هو الإمام الصادق عن أبيه الباقر عن زين العابدين (عليهم السلام أجمعين).

وفي هذا الضوء لا يكون لهذا الإنسان الذي ذهبت عاهته، وردّت إليه قوته، إلا الاندماج الكلي في ثورة الإمام المهدي عليه السلام ودولته، وهو ما تتحدث عنه الرواية عن الإمام محمد الباقر عليه السلام:

«إذا وقع أمرنا، وجاء (خرج) مهدينا، كان الرجل من شيعتنا أجرأ من ليث، وأمضى من سنان، يطأ عدونا برجليه، وينصره بكفّيه، وذلك عند نزول رحمة الله وفرجه على العباد.»(٢)

وبلوغ درجة التكامل الاجتماعي توحي بهذا الإعداد وتلك الخصائص، فلا يهاب المسلم الملتزم خطراً، ولا يخفق عند النوازل، وتكون قوته مستمدةً بعناية غيبية، وهو ليس بالأمر المستبعد، كما تؤكد الرواية عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال «.... لو كان ذلك (حكم المهدي وقيامه) أعطي الرجل منكم قوة أربعين رجلاً، وجُعلت قوتكم كزبر الحديد، لو قذف بها الجبال لقلعتها، وكنتم قوّامَ الأرض وخزنتها.»(٣)

وإذا استقرت الحياة بهذا الشكل من الرفاه والقوة، يتفرغ الإنسان

---

(١) النعماني/ الغيبة/ ٣١٧.
(٢) الصفار/ بصائر الدرجات/ ٤٤ وقريب منه في الاختصاص/ ٢٦ وكشف الغمة ٣٤٥/٢.
(٣) الكليني/ الكافي/ ٢٤٥/٨.

لبناء نفسه بالعلم الذي يسيّره الإمام في الشرق والغرب، وحينئذٍ يكون الانتصار العلمي للإمام قائماً بذاته من خلال ما يضخه من ينابيع المعرفة الإنسانية العليا مما لا يخطر على أذهاننا اليوم، وهو مما لا يخضع لتجربة أو قياس أو معادلة، لأنه فوق المعايير المتداولة فيما بيننا، وهنا يتضاءل أمام الإمام الغرور العلمي، ويقصر عن بلوغه الحساب التقليدي، وبه نقف على حقيقة ما تكون عليه الحياة العقلية والعلمية من خلال هذا التطور المفاجئ العظيم بالشكل الذي يجعل الإمام المهدي رائداً جديداً في الانفتاح على الحركة العلمية الهادفة، بل نعتبره قائداً مظفّراً لهذا الركب الزاحف علماً وهدايةً بوقت واحد، وذلك من سمات دولته العالمية الجديدة التي لم تألف البشرية أمثالها عبر التاريخ، وهنالك يبدو دور التطور العلمي الحديث في تصديق هذه المعالم البارزة، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن المؤمن في زمان القائم وهو بالمشرق ليرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي في المشرق.»(١)

وكان هذا الطرح غير وارد تصوّراً وتصديقاً في عصر الإمام الصادق عليه السلام وحتى عهد قريب إلاّ تعبّداً بصدق قوله عليه السلام.

إلا أن الكشف العلمي المعاصر لأجهزة التلفزة المتطورة أثبت أن هذا الطرح أمراً اعتيادياً، فكيف لو دعم بملحظ إعجازي.

وهذا نفسه ما يفسر به قول الإمام الصادق عند الظهور:

«لا تراه عين في وقت ظهوره إلاّ رأته ألف عين، فمن قال لكم غير هذا فكذّبوه.»(٢)

وكذلك الرواية القائلة: «فلا يبقى أهل بلد إلاّ وهم يظنون أنه

(١) المجلس/ بحار الأنوار/ ٣٩١/٥٢.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٦/٥٣ وانظر مصدره.

معهم.»[١]

وهكذا إذا نودي باسم المهدي عليه السلام، فيسمع ذلك كل قوم بلغتهم، فإن أجهزة الترجمة الفورية تكون بإزاء وظيفتها العاجلة بترجمة النداء، فعن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«ينادي منادٍ باسم القائم. قلت: خاص أو عام؟ قال عليه السلام: عامٌ يُسمِع كلّ قوم بلسانهم»[٢]

وقد يكون ذلك آية سماوية على سبيل الإعجاز، ولا مانع منه، فيقترن التطور العلمي بالإيحاء الإعجازي، وتبدو الحقيقة واضحة المعالم في عاملين فنيّ وروحي، فتتلاشى الشبهات.

عند هذا يكون ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام وارداً قطعاً.

«إن ذا القرنين كان عبداً صالحاً ناصح الله سبحانه فناصحه، وسخّر له السحاب، وطويت له الأرض، وبسط له في النور، فكان يبصر بالليل كما يبصر بالنهار، وإن أئمة الحق كلهم قد سخر الله تعالى لهم السحاب، وكان يحملهم إلى المشرق والمغرب لمصالح المسلمين، ولإصلاح ذات البين، وعلى هذا حال المهدي.»[٣]

ويؤيده ما أورده القندوزي برواية أهل المكاشفات عن أمير المؤمنين عليه السلام، أن المهدي «يملك بلاد المسلمين بأمان، ويصفو له الزمان، ويسمع كلامه ويطيعه الشيوخ والفتيان، ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً... وتعمر الأرض وتزهر بمهديّها، وتجري به أنهارها، وتعدم

---

(١) المصدر نفسه ٣٢٥/٥٢.

(٢) المصدر نفسه ٢٠٥/٥٢.

(٣) القطب الراوندي/ الخرائج والجرائح ٩٣٠/٢.

الفتن والغارات، ويكثر الخير والبركات.»[(١)]

أمّا كيف يتم هذا الإرفاد اللامتناهي للإمام المهدي عليه السلام فهو على سبيل التكريم من الله تعالى له، وبما يبثه من تلك العلوم المتطورة التي تتحدث عنها الروايات مما هو ليس من تخصصنا لنبحثه مفصّلا، ولكننا نشير إليه إجمالاً مع ذكر مصادره فهناك من الأحاديث ما يوحي بانقلاب خطير في الإفادة من الطاقة حتى يستغني الناس على ضوء الشمس ونور القمر.[(٢)]

وببركة الإمام يسلّم في عصره الملائكة على المؤمنين بأمر الله تعالى، ويجلسون معهم، ويتكلمون معهم، ويقضون حوائجهم.[(٣)]

وفي عصره يصافح المؤمنون الملائكة، ويوحى إليهم ويحيون الموتى بإذن الله.[(٤)]

ويستخرج الإمام في عصره كنوز الأرض من الذهب والفضة.[(٥)]

وقد يتصل أهل الأرض بأهل الكواكب في السماء وينفتح أهل الأرض على العوالم الأخروية بما لا مثيل له.[(٦)]

يقوم الإمام بعملية الإصلاح الزراعي وإلغاء نظام الإقطاع والمنح الحكومية.[(٧)]

---

(١) القندوزي/ ينابيع المودّة/ ٤٦٧.

(٢) ظ: القمي الأشعري/ التفسير ٢/٢٥٣.

(٣) ظ: الطبري/ دلائل الإمامة/ ٢٤١.

(٤) ظ: الحر العاملي/ إثبات الهداة ٣/٢٧٣.

(٥) ظ: مسلم/ صحيح مسلم ٢/٧٠١.

(٦) ظ: الصفار/ بصائر الدرجات/ ٤٢٩.

(٧) ظ: الحميري/ قرب الإسناد/ ٣٩.

ويقوم الإمام عليه السلام بتوزيع الأراضي الزراعية بنظام جديد.[1]

ويحيي الإمام الأرض الموات بين مكة والمدينة وتزرع فيها النخيل والأشجار.[2]

وفي المجال الإداري الدولي يجعل الإمام العالم ثلاثمائة وثلاث عشرة ولاية.[3]

وفي الري يأمر الإمام بكري الأنهار وتوزيع المياه، وقد سبق ذكره.

وفي الحق العام ينظم الإمام حركة المرور والسير في الشوارع بأمر منه.[4]

ومن أجل إعلاء كلمة الله في الأرض يقوم الإمام بإعادة هندسة المساجد، وهدم ما ابتدع من ذلك، وإعمار المشاهد المشرفة.[5]

وقد يصل العالم إلى مجتمع اللانقد لتوافر ما يحتاجه الناس جميعاً كما يراه الكوراني.[6]

وسوى هذا مما تقدم ذكره في ازدهار الحياة في العراق ولعل انصياع العالم لدولة الإمام الإسلامية يتواكب مع نظره إلى توافد الإمكانات العلمية والإمدادات المعرفية، وما حرر به العقول والاذهان من التراخي والجمود الفكري.

وهكذا نجد عصر الإمام المهدي الذهبي في دولته العالمية المرتقبة، زاخراً بهذا التطور الاقتصادي والعلمي والحضاري، وهو مما يجعل

---

(١) ظ: الطوسي/ تهذيب الأحكام ٤/١٤٥.

(٢) ظ: القمي الأشعري/ التفسير ٢/٣٤٦.

(٣) ظ: النعماني/ الغيبة/ ٣٩١.

(٤) ظ: الطوسي/ تهذيب الأحكام ١/٣١٤.

(٥) ظ: المسعودي/ إثبات الوصية/ ٢١٥.

(٦) ظ: علي الكوراني/ المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي/ ٧٣٢ وانظر مصادره.

الخلائق تذعن له وتستضي بنور علمه، مضافاً إلى التأييد الإلهي العارم، فهو بلا حدود ولا قيود، ويكفي في ملاحظة هذا التأييد ما ورد في رواية معتبرة عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال: عن المهدي: «يدعو الشمس والقمر فيجيبانه، وتطوى له الأرض فيوحي الله إليه فيعمل بأمر الله.»(١)

---

(١) الطبري/ دلائل الإمامة/ ٢٤١ + البحار ٥٢/٣٩٠.

كم هي مدة حكم الإمام للعالم

يتساءل الكثيرون على مستوى بالغ وبإلحاح كبير: كم هي مدة حكم الإمـام المهديعَلَيْهِ السَّلَامُ في دولة الإسلام العالمية؟ وما مدى ما يملك من الزمان؟ وماذا بعد المهدي؟

والإجابة عن هذه الأسئلة تحتاج إلى دقة متناهية في التوصل إلى حقيقة حاسمة في الموضوع، والبتّ في ذلك من الصعوبة بمكان فأمامنا روايات وأحاديث متعددة في استكناه ذلك، مما يجعلها متضاربة في النتائج.

هنالك جملة من الأحاديث تحدد حقبة حكم الإمام: بسبع سنين أو ثماني أو تسع، ويرتفع بعضها في الرقم إلى ثلاثين سنة، وبعضها إلى تسع وثلاثين سنة، وسواهما إلى أربعين سنة.(١)

ويرد عليها أن الله عَزَّ وَجَلَّ قد ادّخر إظهار دينه ليشمل الكرة الأرضية بدولة الإمام المهديعَلَيْهِ السَّلَامُ، وجعل هذه الدولة بخصائصها المتميزة وريثة للرسالات العالمية والأديان في الأرض، وأن مشاريع الإمامعَلَيْهِ السَّلَامُ تحتاج إلى حقبة زمنية كافية لتحقيق ذلك في فتوح البلدان، ونشر الإسلام، وتطبيع الناس، وإقامة دولة العدل الإلهي في العالم أجمع،

(١) ظ: ابن حماد/ الملاحم والفتن ٣٧٦/١ المطبوع.

ومما وصل إلينا من تفعيله للأحداث لتواكب مشروع الدولة: تحرير الحجاز والخليج بعامة، وفتح العراق واتخاذ عاصمته في الكوفة، تحرير الشام وفلسطين، تحرير مصر وإفريقيا، حماية الحدود مع الصين وشرق آسيا، تحرير أجزاء كبيرة من بلاد الغرب والأتراك وبعض دول الاتحاد السوفياتي الأخرى، وخوض المعارك والحروب، وبعث الجيوش والسرايا، وتعيين الولاة والأمراء والقضاة والحكام، ومتابعة الخوارج وأعداء أهل البيت، ونشر السنة وتعليم القرآن بأصوله وكما نزل، وترويض الأمة على تقبّل ما استجدّ من إعادة الإسلام كما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والاستيلاء على خزائن الأرض ومعادنها، ومدّخراتها، وتأمين الحياة العامة أمنياً واقتصادياً واجتماعياً، وتطوير العقول ثقافياً وعلمياً وفكرياً.... الخ.

هذه المفردات الضخمة لا تتناسب مع الروايات القائلة بما أسلفنا من مدة حكمه الشريف، فإذا أضفنا لذلك أن لا حكم بعد حكم الإمام المهدي، ولا دولة بعد دولته، وفي نهايتها يكون الهرج والمرج، وتتراءى أشراط الساعة، وتخرج دابة الأرض، وانتشار بعض الموتى، وتقوم القيامة!!

فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «دولتنا آخر الدول.»[1]

وبسند صحيح عن محمد بن أبي عمير قال: كان الصادق جعفر بن محمد يقول:

لكل أناس دولة يرقبونها ودولتنا في آخر الدهر تظهر.[2]

علمنا أن حقبة حكم الإمام المهدي عليه السلام سيطول ويطول حتى يستوعب ما قدمناه مما وصل إلينا من خطواته في بناء الدولة الجديدة.

(١) الطوسي/ الغيبة /٢٨٢.

(٢) الصدوق/ الأمالي/ ٣٩٦.

ويؤيده ما عن عبد الله بن سليمان العامري أن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «ما زالت الأرض ولله فيها حجة يعرف الحلال والحرام، ويدعو إلى سبيل الله، ولا تنقطع الحجة من الأرض إلاّ أربعين يوماً قبل يوم القيامة، فإذا رفعت الحجة أغلق باب التوبة، ولم ينفع نفساً إيمانها (ما) لم تكن أمنت من قبل أن ترفع الحجة، وأولئك شرار من خلق الله، وهم الذين تقوم عليهم القيامة.»[1]

إن حقائق الأشياء في منطقها المقبول تأبى أن تكون حكومة الإمام المهدي عليه السلام محددة بهذه الأرقام من السنين، فليس الأمر هزلاً بل جدٌّ كلّه، وهنالك روايات معتبرة تذهب إلى أطول من هذا بكثير، فعن أمير المؤمنين عليه السلام ـ مقارناً بين حكم الأمويين وحكمهم آخر الزمان ـ رواية تقول:

«..... والله لا يملكون سنة إلا ملكنا سنتين، ولا يملكون سنتين إلاّ ملكنا أربعاً.»[2] وحكم بني امية امتدّ قرابة مائة عام، ومضاعفته تعني مائتي عام.

وفي مخاطبة الإمام الحسن بن علي عليه السلام لقوم من بني أميّة، وقد مرّ عليهم فتغمازوا به، فقال: «أما والله لا تملكون يوماً إلاّ ملكنا يومين، ولا شهراً إلاّ ملكنا شهرين، ولا سنة إلاّ ملكنا سنتين.»[3]

وقد احتج ابن عباس بهذا عند معاوية لدى افتخاره فقال:

«وما تملكون يوماً يا بني أميّة إلاّ ونملك بعدكم يومين، ولا شهراً إلاّ ملكنا شهرين، ولا حولاً إلاّ ملكنا حولين.»[4]

---

(١) الصفار/ بصائر الدرجات/ ٤٨٤.

(٢) ابن طاووس/ الملاحم والفتن/ ٣١ و١٧٥ + المتقي الهندي/ كنز العمّال ٣٦٤/١١.

(٣) ابن شهراشوب/ المناقب ١٧٥/٣ + المجلسي/ البحار ٩٠/٤٤.

(٤) المفيد/ الأمالي/ ١٤.

وليس هذا الرقم تحديداً لمدة الحكم، بل يبلغ حكم بني هاشم ذلك، وقد يزيد عليه سنين متطاولة أخرى.

وهنالك من الآراء ما يذهب أن مدة حكمه واستطالة دولته أن يكون زمانها «أطول من الزمان الذي انقضى في غيبته» بما استظهره الحسن بن سليمان الحلي، وهو من علماء القرن السابع.(١)

وهنالك من الروايات ما ينبئ بأن مدة ملكه تسع سنوات أو عشر، كما عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«يملك المهدي تسعاً أو عشراً، أسعد الناس به أهل الكوفة»(٢)

وعن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أن المهدي عليه السلام:

«يملك عشرين سنة، يستخرج الكنوز، ويفتح مدائن الشرك.»(٣)

وروي بعدة طرق عن الإمام الصادق عليه السلام، أنه قال:

«يملك القائم عليه السلام تسع عشرة سنة وأشهراً.»(٤)

ويحتمل في هذه الروايات على فرض صحتها وعدم اشتباه الرواة المحتمل، أنها تتحدث عن فترات معينة من حكم الإمام المهدي عليه السلام.

وقد عقّب الحسن بن سليمان على رواية النعماني المتقدمة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «يملك القائم تسع عشرة سنة وأشهراً. فقال: فأين موقع هذه التسع عشرة سنة وأشهر من الدعاء له بطول العمر والتمتع في الأرض طويلاً؟

الذي يظهر من هذا ويتبادر إليه الذهن أن يكون أطول من الزمان الذي

---

(١) الحسن بن سليمان الحلي/ مختصر البصائر/ ١٩٣.

(٢) القندوزي/ ينابيع المودة/ ٤٤٩.

(٣) الطبراني/ المعجم الكبير ٨/١٠١ و١٢٠ + السلمي الشافعي/ عقد الدرر/ ١٥.

(٤) النعماني/ الغيبة/ ٣٣١ ـ ٣٣٢ ـ ٣٥٣.

انقضى من غيبته.»[١]

فقد ثبت من طرقنا استحباب الدعاء للإمام المهدي بهذا الدعاء:

«اللهم كن لوليّك الحجة بن الحسن في هذه الساعة، وفي كل ساعة: وليّاً، وحافظاً، وقائداً، وناصراً، ودليلاً، وعيناً، حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً.»[٢]

وهذا الدعاء صادر عن أحد المعصومين عليهم السلام، ويدعى به في كل وقت، وفي ليلة القدر ساجداً وقائماً وقاعداً، وعلى كل حال وفي الشهر كله، وكيف أمكنك، ومتى حضرك من دهرك.[٣]

ومهما يكن من أمر، فإن الروايات القائلة بقصر مدة حكم الإمام المهدي عليه السلام في دولته العالمية تتعارض مع رواية صحيحة السند للإمام محمد الباقر عليه السلام، أنه قال:

«إن القائم ليملك ثلاثمائة وتسع سنين، كما لبث أصحاب الكهف في كهفهم، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويفتح الله عليه شرق الأرض وغربها.»[٤]

وهذه المدة تتماشى مع عظم المسؤولية العالمية لبث الدعوة والإسلام والتبليغ في العالم، وتطبيق الشريعة الغراء عملياً في أنحاء الأرض، وترصين مبدأ الاستخلاف الإلهي على أرجائها كافة، وهي مؤيدة بروايات أخرى تدعمها، فقد أورد الشيخ الطوسي رواية مشابهة لها عن الإمام محمد الباقر عليه السلام:

---

(١) مختصر بصائر الدرجات/ ١٩٣ + علي الكوراني/ المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي/٢٨٣.

(٢) الطوسي/ مصباح المتهجد/ ٦٣٠.

(٣) ظ: الكليني/ الكافي ١٦٢/٤.

(٤) الطبري/ دلائل الأمامة/ ٢٤١ + المجلسي/ البحار ٣٩٠/٥٢.

«إن القائم ليملك ثلاثمائة وتسع سنين كما لبث أهل الكهف في كهفهم، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، ويفتح الله له شرق الأرض وغربها، ويقتل الناس حتى لا يبقى إلا دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.»(١)

ويؤكد الإمام محمد الباقر عليه السلام - وهو أكثر الأئمة حديثاً عن صاحب الزمان - هذه الحقبة الزمنية أعلاه، وهو يقسم على ذلك بالله العظيم، فعن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «والله ليملكن رجل منا أهل البيت - بعد موته - ثلاثمائة سنة ويزداد تسعاً...»(٢)

والمراد بموته ليس أحياؤه بعد الموت لأن الإمام حي يرزق، وإنما المراد كما هو ظاهر: موت ذكره حتى يصيب الناس اليأس.

وفي كتاب علي بن حسان الواسطي ورد القول في رواية:

«يملك القائم ثلاثمائة وتسع سنين.»(٣)

وهذه الروايات القائلة بأن مدة حكم الإمام واستمرارية دولته تدوم ثلاثمائة وتسع سنين وهي التي يرجحها البحث، ويراها المدة الصالحة لطبيعة الأشياء، ومادام الأمر مرتبطاً بالله عز وجل فلا إشكالية في الأمر، فقد لبث نوح عليه السلام ألف سنة إلاّ خمسين عاماً داعياً إلى الله، وقد لبث أهل الكهف ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً، وقد نصّ على هذين القرآن العظيم، ولمّا كان الله تعالى قد قدر أن يظهر الإسلام على الدين كله، فلا مانع أن تستديم دولة الإسلام العالمية هذه الحقبة من الزمن.

وبعد هذا العمر المديد يفد الإمام المهدي عليه السلام على ربّه مقتولاً أو شهيداً لشموله برواية أبي الصلت الهروي عن الإمام علي بن موسى

---

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٢٨٣ و٤٧٤.

(٢) العياشي/ التفسير ٣٢٦/٢.

(٣) ظ: علي الكوراني/ المعجم الموضوعي/ ٢٧٩ عن الصراط المستقيم ٢٦٣/٢.

الرضا عليه السلام، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول:

«ما منّا إلاّ مقتولٌ شهيد»[١]

وعن الإمام الحسن بن علي عليه السلام قال: وقد حدثني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أن الأمر يملكه إثنا عشر من أهل بيته وصفوته، ما منّا إلا مقتول أو مسموم.[٢]

وفي جملة من الروايات أن أحد عشر مهدياً يحكم بعد الإمام المهدي عليه السلام، كما عن أبي حمزة عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«إن منّا بعد القائم أحد عشر مهدياً من ولد الحسين عليه السلام.»[٣]

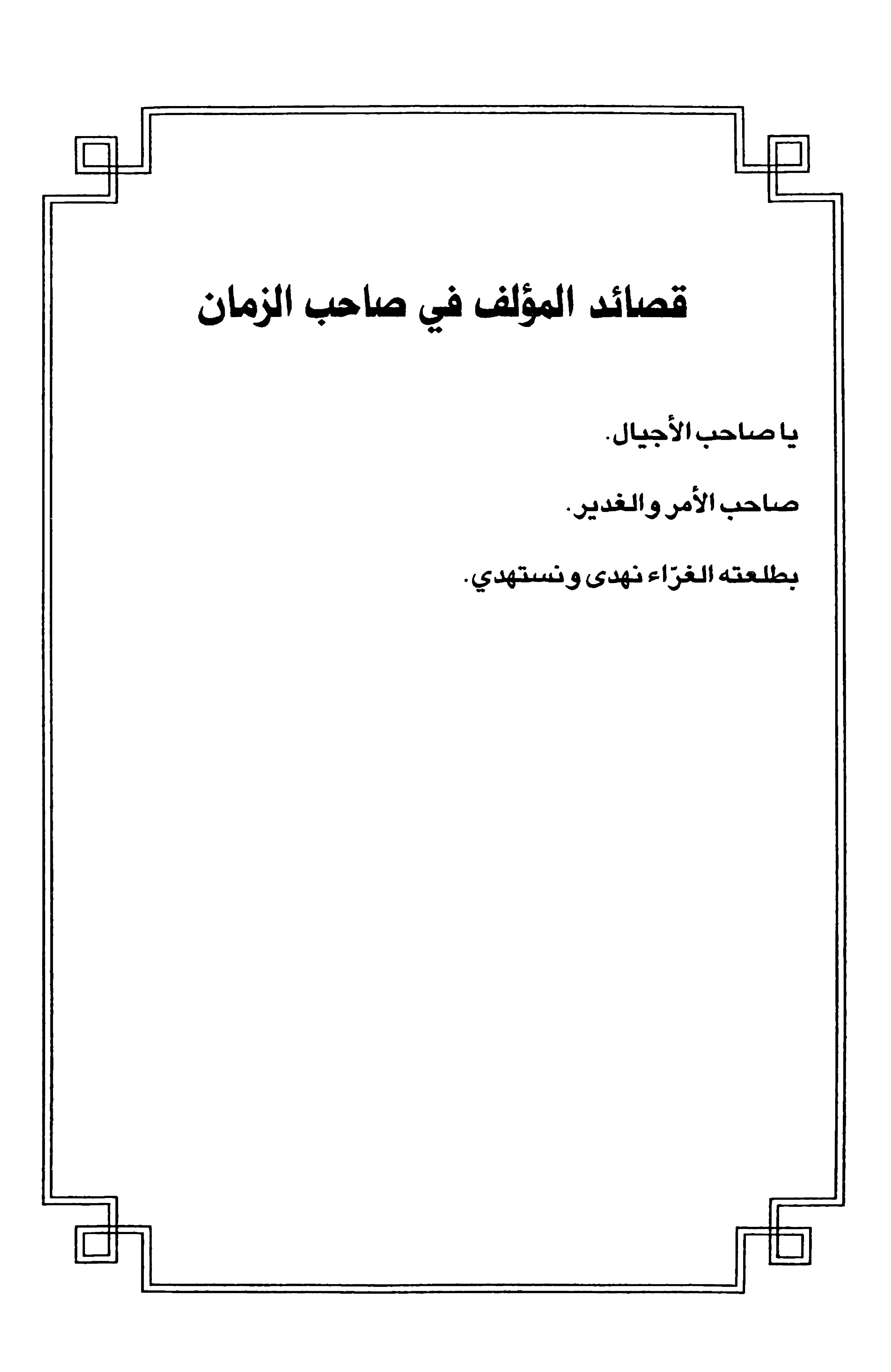
وهو أمر جائز في حد ذاته، إذ هو السير نفسه في خط الإمام المهدي عليه السلام، وبعد ذلك تجيء أشراط الساعة، وتكون القيامة، والله سبحانه وتعالى هو العالم.

---

(١) الصدوق/ عيون أخبار الرضا ١/٢٨٧.

(٢) لطف الله الصافي/ كفاية الأثر/ ١٦٠.

(٣) الطوسي/ الغيبة/ ٢٨٥.



قصائد المؤلف في صاحب الزمان

يا صاحب الأجيال.

صاحب الأمر والغدير.

بطلعته الغرّاء نهدى ونستهدي.

يا صاحب الأجيال

هو الخلف الصالح والقائم المنتظر وصاحب العصر والزمان، الإمام المسمّى باسم رسول الله، والمكنّى بكنيته ابن الإمام الحسن العسكري، ولد في سامراء ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥ هـ، له غيبتان: الصغرى، ومدتها (٧٤) سنة، وسفراؤه فيها النوّاب الأربعة: عثمان بن سعيد العمري، وابنه محمد بن عثمان، والحسين بن روح، وعلي بن محمد السمري، والغيبة الكبرى التي نحن فيها حتى يؤذن له فيها بالظهور، وهو الثاني عشر من أئمة المسلمين.

ألقيت القصيدة في كل من الكاظمية في جامع آل ياسين، والكرادة الشرقية في احتفالات ميلاد صاحب الأمر ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٤ م.

كما ألقيت في حسينية آية الله العظمى السيد عبد الله الشيرازي في خراسان ١٥ شعبان ١٤٢٨ هـ = ٢٩/آب ٢٠٠٧ م، وأضيف لها المقطعان الأخيران.

نشرت في مجلة الإيمان النجفية: السنة الأولى، عدد (٥، ٦) الصادر في شباط ١٩٦٤.

طـــاوِلْ نُـجُـومَ الأفْــقِ والأقـمـارا

وتــحــدَّ هـــذا الـعــالـمَ المُنهارا

وتَبنِ جيلاً صاعداً.. وشبيبةً
عِملاقةً، وصحابةً أبْرارا
واشْمَخْ على التاريخِ في أُطْروحةٍ
تَدَعُ الطّواغيتَ الكبارَ صِغارا
وأفِضْ عَلَينا نَفْحةً قُدْسيّةً
تَغْذُو العُقُولَ، وتلْهَم الأفكارا
فلقدْ مَدَدْتُ بما وهَبْتَ قرائحاً
وكشفتَ عنْ قَبساتِها الأستارا
مازالَ مَجْدُكَ يَسْتَجدُّ معاجزاً
تَغزوْ الرَّدى، وتُصارعُ الأقدارا
سارِ معَ التاريخِ في خَطواتِهِ
يسْتَقْبِلُ الأجْيالَ والأعْصارا
كالبدرِ في كَبَدِ السَّماءِ... مَحلّقاً
وشُعاعُهُ مُتَدفّقٌ أنْوارا
يزجيْ هُداكَ على الحياةِ وأفْقِها
أرَجاً يَفوحُ... وسَلْسلاً مِدْرارا
يا مَوْلدَ المهديِّ كُنْتَ ولَمْ تَزلْ
للطيِّباتِ الخالداتِ مَنارا
جَدَّدْتَ عَهْدَ محمَّدٍ وحديثَهُ
وأعدْتَهُ مُتأرِّجاً مِعطاراً
أشْرقْ على الحَفْلِ المباركِ شُعلةً
وضّاءةً.. أوْ كَوْكباً سَيّارا

واسْتَجْلِ مِنْ هذي النُّفُوسِ شغَافها
وتَـغَـنَّ فـي أعـمـاقـهـا قـيـثـارا
سَتَرى النُّفوسَ مولهاتٍ فرْحةً
نَسَجَتْ خُيُـوطَ ولائِـهـا أوْتـارا
لتُريكَ كيْفَ الحُبُّ يَفرغُ سحْرُهُ
ويَفُكُّ عَـنْ قَلْبِ المُحبِّ أسارا
هـاتـيـكَ عـاطـفـةٌ لآلِ مُـحَـمَّـدِ
شَـربـت هَـواهُـمْ سائغاً دَرَّارا
مـاذا عـلـيَّ؟ إذا طـربـتُ، وإنما
طـربَ الـفـؤادُ فأنطقَ الأشْـعـارا
ياصاحبَ الأجْيالِ حَسبُكَ رفعةً
سَمَتِ الكواكبُ والنجُومَ فَخَارا
لـكَ في مَصَفِّ الخالدينِ مكانةٌ
تستَوجبُ الإجـلالَ والإكـبـارا
قِيَمٌ مِـنَ المُثُلِ الرفيعةِ صَيَّرَتْ
سُـوحَ الحياةِ لجَرْيها مِضْمارا
ومـعـارفٌ خـلاّقَـةٌ لَـوْ صافَحَتْ
صُـمَّ الـجـبـالِ، لأنـبَـتَـتْ أزْهـارا
لَـوْ عـادَ (إفـلاطـون) بعدَ مماتهِ
حَـيّـاً، لسارَ على هُـداكَ وصـارا
ولوْ أنّ (سُقْراطَ) الحكيم بوعْيِهِ
وافـاكَ، كـلَّـلَ مفْرَقيكَ الغارا

لــوْلاكَ مــا كانت (لآدمَ) تَـوْبـةٌ
تُـرْجـى، ولا (نُــوحٌ) وُقـي التَّيأَّرا
لــوْلاكَ (إبـراهـيـمُ) لَـمْ تَـكُ نـارُهُ
بَـــرْداً، ولاتــقــدَتْ عليهِ أُوارا
لــوْلاكَ (مُـوسـى) لَـمْ يُكلِّم ربَّـهُ
كـلاّ، ولا في (الـطُّـورِ) آنَـسَ نارا
لـــوْلاكَ مـا كـانـتْ (لعيسى) آيـةٌ
في المهدِ.. تُلفِتُ حوْلَهُ الأنظارا
فوجودُ مِثْلِكَ فيهُمُ قد صانَهُمْ
وأعـــدَّ مِـنـهـمْ قــادةً أبْـــرارا
وكـــذاكَ آلُ مـحـمّـدٍ.. آثـارُهُــمْ
قُــدسـيّـةٌ.. فـاسْـتَـنْـطِـقِ الآثــارا
إيــهِ إمــامُ الـعَـصْـرِ.. أيُّ فضيلةٍ
ما كنتُ فيها الـفـارسَ المغوارا
وافْتكَ شتّى المكرمات فصنْتُها
ورفَـعْـتَـهَـا لـلأكـرمـيـنَ شـعـارا
ألقى الـزَّمـانُ على يديكَ عِنانَهُ
ومَـشـى إلـيـكَ بِـرَكْـبِـهِ مُختارا
فصحبْتَهُ مُتحسّساً أوضـاعَـهُ
وخَـبَـرْتَـهُ مُـتـلـمِّـساً أسْــرارا
مِـنْ قِبْلِ ألْـفٍ، أو تزيدُ طَويَتُهُ
بـالـتـجـربـاتِ وخُـضْـتَـهُ أدْوارا

فمتى تُـفـجِّـرُ ثــورةً عـلـوّيـةً
تَسْتأصلُ الأوغــادَ والأشْـــرارا
تَسْتَأصلُ المتردّدينَ، وتَــزْدَري
بالظالمينَ، وتُـمْـحِـقُ الكُفّارا
فالعَصْرُ عَـصْـرُ فجائعٍ وفظائعٍ
مُلِئتْ صحائفُها خَـنـاً وشَـنـارا
والمسلُمونَ بمعزلٍ عَـنْ دينِهمْ
وغَـــدَوْا بحُكم حياتِهِمْ فُجّارا
يُقضى النَّهارُ على الفُسُوقِ.. فإنْ بَدَا
لَـيْـلٌ.. رأيْــتَ المسلمينَ سُكارى
لا شَـرْعَـةُ الـقُـرآنِ عـالٍ صَوْتُها
كـلّا، ولا الإسْـــلامُ يـوقـدُ نـارا
عَجِّلْ فَـديْـتُـكَ.. فالحياةُ ذميمةٌ
إنْ لَـمْ تَصُدَّ خناً، وتَغْسلْ عارا
أرنـا بهذا ثمارَ الأسبقينَ فإنّها
أزْكـى وأطْـيـب مَـنْـبَـتـاً وثـمـارا
أرنـا بهذا الـكـونِ حُـكْـم محمّدٍ
فـي ديـنـهِ.. وأعــدْ لنا الـكـرّارا
يا صاحبَ الأجْـيـالِ.. أيّـةُ مِحْنةٍ
هـذي التي تَـدَعُ العُقُولَ حَيارى
يَغيا الحليمُ بكُنْهها.. وتُقيتُهُ الـ
شُّـبـهـاتِ والآثـــامَ والأوْزارا

دِيـــنٌ تعبت عليهِ فـي تشييدِهِ
لـتـحـقّـقِ الآمـــالَ والأوْطــــارا
آبـــاؤكَ الـغُـرُّ الـعـظـامُ تَعاهدوا
غـرْسـاً لَـــهُ، وتَكَفَّلوا الأعْـمـارا
وسَـقَـتْ دمـاؤهـمُ ثَـرَاهُ فـازْهَـرَتْ
جَـنَّـاتُـهُ، وتـدَفَّـقَـتْ أنـهـارا
فـبـأيِّ قـانُـونٍ يُـهـانُ نِـظـامُـهُ
ويُـرى غَـريـبـاً، أو يُـبـاحُ ذمـارا
أرأيْـــتَ مَهْزلةً تمخَّضَ حَملُها
كيْداً، وأثْـمَـرَ غَرْسُها استعمارا
ومـكـيـدةً تَـسْـعـى تـدبِّـر أمـرُهـا
تحتَ السِّتارِ لتخدعَ الأغْـرارا
ومُقامرينَ على الشُّعوبِ وعِنْدَهُمْ
رأيٌ تـأرجـحَ يُـمْـنـةً ويَـسـارا
حَشَدُوا على الإسـلامِ سَيْلاً جارفاً
وتحكَّموا بالمسلمينَ جهارا
مِـنْ كُـلِّ مَـهْـزُوزِ الثباتِ مُـنـاوِرٍ
صُبْحاً، وفي ظِلِّ الدُّجى يتوارى
يحيا على أحْـداثِـهـا مُتأرجحاً
يَجْني بَــوَاراً، أو يَعيثُ دمـارا
حَـمَـلَ الضَّميرَ بضاعةً وتجارةً
وابْـتـزَّ ثَـوْبَ التَّضحياتِ مُعارا

أولاءِ شَـرَّ العالمينَ.. لأنَّـهـمْ
أدْنـى وأقْـصَـرُ مَـحْـتـداً ونِـجـارا
أولاءِ مِنْ سَقَطِ المتاعِ.. وقد تَجِدْ
مَنْ قـالَ: شاهدْ (شَعْبَنا الجبَّارا)
أشَبيبةُ الإسـلامِ سيـري للعلا
قُـدْمَـاً.. فـدَرْبُـكِ لـنْ يَضُمَّ عِثارا
سيري كما شاء الهدى، واستنجدي
ربَّ الـسَّـمـاءِ.. الـواحـدَ القهّارا
وتَمَسَّكي بالدينِ رأيـاً صائباً
وعـقـيـدةً روحـيـةً وشـعـارا
واسْتَوْحي مِنْهُ مَواقفاً وصحائفاً
واسْـتـقـري مِـنْ آثـارِهِ أسْـقـارا
وثـقـي بـأنّ مـحـمّـداً ووصـيّـهُ
لنْ يَسْلماكِ لِمَنْ طَغى أوْ جارا
فتراثُ أحْمَدَ في الرّقابِ رسالةٌ
تَتطلَّبُ الأصْـحـابَ والأنْـصـارا
وأجـلُّ مـا أبـقـى الـنّـبـيُّ شَريعةٌ
غَـرَّاءُ، لا ضـرراً ولا إضْـرارا
نَـبَـوِيْـةُ الـقَـبَـسـاتِ.. لا شرْقيةٌ
تـخـبُـو، ولا غَـرْبـيـةٌ تَـتَـوارى
مِـنْ نُـورِ أحمدَ تَسْتَمدُ شُعاعَها
ومِـنَ الـوصـيِّ تُـفـجِّـرُ الأنْـوارا

ونظامُها الـقـرآنُ وهْـوَ حقائقٌ
تَـهْـدي الـجُـمُـوعَ الـبرِّ والإيـثـارا
تَمْضي القُرونُ وما يـزالُ كأمْسِهِ
طـلْـقَ الـلـسـانِ.. مُـدَويّـاً هَـدَّارا
أضْفى على التاريخ مِـنْ أسْـرارِهِ
بُـــرداً.. تـعـالـى هَـيـبـةً ووقـــارا
ودعا النُّفوسَ الظامئاتِ ألا انْهلي
مما أفـضـتُ.. الـكـوْثـرَ الـزَّخـارا
وإذا تـمـادى الـغَـيُّ فـي طُغيانِهِ
لا يَسْتَطيعُ بـأنْ يُـشَـقَّ غُـبـارا
وإذا تـفـاخـرتِ الـمـبـادئُ بيْنَها
ألفيْتُها حَـجَـراً.. وكـانَ نُضارا
عُدْنا سُكارى لَيْسَ يُـدرى أمْرُنا
أرأيــتَ كُـلَّ المسلمينَ سُكارى
(الـطـالـبـانُ) بـعـالـم مُـتـزمِّـتٍ
يَـجْـتـاحُ حتّى الأبـريـاء حِصارا
قد شَوَّهوا الإسـلامَ في نزواتِهِمْ
وتَجلْبَبُوا سفكَ الـدّمـاءِ شَعارا
حتّى النساء تهتّكتْ حُرُماتُها
هَـبْ كـوْنَـهُـنَّ بـزَعْـمِـهِـمْ كُـفَّـارا
أوَمـا دَرَوْا أنَّ النبيَّ وشَـرْعَـهُ
يأبى الخَنا والفَتْكَ والإضْـرارا

سُبحانَكَ اللّهُمَّ أيُّ مُصيبةٍ
قد حلَّتِ الأفغانَ داراً دارا
وغزَوْا بلادَ الرَّافديْنِ.. وروعُوا
تلكَ المنازلَ.. واسْتباحُوا الجارا
نَصَبُوا العِدَا لأحْمَد وكتابِهِ
وتعقّبوهُ أئمةً أطهارا
وسياسةُ الإرْهابِ في جَبَروتِها
تُرْدي الجُمُوعَ.. وتَخْلقُ الإضرارا
القَتْلُ والتفجيرُ مِنْ بَرَكاتِها
والشَّاحناتُ بفخّها تَتبارى
والمسلمُونَ بمسْمَعٍ وبمَشْهَدٍ
لَمْ يَشْجبُوا أعْمالَها استنكارا
قد جَسَّدُوا أعمالَ آل أُميَّةٍ
في الرَّافديْنِ.. وأدْركُوا الأوتارا
وسَعَوْا إلى التخريبِ مِنْ أحقادِهِمْ
فكأنَّهمْ قد حقَّقوا الأوْطارا
عَمدوا لمِرقدِ والِدَيْكَ.. وفَجَّرُوا
تلكَ المنائرَ.. فاسْتَحقّوا العارا
أترى (ضَريحَ العَسْكَريِّ) مُهَدَّماً؟
كلّا.. سَيُبْنى فَضَّةً ونُضارا
رَمْزُ اتحادِ الرَّافديْنِ.. شمالُهُ
وجنوبُهُ.. واسْألْ بِهِ (الأنْبارا)

أولاءِ آلُ محمّدٍ.. سِرُ الهُدى
فدعُوا الضَّلالَ، وجانبُوا الأوْزارا
خَلُّوا الحَسيْنَ على الثرى في كَرْبلا
شِلْواً.. ولا تَسْتَهْدِفوا الزُّوَّارا
فلقد فدى في نَفسِهِ أصْحابَهُ
وأبادَ حُكْمَ الظالمينَ وثارا
أجَزاؤهُ أنْ يُسْتباحَ حَريمُهُ؟
كلاّ.. سينتصبُ الحسينُ مَنارا
لَمْ يَبْقَ إلاّ اللهُ.. وهْوَ مُغَيِّرُ الـ
أوْضاعِ فينا لَيلةً ونَهارا

صاحبُ الأمر والغدير

في فضل أمير المؤمنين الإمام علي ـ عليه السلام ـ وذكر يوم الغدير الأغر، وندبة صاحب الأمر عجل الله فرجه وولاء أهل البيت.

١٩٩٢/١/٥ هـ.

لا والــــذي خـضـعـتْ لـه
الأعـنـاقُ فـي يَـومِ الـغـديـرِ
أنّـى يـكُـونُ ـ ولـيـسَ ذاكَ
بـكـائـنٍ ـ لـكَ مِـنْ نظيرِ
والـشّـمـسُ فـي كَـبـدِ الـسّـما
والـجَـمْـعُ فـي حَـرِّ الـهَـجـيـرِ
ورقـى الـنـبـي مـبـلـغـاً
مـا بـيـنَ أحـداجٍ وكـورِ
مَـنْ كُـنْـتُ مَـولاهُ، فمولا
هُ عَـلـيٌّ فـي الـحُـضـورِ
هُـو وارثـي وأخـي وصِـهـري
وهُـوَ مِـنْ بَـعْـدي وزيـري
فـعـدُوُّهُ لـي جـاحـدٌ
ونَـصـيـرُهُ مِـنْـكـمْ نَـصـيـري

اللَّهُمَّ.. قد بلَّغْتُ فاعْصِمني
مِنَ الكَيْدِ الخَطيرِ
وهُناكَ بخْبخَ جَمْعُهُمْ
والحِقدُ يغلي في الصُّدورِ
نَكَصوا على الأعقابِ و
انْحَرَفوا عَنِ النَّهْجِ المُنيرِ
وَتَنَكَّبوا عَنْ دينهِ
بالمُحدثاتِ مِنِ الأُمُورِ
وتَصَدَّروا للفتنَةِ الـ
كُبرى وللحوبِ الكبيرِ
وتَلاقَفُوا دَسْتَ الخلا
فةِ بالخلافِ وبالشُّرورِ
عَزَلوا أبا حَسَنٍ فباؤوا
بالخَسارِ المُسْتَطيرِ
إنِّي لأرْجو أنْ تَكونَ
سعادتي عِنْدَ النُّشورِ
وأُوَقَّ حَرَّ النَّارِ في
يَومٍ عَبُوسٍ قمْطَريرِ
وأنالُ رغْمَ الحاقدينَ
شفاعَةَ البيتِ الطَّهورِ
بأولئكَ الصيدِ الهُداةِ
وقادةِ الجَمْعِ الغَفيرِ

وهُمُ على (الأعرافِ) إذْ
يَستَشرفُونَ على الحُضُورِ
والنَّاسُ إمّا للجنانِ
هُمُ.. وإمّا للسعيرِ
مُتقلّباً مِنْ فَضْلِهِمْ
ما بيْنَ ولْدان وحُورِ
فهُمُ الصِراطُ المُسْتَقيمُ
وهُمْ سِراجُ المُسْتَنيرُ
قدْ خفتُ في الدنيا، فليْتَ
الفوْزَ في الأخرى مَصيري
قد كانَ هَيْناً أن أُداخِلُ
أوْ أُداهِنُ في النَّكيرِ
وأعيشُ ما بينَ القِبابِ
بظلِّ شاهقةِ القُصُورِ
وأُقيمُ ما بينَ الخَوْرْنَقِ
- في اللذائذِ - والسَّديرِ
لكنَّني فكَّرْتُ في الأُ
خُرى، وعاقبة الأمورِ
فكفأتُ تلكَ المُغرياتِ
وحدْتُ عَنْ دارِ الغُرورِ
وأرحتُ رَكبي مِنْ رواحِ
للأميرِ ومِنْ بُكُورِ

يا صاحبَ الأمْرِ الذي
سيُنيرُ داجِيَةَ العُصورِ
ويُقيمُ مِنْ أوَدِ الهُدى
ما أحْدثتْهُ يَدُ المُغيرُ
عَجِّلْ فديُتُكَ بالظُّهورِ
فالجورُ آذنَ بالنَّذيرِ
والسِّيلُ قد بلغَ الزُّبى
والشَّرُّ أعلنَ بالنَّفيرِ
ومعالمُ الإسلامِ في
خَطرٍ، وفَي أمْرٍ عَسيرِ
ومعاقلُ الإيمانِ صا
رخةٌ.. وتَدْعُو بالثُّبورِ
وشعائرُ الدينِ الحنيفِ
شعارها: هَلْ مِنْ مُجيرِ
والنّاسُ في الأحياءِ تغْ
بطُ ركبَ سُكّانِ القُبُورِ
تَرْتَاعُ مِنْ كيدِ الطُّغاةِ
وسَيْفِ جلّادٍ مُبيرِ
وينالُها سَوطُ الخُضُوعِ
فتشتكي وخزَ الضَّميرِ
ما بينَ حالَيْنِ: ابتلاءِ
واكْتواءٍ بالمصيرِ

وعلى الوُجوهِ مِن المهانةِ
ذلّةُ العاني الأسيرِ
والجُوعُ يَنْهَشُ بالحشا
والفقرُ يُزري بالفقيرِ
والأمْنُ يُفقدُ، والعبا
دُ بكفِ مُحْتكمٍ حقيرِ
لَمْ تَبْقَ للإنسانِ إلاَّ
رحمةُ الربِّ القديرِ
يا نَفحةَ الفرَجِ التي
تَهتزُّ رَوْحاً في الصُّدورِ
يا نَسْمَةَ الفجرِ النديةَ
وهْيَ تَغْبقُ بالعبيرِ
يا قُرَّةَ الطَّرْفِ القَريحِ
وبَلْسَمَ القلبِ الكسيرِ
يا مُنيةَ الشَّيخِ الكبيرِ
وفرحةَ الطفلِ الصَّغيرِ
يا بسمةَ الأملِ التي
تَفْترُّ وحْياً في الثُّغورِ
يا قَلْبَ كُلِّ مُولَّهٍ
هَيْمانَ يَحْلُمُ بالسرورِ
أشْرق بطلْعَتكَ البهيّةِ
بَيْنَ كوكبةِ البدورِ

واكْحلْ نواظرَنا الشجيَّةَ
في مُحيَّاكَ المُنيرِ
وأزِحْ عنِ الأنْظارِ
مَدْرجةَ الحواجزِ والسُّتُورِ
متفيئاً دارَ المقامةِ
راكباً مَتْنَ الأثيرِ

بطلعته الغرّاء نُهدى ونستهدي

نظمت في تحية صاحب الزمان الإمام الثاني عشر الحجة المهدي محمد بن الحسن عليه السلام وتليت في ندوةٍ خاصة في ذكرى مولده الشريف ١٥ شعبان ١٤١٤هـ = ١٩٩٤/١/٢٨ م.

نشرت في مجلة الانتظار النجفية بعد حين.

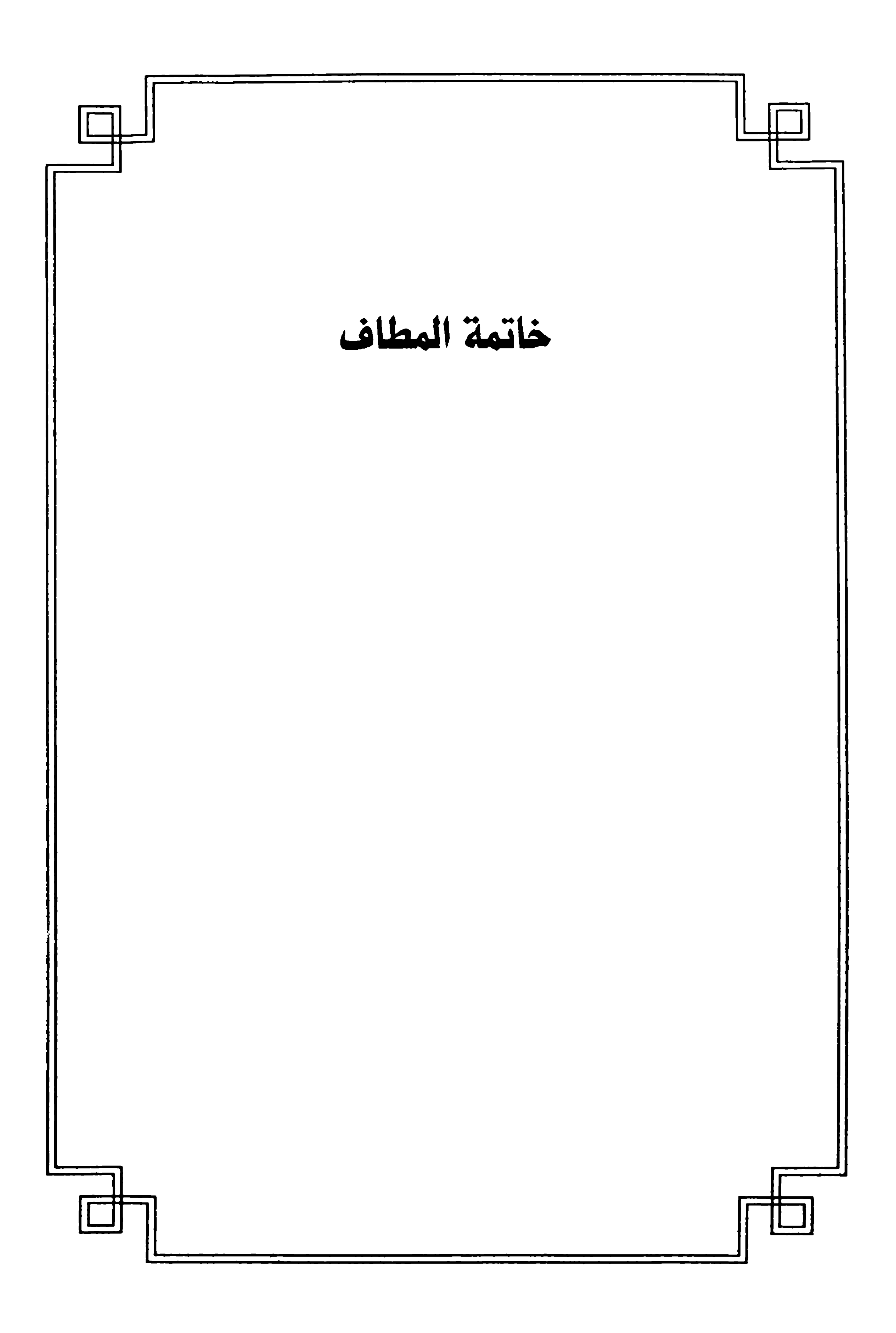
بطلْعَتِهِ الغَـرَّاءُ نُهدى ونَسْتَهدي
فشُعِّي على الآفاقِ يا طَلْعَةَ المهدي
أقيمي الضُّحى حَيّاً فما بَرِحَ الدُّجى
يُنيخُ على الدُّنيا بـأربـدَ مُـسْـوَدِّ
وفَجْرُ الهُدى يخْتالُ نُـوراً وبهجةً
ويحْتَضِنُ الأرجـاءَ في أَرَجِ النَدِّ
تعاليْتَ يا سـرَّ الأمـامـةِ والنُّهى
وبُوركْتَ يا رمْزَ القداسةِ والرُّشدِ
فيا شُعْلَةَ الحقِّ المبينِ توهجّي
ويا صوْلَةَ الدينِ الحنيفِ بنا جِدّي
أعـيـدي لنا عـهْـدَ النبيِّ بيثْربٍ
وعصْرَ عليِّ الطُّهرِ في كُوفةِ الجُندِ

أعيدي صدى القرآن كالأمسِ هادراً
وما شَيَّدَ الإسلامَ في سالفِ العَهدِ
مَتى تَشْرقُ الدنيا، ويَشمَخُ أنفها
بمُنْصلتٍ كالسيفِ سُلَّ مِنَ الغَمْدِ
ويَـزحـفُ مِـنْ بطحاءَ مكّةَ قائمٌ
يقُومُ على اسم اللهِ باليُمنِ والسَّعدِ
فيمْلأها عَـــدْلاً وقِسطاً ورحَمةً
كما مُلئتْ بالجورِ والظلمِ والحقدِ
ويا صاحبَ الأمرِ استطالَ بنا المدى
وحَنَّتْ إلى لُقياكَ أفئدةُ المَجدِ
ويا صاحبَ الأمرِ اسْتجارَ بكَ الهُدى
وخَـصَّـكَ ما بينَ البريةِ بالقَصدِ
أجِلْ طَرفُكَ المَحْزُون فينا فهلْ ترى
سِوى مِنْ نَزَواتٍ مِنْ جُنُوحٍ، ومِنْ صَدٍّ
فَـدَيْـتُـكَ عَـجِّـلْ بالظهورِ فإنَّما
كجمرِ الغَضا هذي القلوبُ مِنَ الوجدِ
أغثْ حَوزةَ الإسلام مِنْ كُلِّ جائرٍ
وطَـهِّـر بـلادَ اللهِ مِـنْ كُـلِّ مُـرْتَـدِ
ودمِّـــرْ طَـواغـيـتَ الـزَّمـانِ بثورةٍ
وطَـوِّقْ شياطينَ السياسةِ بالرَّصدِ
وضَيِّقْ خناقَ الحاقدينَ على الهدى
وشَمِّرْ إلى الإصْلاحِ عَنْ ساعدِ الجدِّ

فأنتَ عمادُ الدينِ ما زالَ قائماً
ومُنتظرُ الأجيالُ للحلِّ والعَقدِ
نؤمِّلُ أنْ نَحيا بظلِّكَ أمّةً
مُنفذةَ الأحكامِ، مبسوطةَ الأيدي
فقد عُطِّلَ الشَّرعُ الشَّريفُ وأثخنَتْ
جِراحُ الهُدى مِنْ واثبينَ على عَمْدِ
ويا صاحبَ الأمرِ المُطلُّ بمجدِهِ
على الكونِ في حَبْلٍ مِنَ النُّورِ مُمْتَدِ
تَغَيَّبْتَ حتّى قيلَ: إنَّك لَمْ تَكُنْ
وأشْكَلتْ حتّى قيلَ: جازَ عنِ الحدِّ
فمِنْ مُنكَرٍ لا عَنْ دليلٍ وحُجّةٍ
ومِنْ جاحدٍ غاوٍ مُصرٌّ على الجحدِ
وما خُفيتْ شَمسُ النَّهارِ لناظرٍ
وما حُجبتْ.. فالذنبُ للأعينِ الرُّمدِ
وجُودُكَ فينا عِلّةٌ في وجودِنا
ونفحُ عبيرُ الوردِ يُنْبي عَنِ الوردِ
وإنَّكَ مِنْ هذي العوالم سِرُّها
فما حيرةُ الألبابِ في الجوهرِ الفردِ؟
وآباؤكَ الغُرُّ الهُداةُ صحائفٌ
مِنَ النُّورِ نَتْلُوها بألسنةِ الحَمْدِ
بهاليلُ في الجلى، مصاليتُ في الوغى
مصابيحُ البلوى، مناجيدُ في الرفدِ

وأعْـداؤكـمْ أحْـدُوثـةٌ مِـنْ فضائح
رَوَتْ عَنْ بني الزُّرْقاءِ لؤمَ بني هِنْدِ
إذا شمتمْ من مُحْكم الذكرِ آيةٌ
تَغَنّوا بذكرى مِنْ سُعادِ، ومِنْ دَعْدِ
وإمّـا رَوَيـتُـمْ بالأحاديثِ مُسْنَداً
أقاموا على نجوى الأحاديثِ من نجد
وأنتم بَنُو الـزَّهـراءِ.. مَجْدٌ مُؤَثَّلٌ
مِنَ النَّسبِ الوضّاحِ والحَسَبِ العَدِّ
أئـمّـةُ أجْـيـالٍ، وقـادةُ أمّـةٍ
وأعْـلامُ تاريخٍ، وأقمارُ مُسْتَهدي
بكُم ولكُمْ أمْسى وأضْبحَ واجماً
وعِندي مِنَ الهمِّ المُبرِّحِ ما عندي
مَـصـائِـبـكُـمْ لا تنْتَهي بـروايـةٍ
وأرْزاؤكُمْ جَلَّتْ عَنْ الحَصْرِ والعَدِّ
ويا صاحبَ الأمرِ الذي لَسْتُ ناظراً
سِـواهُ على قُـرْبٍ، وإلاّهُ في بعْدِ
لئنْ مَـدَحُـوا زيْـداً وعَـمْـراً فإنَّني
خَصَصْتُكَ مِنْ مَدْحي بواسطةِ العَقْدِ
هُمُ مُدِحُوا للمالِ والجاهِ والغنى
ومَـدْحُـكَ مِـنْ أجْـرِ القرابةِ بالودِّ
وشتّانَ ما بينَ امْريءٍ طلبَ الهُدى
وآخَرَ يسْتَجدي الطُّغاةَ ويَسْتَعدي

ذخَـرْتُ ولاكُـمُ يومَ حَشْري ذريعةً
تُبلِّغني فـي ظلِّها جَنَّـةَ الخُلْدِ
وأنْتُمْ على (الأعراف) قد تعرفونني
غـداةَ غَـدٍ، والأمْـرُ للواحدِ الفردِ
يُشرِّفُني أنّـي خَـدَمْـتُ ببابكُم
ولا بُدَّ للسّاداتِ مِنْ خدمةِ العَبْدِ
ومـا كنْتُ عَبداً في الحياةِ وإنَّـي
أرى كُـلَّ حُـرٍّ في ولائكمْ عَبْدي



خاتمة المطاف



خاتمة المطاف

في نهاية هذا البحثِ الطريفِ في تنقلات مباحثه من جديد إلى تليد، ومن تليد إلى جديد، منطلقاً في مواكبة العنصر الغيبي في كشفِ المستقبلِ من غامض إلى جلي، ومن مبهم إلى مبيّن، حتى عاد لائحاً كالشمس في رابعة النهار، وواضحاً كالشفق الذهبي في الأفق المديد، فأنت تقرؤه وكأنك تراه، وتراه فكأنه نصب عينيك، ولك الحكم له أو عليه، فهو قدر المستطاع.

لقد استقطب هذا البحث بأصالة وتجديد ـ فيما أحسب ـ شؤون الإمام المهدي المنتظر عليه السلام من الميلاد حتى الظهور في خمسة فصول كانت الباب الأول، ومن الظهور المبارك حتى قيام الدولة العالمية بإذن الله في أربعة فصول كانت الباب الثاني.

وأنهيته بثلاث قصائد في الإمام المنتظر تحيي ميلاده وتحتفل به، وتدعو بتعجيل فرجه الشريف، وتستنجد به لإغاثة حوزة الإسلام.

وكان البحث الاكاديمي رصداً مقيّداً للاندفاع العاطفي، والنقد التحليلي للأحداث مانعاً من الاسترسال اللامسؤول، فكان كاشفاً للألواح التاريخية في قيادة الإمام المنتظر من الميلاد حتى الغيبة الصغرى،

ومتحدثاً بأمانة عن ثبوت الغيبة الكبرى بما لا يقبل الشك، وعارضاً متحفظاً لعلامات الظهور المبارك، فيما تحقق وفيما سوف يتحقق بإشاءة الله تعالى وعنايته، في بيان المعادلة النوعية في قسمي علائم الظهور، وتدقيق مبرمج لوقائع تلك العلائم، وفحصٍ ناقد لهوية الأسماء اللامعة في حياة ما قبل الظهور وعنده، وكان هذا ضمن الباب الأول في فصول مكثفة شملت ملامح الإمام وخصائصه والنص عليه بالإمامة وما رافق ذلك من الضغط السياسي عليه وعلى أوليائه من قبل السلطة وأتباعها، وكان هذا الباب في فصول خمسة استقطب مرحلة مهمة في تاريخ المهدوية الرفيع في إضاءات فعلية بارزة، وملامح غيبية ناطقة، سيقول الجيل المعاصر والشباب الواعي كلمته فيها، وهو يضع يده على خلاصة مركّزة من حقائق الأشياء، ويتابع ثوابت الإمامية التي لا تتحول.

وكان الباب الثاني منفتحاً على الظهور المبارك في مصراعيه، مقيّماً بدايته الاولى في الإعلان عنه بالمسجد الحرام بذلك الخطاب العظيم النابض بالحركة والثورة والحياة بما لا نظير له في سجلّ الإبداع البلاغي، وكأن الإمام المنتظر فيه يفرغ عن بيان أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وهو بحرارته يستنصر الأمة في مختلف شرائحها وشتى أقطارها لبعث الإسلام من جديد، والتأكيد على قيادته للعالم دون منازع، فهو يصدع بما يؤمر، فيبايعه جبرئيل ـ وقد هبط من السماء ـ على كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ، ويبايعه على ذلك أصحابه الثلاثمائة وثلاثة عشر، ويلقي بندائه المدوّي إلى شعوب الأرض المختلفة، فيسمعه كل قوم بلغتهم، وتهتز الدنيا لهذا النداء، ويبدأ التساؤل عن الإمام وعن ثورة الإمام وعن مشروع الإمام في إقامة الدولة العالمية، فيتوافد عليه النصر المؤزّر من السماء والأرض، فيحرر مكة المكرمة من الطواغيت، ويزحف

إلى المدينة المنورة فيقضي على جبابرة قريش والسائرين بركابهم، ويسيطر على الحجاز بالكامل، في إصرار على العدل واقتصاص من المجرمين، بما أوعزناه إلى التأييد الإلهي مضافاً إلى الإعداد البشري والاستعداد العسكري.

ويتجمع حوله الآلاف من الأصحاب والأتباع والأولياء، فيتجه نحو العراق بوسائط قد تكون متعددة، ويدخل النجف الأشرف بمركبات فضائية قد نجهل كنهها، ويتخذ الكوفة الغراء عاصمة له، ويقيم أول أسس دولة الحق، ويجابه أعداء الإسلام، ويقاتل الفئات المرتدة، ويقضي على الخوارج عليه.

ويمكث الإمام المنتظر بإذن الله ما شاء الله، فينظّم إدارة الدولة، ويؤسس المشاريع العمرانية، ويحلّ أزمة السكن بتوزيع الأراضي، ويتولى الإصلاح الزراعي بسنّة الأرض لمن أحياها كما في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويبرمج الحياة الاقتصادية بالقضاء على الجوع والفقر بالأعطيات الضخمة والمال الوفير، فتزدهر الحياة في كافة مرافقها في الكوفة بخاصة وفي العراق بعامة.

ويبعث الإمام بأصحابه وكلاء عنه في العالم بعد تقسيمه تقسيماً جغرافياً جديداً يشمل على ثلاثمائة وثلاث عشرة ولاية.

ويتوالى دخول الناس وتدفق الأولياء على الإمام فتكثر لديه الجيوش الضاربة والقطع العسكرية المدرّبة، فيتجه الإمام إلى الشام الكبرى المتكونة من سوريا ولبنان وفلسطين والأردن، وقد بسط السفياني فيها نفوذه وسلطانه، فيمتلك السفيانيَّ الذعر والقلق، ويضطرب لذلك حلفاؤه من الغرب وإسرائيل.

ويدخل في معارك دامية مع السفياني واليهود ومارقة من الأوربيين،

فينتصر الإمام انتصاراً صاعقاً بالقوة والأعداد من جهة، وبنفحات النصر الإلهي للإمام من جهة أخرى، ويتم تحرير الشام والقدس وفلسطين وأطرافها على يد الإمام، مسدداً من قبل الله تعالى، ومؤيداً بنزول السيد المسيح عيسى بن مريم من السماء، فيصلي خلفه، ويحتج به على المسيحيين، ويساعده على اجتذاب أوربا إلى حضيرة الإسلام، فتعلن الهدنة بينه وبين الأوربيين، ولكنهم يغدرون بعد ذلك بالعهد، فيستأصل الإمام شأفة الطغيان، فتُحرَّر شعوب أوربا بما يحتج به المسيح، وبما يتدافع من الموجات البشرية من الغرب والشرق لإعلان إسلامها متحدية جبابرتها وحكّامها.

ومن ثم تتلألأ ـ بإذن الله تعالى ـ في الأفق شعلة دولة الإمام العالمية في تطبيع الله للأسباب وسيطرة الإمام على الدنيا.

وتكون حكومة الإمام النموذج الأرقى لما كان عليه الحكم في عهد جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون تقية من أحد، وتنتشر أحكام الإمام بعلمه، ويقضي بالواقع الذي يريه الله له، فتذعن الأمم، ويخشى قدسيته العالم، وتكون سيادة الإسلام في دولته تطبيقاً فعلياً للوعد الإلهي الحق، ويبدأ التكامل الإنساني مشرئباً في حياة الشعوب والأمم بما تمليه طبيعة الدولة الجديدة من المبادئ والقيم واحترام حقوق الإنسان، وإعلاء شأنه في الكون، وتتطور الحياة الاقتصادية، وتتصاعد الحركة العلمية وتنعم الإنسانية نفسياً واقتصادياً وعلمياً بما لا عهد لها به حتى دولة الإمام.

وتستطيل مدة حكم الإمام للعالم بما رجحناه بثلاثمائة من السنين وتزداد تسعاً، وذلك في منظور روائي صحيح، واستنباط عقلي دقيق.

وكانت هناك قبل خاتمة المطاف ثلاث قصائد للمؤلف تنحني بشاعريتها أمام أعتاب الإمام المنتظر عليه السلام.

وبعد، فهذا البحث ـ دون مبالغة ـ عصري العرض والأسلوب، قد يواكب الجيل الجديد في تطلعاته، فلا مجال للخيال فيه، ولا لغة للتعصب في آرائه، ولا اعتداء على أحد في أحكامه، ولكنه عقيدة الإمامية في حقيقة المهدي المنتظر، ورأي فصائل كبيرة من علماء الجمهور فيه، فمن تلقاه بقبول حسن فذاك، ومن أباها فبيننا وبينه الغدُ المنظور.

ولا أدعي لهذا البحث الكمال، ولكنه جهد المستطاع، به من نفحات الإمام المنتظر ما طيّب أحاديثه، وفيه ألق من شعاع جبينه الهادي إلى الحق، مسترحماً سيدي ومولاي وليّ العصر عليه السلام التفضل بقبوله إن شاء الله.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

النجف الشرف/ جامعة الكوفة

محمد حسين علي الصغير

قائمة المصادر والمراجع

خير ما نبتدئ به القرآن العظيم.

١. ابن الأثير/ أبو السعادت/ المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ) جامع الأصول في أحاديث الرسول تصحيح: عبد المجيد سليم. ومحمد حامد الفقي. مطبعة السنة المحمدية. القاهرة ١٩٤٩ هـ.

٢. أحمد أمين المهدي والمهدوية القاهرة، ١٩٥٢ م.

٣. أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) مسند أحمد بيروت ١٣٨٩ هـ.

٤. أبو نعيم/ أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) حلية الأولياء تحقيق: نظر محمد الفاريابي. الرياض، ١٤١٥ هـ.

٥. الإربلي/ علي بن عيسى بن أبي الفتوح (ت ٦٩٣ هـ) كشف الغمة في معرفة الأئمة المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٥ هـ.

٦. البحراني/ هاشم بن سليمان الحسيني البحراني (ت ١١٠٧ هـ) البرهان في تفسير القرآن المطبعة العلمية، النجف الأشرف ١٣٩٤ هـ.

٧. البحراني (نفسه) المحجّة البيضاء مخطوط.

٨. بحر العلوم/ محمد مهدي السيد مرتضى الطباطبائي النجفي (ت ١٢١٢هـ) الفوائد الرجالية طبعة النجف الأشرف/ تحقيق محمد صادق وحسين بحر العلوم.

٩. البخاري/ أبو عبد الله/ محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦) صحيح البخاري

المطبعة الأميرية الكبرى، بولاق، القاهرة ١٣١٤ هـ.
١٠. البيهقي/ أبو بكر/ أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨ هـ) الأسماء والصفات القاهرة ١٢٥٨ هـ.
١١. الترمذي/ محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ) سنن الترمذي نشر المكتبة الإسلامية، القاهرة (د.ت).
١٢. الحاكم النيسابوري/ أبو عبد الله/ محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ) المستدرك على الصحيحين مراجعة: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م.
١٣. ابن حجر/ شهاب الدين/ أحمد بن محمد بن علي الهيثمي المكي (ت ٩٧٣ هـ) الصواعق المحرقة القاهرة ١٣١٢ هـ.
١٤. ابن حجر/ نفسه القول المختصر في علامات المهدي المنتظر طبعة قم.
١٥. ابن حجر/ أبو الفضل/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري مراجعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩ هـ.
١٦. ابن حجر (نفسه) لسان الميزان مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م.
١٧. ابن أبي الحديد: أبو حامد/ عزّ الدين/ عبد المجيد بن هبة الله المدائني (ت ٦٥٦ هـ) شرح نهج البلاغة تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٩م.
١٨. الحر العاملي/ محمد بن الحسن (١١٠٤ هـ) إثبات الهداة المطبعة العلمية، قم.
١٩. الحر العاملي (نفسه) وسائل الشيعة إلى مسائل الشريعة مؤسسة

الأعلمي للمطبوعات/ بيروت.

٢٠. ابن حزم الظاهري جمهرة أنساب العرب القاهرة، ١٣٨٢ هـ.

٢١. حسن بن سليمان الحلي (من علماء القرن السابع الهجري) مختصر بصائر الدرجات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٧٠ هـ.

٢٢. حسن الصدر (من علماء الكاظمية المقدسة، ت ١٣٥٤ هـ) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام مؤسسة الأعلمي، بيروت (د.ت).

٢٣. حسن النجفي علائم الظهور في المستقبل المنظور مؤسسة البلاغ، بيروت ٢٠٠٢ م.

٢٤. الحمويني الشافعي/ إبراهيم بن محمد (ت ٧٣٠ هـ) فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين مؤسسة المحمودي، بيروت ١٣٨٩ هـ/ ١٩٧٨ م.

٢٥. حيدر الحسني (ت ١٢٦٥ هـ) عمدة الزائر بيروت ١٣٩٩ هـ.

٢٦. ابن خلكان/ أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ) وفيات الأعيان وأنباء الزمان تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٤٩ م.

٢٧. الخوئي/ أبو القاسم الموسوي الخوئي (المرجع الديني الأعلى، ت ١٤١٣ هـ) معجم رجال الحديث مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٩٣ هـ.

٢٨. خير الدين الزركلي الأعلام الطبعة الثالثة، بيروت، ١٣٨٩ هـ.

٢٩. الداني/ أبو عمرو/ عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤ هـ) سنن الداني/ النسخة الخطية.

٣٠. الداودي النسابة عمدة الطالب المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٥٨ هـ.

٣١. أبو داود/ سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) سنن أبي داودالقاهرة ١٣٧١ هـ.
٣٢. الذهبي/ شمس الدين/ محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ) سير أعلام النبلاء مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
٣٣. الراوندي/ قطب الدين/ سعيد بن هبة الله (٥٧٣ هـ) الخرائج والجرائح مؤسسة الإمام المهدي، بيروت، ١٤١١ هـ.
٣٤. سبط ابن الجوزي/ يوسف بن فرغلي البغدادي الحنفي (ت ٦٥٤ هـ) تذكرة الخواص المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٣ م.
٣٥. السيوطي/ جلال الدين/ عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) العرف الوردي.
٣٦. السيوطي (نفسه) الدر المنثور في التفسير بالمأثور مطبعة بولاق، القاهرة ١٩٦٧ م.
٣٧. السيوطي (نفسه) الحاوي في الفتاوي/ لبنان، ١٣٩٥ هـ.
٣٨. السلمي الشافعي عقد الدرر طبع القاهرة.
٣٩. الشبلنجي/ مؤمن بن حسن الشافعي المدني (ت أوائل القرن الرابع عشر) نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار مطبعة العاطف، القاهرة، ١٣٨٤ هـ.
٤٠. ابن شعبة/ أبو محمد/ الحسن بن علي الحراني الحلبي (من أعلام القرن الرابع الهجري) تحف العقول عن آل الرسول تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٥ هـ.
٤١. الشعراني/ عبد الوهاب مختصر تذكرة الذهبي المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.
٤٢. ابن شهر آشوب/ أبو جعفر/ رشيد الدين محمد بن علي السروري

(ت ٥٨٨ هـ) المناقب: مناقب آل أبي طالب المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٥ هـ.

٤٣. الصبّان إسعاف الراغبين القاهرة.

٤٤. ابن الصباغ/ علي بن محمد المغربي المالكي (ت ٨٨٥ هـ) الفصول المهمة في معرفة الأئمة المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨١ هـ.

٤٥. الصدوق/ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت ٣٨١ هـ) عيون أخبار الرضا تحقيق: حسين الأعلمي، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٤ هـ.

٤٦. الصدوق (نفسه) إكمال الدين وإتمام النعمة المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٩ هـ.

٤٧. الصدوق (نفسه) معاني الأخبار نشر جامعة المدرسين، قم، ١٣٦١ هـ، ش.

٤٨. الصفار/ محمد بن الحسن بن فروخ (ت ٢٩٠ هـ) بصائر الدرجات الكبرى منشورات الأعلمي، طهران (د.ت).

٤٩. صلاح الدين/ خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) الوافي بالوفيات بيروت، ١٣٨١ هـ.

٥٠. ابن طاووس/ رضي الدين/ أبو القاسم علي بن موسى الحسني (ت ٦٦٤هـ) الملاحم والفتن مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٨٩ هـ.

٥١. الطباطبائي الميزان في تفسير القرآن مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩٣ هـ.

٥٢. الطبراني/ أبو القاسم/ سليمان بن أحمد بن أيوب (ت ٣٦٠ هـ) المعجم الكبير بغداد، ١٣٩٨ هـ.

٥٣. الطبرسي/ أبو علي/ الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ) مجمع البيان

في تفسير القرآن مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣٣ هـ.
٥٤. الطبرسي (نفسه) إعلام الورى بأعلام الهدى المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٩٠ هـ.
٥٥. الطبري/ أبو جعفر/ محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) تاريخ الأمم والملوك المطبعة الحسينية، القاهرة، ١٣٢٦ هـ.
٥٦. الطبري/ أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (من أعلام القرن الخامس الهجري) دلائل الامامة منشورات الرضي، قم.
٥٧. ابن طلحة/ كمال الدين/ محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢ هـ) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧١ هـ.
٥٨. الطوسي شنيخ الطائفة/ أبو جعفر/ محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) تهذيب الأحكام تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان، دار الكتب الإسلامية، النجف الأشرف، ١٣٧٧ هـ.
٥٩. الطوسي (نفسه) الغيبة طبع النجف + طبعة قم، ١٤١٧ هـ.
٦٠. الطوسي (نفسه) رجال الطوسي المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨١ هـ.
٦١. الطوسي (نفسه) تلخيص الشافي.
٦٢. أبو طولون/ شمس الدين الدمشقي الأئمة الإثنا عشر طبع بيروت، ١٣٧٧هـ.
٦٣. عباس محمد رضا القمي مفاتيح الجنان/ تعريب محمد رضا النوري النجفي دار إحياء التراث العربي/ بيروت.
٦٤. عدنان علي البكاء الإمام المهدي المنتظر وأدعياء البابية والمهدوية مؤسسة الغدير، بيروت/ ١٩٩٩ م.

٦٥. العلامة الحلي/ الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر (ت ٧٢٦ هـ) خلاصة الأقوال النجف، المطبعة الحيدرية، ١٣٨١ هـ.
٦٦. علي الكوراني (من علماء جبل عامل، لبنان) جواهر التاريخ منشورات دار الهدى، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ.
٦٧. علي الكوراني (نفسه) المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٦ م.
٦٨. علي الكوراني (نفسه) عصر الظهور الطبعة الحادية عشرة/ ١٤٢٤ هـ.
٦٩. الشيخ علي الحائري اليزدي (١٣٣٣ هـ) إلزام الناصب طبع بيروت.
٧٠. العياشي/ أبو نصر/ محمد بن مسعود بن عيّاش السلمي (ت ٣٢٠ هـ) تفسير العياشي تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، قم، ١٣٧١ هـ.
٧١. القمي/ أبو الحسن/ علي بن إبراهيم الأشعري الكوفي (من علماء القران الرابع الهجري) تفسير القمي تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٣٨٧ هـ.
٧٢. القندوزي/ سليمان بن إبراهيم الحنفي البلخي (ت ١٢٩٤ هـ) ينابيع المودة مطبعة أختر، استانبول، ١٣٠١ هـ.
٧٣. القهبائي/ عناية الله بن شرف الدين علي (من علماء القرن العاشر الهجري) مجمع الرجال طبعة طهران، ١٣٨٤ هـ.
٧٤. الكشي/ أبو عمرو محمد بن عبد العزيز (من علماء القرن الرابع الهجري) رجال الكشي تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧٠ م.
٧٥. الكليني/ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحق الرازي البغدادي (ت ٣٢٩ هـ) أصول الكافي دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٣ هـ.

٧٦. الكنجي الشافعي/ أبو عبد الله أحمد بن يوسف القرشي (ت ٦٥٨هـ) البيان في أخبار صاحب الزمان المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٢ هـ.
٧٧. لطف الله الصافي منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر طهران، ١٣٧٣هـ.
٧٨. المتقي الهندي كنز العمّال.
٧٩. المتقي الهندي (نفسه) البرهان في علامات مهدي آخر الزمان ذات السلاسل ١٤٠٨ هـ.
٨٠. ابن ماجة/ محمد بن يزيد الربعي القزويني (ت ٢٧٣ هـ) سنن ابن ماجة تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
٨١. المجلسي/ محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١ هـ) بحار الأنوار تصحيح: محمد باقر البهبودي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٥هـ.
٨٢. محسن الأمين الحسيني العاملي الشقرائي (ت ١٩٥٢ م) أعيان الشيعةجـ٤، ق ٣ مطبعة كرم، دمشق، ١٩٥٤ م.
٨٣. محسن الأمين الحسيني (نفسه) المجالس السنية مطبعة النعمان/ النجف الأشرف/ ١٣٨٣ هـ.
٨٤. محمد حسن الطباطبائي/ الميرجهاني نوائب الدهور في علائم الظهور طهران، ١٣٨٣ هـ.
٨٥. محمد حسن آل ياسين (من علماء الكاظمية المقدسة) الإمام محمد بن الحسن المهدي الطبعة الثانية، مطبعة النرجس، بغداد، ١٤٢٨ هـ.
٨٦. محمد حسن الجواهري النجفي (ت ١٢٦٦ هـ) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام (جـ ٢٠) طبعة النجف الأشرف، ١٣٨٩ هـ.

٨٧. محمد الحسين كاشف الغطاء (أشهر علماء الشرق في القرن العشرين ت ١٣٧٣ هـ) أصل الشيعة وأصولها النجف الأشرف.

٨٨. محمد حسين علي الصغير (المؤلف) الفكر الإمامي من النص حتى المرجعية دار المحجة البيضاء، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣ م.

٨٩. محمد حسين علي الصغير (نفسه) الإمام الحسن رائد التخطيط الرسالي/ رؤية معاصرة في قيادته الاستراتيجية مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢ م.

٩٠. محمد حسين علي الصغير (نفسه) الإمام الحسين عملاق الفكر الثوري مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢ م.

٩١. محمد حسين علي الصغير (نفسه) الإمام زين العابدين، القائد ـ الداعية ـ الإنسان مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ.

٩٢. محمد حسين علي الصغير (نفسه) الإمام محمد الباقر مجدّد الحضارة الإسلامية مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٢ م.

٩٣. محمد حسين علي الصغير (نفسه) الإمام جعفر الصادق زعيم مدرسة أهل البيت مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠٠٤ م.

٩٤. محمد حسين علي الصغير (نفسه) الإمام موسى بن جعفر ضحية الإرهاب السياسي مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠٠٥ م.

٩٥. محمد حسين علي الصغير (نفسه) الإمام علي الرضا، قيادة الأمة، وولاية العهد مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠٠٧ م.

٩٦. محمد حسين علي الصغير (نفسه) الإمام محمد الجواد معجزة السماء في الأرض دار الضياء، النجف الأشرف، ٢٠٠٧ م.

٩٧. محمد حسين علي الصغير (نفسه) الإمام علي الهادي النموذج

الأرقى للتخطيط المستقبلي مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠٠٨ م.
٩٨. محمد حسين علي الصغير (نفسه) ديوان شعر (مخطوط).
٩٩. محمد حسين علي الصغير (نفسه) الإمام الحسن العسكري/ وحدة الهدف.. وتعدد الأساليب (النسخة الخطيّة).
١٠٠. محمد رضا المظفر (مؤسس كلية الفقه في النجف الأشرف ت ١٩٦٣م)عقائد الإمامية مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٨ م.
١٠١. محمد كاظم القزويني الإمام الحسن العسكري من المهد إلى اللحدالمطبعة العلمية، قم، ١٤١٣ هـ.
١٠٢. المسعودي/ علي بن الحسين بن علي البغدادي (ت ٣٤٦ هـ) إثبات الوصية المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
١٠٣. مسلم/ أبو الحسين/ مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ) صحيح مسلم مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، ١٣٣٤ هـ.
١٠٤. مصطفى ابراهيم الحسني الكاظمي بشارة الإسلام المطبعة الحيدرية/ النجف/ ١٣٨٢ هـ.
١٠٥. المفيد/ محمد بن محمد النعمان العبكري البغدادي (ت ٤١٣ هـ) الإرشاد المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٢٩ هـ.
١٠٦. المقدسي/ يوسف بن يحيى بن علي الشافعي (ت ٦٨٥ هـ) عقد الدرر دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠٧. المناوي/ زين الدين عبد الرؤوف الشافعي (ت ١٠٣١ هـ) فيض القدير في شرح الجامع الصغير بيروت، دار الفكر ١٣٩١ هـ/ ١٩٧٢ م.
١٠٨. النعماني/ محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني (ت ٣٨٠ هـ) كتاب الغيبة تحقيق: علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، طهران.
١٠٩. نعيم بن حماد (شيخ البخاري) الملاحم والفتن/ المخطوط +

طبعة بيروت ٢٠٠٢ م.

١١٠. هاشم معروف الحسني (من علماء لبنان) سيرة الأئمة الإثني عشردار القلم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧٠ م.

١١١. الهيثمي/ نور الدين/ علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد طبع مكتبة القدسي/ القاهرة/ ١٣٥٣ هـ + الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م.

المحتويات